کتب اهدائی
شادروان
یحیی معرفت
درسال ۱۳۶۵

۲۳۸٤۲۵

کتابخانه موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۲ هجری شمسی

الأفات الاجتماعية وعلاجها

تأليف

﴿ الكونت ليون تولستوى الفيلسوف الروسى الشهير ﴾

(ترجمه من الانكليزية حضرة الاستاذ الفاضل)

محمد رضا

حقوق اعادة الطبع محفوظة للمترجم

« الطبعة الاولى على نفقة الفقير اليه »

فرج الله زكى الكردى

«تنبيه» : كل من أراد هذا الكتاب وتجارب الامم
لابن مسكويه وشرح المضنون به على غير أهله
للزنجاني فى الادب فليطلبها من ملتزم طبعها
﴿ فرج الله زكى الكردى ﴾
بعنوان بوستة الازهر بمصر

کتابخانه مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۲

اهدائی
۱۳۶۱۴

کتب اهدائی
شادروان
یحیی معرفت
در سال ۱۳۶۵

الآفات الاجتماعية وعلاجها

تأليف

﴿ الكونت ليون تولستوى الفيلسوف الروسى الشهير ﴾

۲۳۸٤۲۵

(ترجمه من الانكليزية حضرة الاستاذ الفاضل)

محمد رضا

کتابخانه موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
تأسیس ۱۳۰۲ هجری شمسی

حقوق اعادة الطبع محفوظة للمترجم

« الطبعة الاولى على نفقة الفقير اليه »

فرج الله زكى الكردى

مجلس شورای اسلامی
کتابخانه
تأسیس ۱۳۰۲

«تنبيه» : كل من أراد هذا الكتاب وتجارب الامم
لابن مسكويه وشرح المضنون به على غير أهله
للزنجاني فى الادب فليطلبها من ملتزم طبعها
﴿ فرج الله زكى الكردى ﴾
بعنوان بوستة الازهر بمصر

اهدائی
بوسیله
در تاریخ

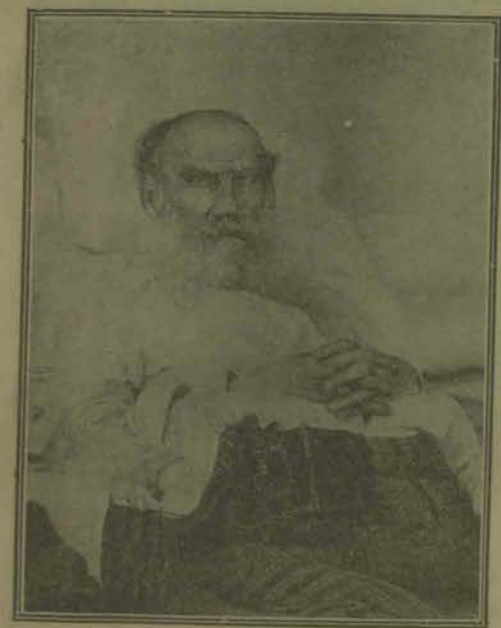

صورة ليون تلستوى فى اواسط عمره

صورة ليون تلستوى فى أواخر عمره

﴿ ترجمة حياة ليون تلستوى ﴾

﴿ الفيلسوف الروسى ﴾

ولد الفيلسوف الروسى والمصلح الاجتماعى الشهير الكونت تلستوى فى ٢٨ اغسطس سنة ١٨٢٨ بقرية ياسنايابوليانابقرب تولا * وهو من أسرة ألمانية الاصل استوطنت روسيا فى أيام بطرس الاكبر * وذاع صيتها وارتفع شأنها وبلغت من العز والسؤدد ماهو خليق بهمة أفرادها

لم يكد تلستوى يبلغ الثالثة من عمره حتى ماتت أمه البرنسيسة مارى فولكونسكى ، وفى التاسعة مات أبوه الكونت نيقولا تلستوى بالغاً من العمر احداً وأربعين عاماً فتولت السيدة تاتيانا يرجولسكى احدى قريباته أمر تربيته وتربية اخوته الاربعة الذين كانوا أكبر منه سناً لما كان بينها وبين أبيه من صلات المحبة النادرة المثال * وكان تلستوى شديد الحب

لاخوته وللسيدة تاتيانا التى كان يعتبرها كوالدته الشفيقة لكرم سجاياها وحسن عنايتها به وحرصها على راحته وسعادته وقد ذكرها فى بعض مؤلفاته فأثنى عليها ثناء عاطراً واعترف بما كان لها من التأثير العظيم فى تكوين أخلاقه * وقال ان أول ما تعلمته منها فى الصغر آداب المحبة لا بالالفاظ بل بمحبتها لى وعطفها علىّ ثم تعلمت منها جمال العزلة والوحدة *

وكان تلستوى يلهو فى صغره بأشياء * منها انه أنشأ جمعية بالاشتراك مع أخيه المحبوب نيقولا الغرض منها اتحاد النوع الانسانى وتآلف أفراده بعامل المحبة * ودفنا تذكاراً لانشاء هذه الجمعية عوداً أخضر على التل الذى كانا يجتمعان فيه * ولما حانت منيته أوصى بأن يدفن فى ذلك المكان فدفن فيه *

وفى سنة ١٨٤٣ التحق الكونت تلستوى هو واخوته بجامعة قازان وكان عمره اذ ذاك خمس عشرة سنة وكانت هذه الجامعة وقتئذ تتساهل فى قبول المنتسبين اليها ولذا أمها كثير من أبناء الاغنياء فاتخذوا

مدينة قازان مسرحاً للهوهم وسرورهم وحفلاتهم فاشمأز الكونت من هذه الحالة وسئمها *

ولما كان صاحب الترجمة تواقاً الى المعالى وقيادة الرأى العام اختار مدرسة اللغات الشرقية بالجامعة فدرس فيها اللغة العربية والتركية الا انه لم يتفوق فيهما لعدم ملاءمة مثل هذه الدروس لطبيعته فعدل عنها والتحق بكلية الحقوق عام ١٨٤٥ لكنه لم يصادف فى هذه الكلية أيضاً مايشجعه على تلقى علومها اذ وجد جميع أساتذتها من الالمان * وأغلبهم لايحسن اللغة الروسية لتفهيم الطلبة بلسان بلادهم فشق ذلك عليه وعول على دراسة التاريخ والدين والقانون للحصول على دبلوم الجامعة بيد أنه بالنظر الى شذوذ آرائه فى الدين وقلة ثقته بفائدة دراسة التاريخ القديم أهمل المحاضرات فلم يواظب على الحضور وبذلك انتهت حياته المدرسية *

آب تلستوى الى قريته عاقداً النية على تكريس حياته لخدمة المزارعين وتحسين حالتهم * وما كاد يستقر

بها حتى توالت عليه الاخبار من قازان بحدوث المجاعات وقيام الارقاء بالثورات * وبلغه ان أهالى الولايات قدموا عرائض الشكوى لقلة الحاصلات فى ذلك العام فدفعته الحمية والغيرة الى حل هذه المشكلة مسترشداً بمؤلفات جان جاك روسو التى كان قد درسها أثناء وجوده فى الجامعة لكنه لسوء الحظ لم يتوصل الى غرضه اذ كان يعوزه الصبر والتأنى لعلاج داء وبيل كهذا أهمل أجيالا عديدة فترك الموضوع بعد ان أجهد فيه نفسه ستة أشهر * ثم غادر البلدة وسافر الى بطرسبرج فعاش عيشة المترفين منغمساً فى الملاذ مبدداً أمواله فى أنواع الملاهى وقد حكى ذلك فى مذكراته فقال انى أعيش كالبهائم وقد نبذت المطالعة وأصبحت حالتى الادبية فى غاية الانحطاط » وتألم من ذكر هذه الايام فى كتابه (اعترافاتى) فقال « كنت أهوى من صميم فؤادى ان أكون خيراً فاضلا لكنى ألفيت نفسى فريداً وأنا فى ريعان شبابى فلم أجد مرشداً يهدينى سواء السبيل * وكنت كلما أردت أن أعبر عن

آمالى وعما أشعر به من حب الفضائل والتطلع الى المعالى قوبلت بالسخرية والازدراء فلما ألقيت العنان لشهواتى وسلكت سبيل المترفين مدحت بكل لسان وشجعنى الصحب والاخدان »

وفى سنة ١٨٥١ رجع أخوه الاكبر نيقولا الذى كان ضابطاً فى جيش القوقاز لتمضية الاجازة فرأى ما وصلت اليه حالته الادبية فحبب اليه الرحيل الى تلك البلاد برفقته فرحل اليها وأعجب بمناظرها وتحسنت صحته وعاد اليه نشاطه ثم دعاه شقيقه الى الالتحاق بجيش القوقاز فلبى دعوته والتحق بفرقة المدفعية *

وألف تلستوى أثناء اقامته بالقوقاز عام ١٨٥٢ رواية الطفولية وهى أول رواياته وما كادت تنتشر حتى نالت شهرة فائقة وعدها كتاب الروس من أنفس المؤلفات وأعذبها لفظاً وأوسعها خيالا فثابر على التأليف بهمة صادقة فأعقب الرواية الاولى بثلاث روايات فى زمن قصير وهى (صباح المالك والصباء والشباب) وكلها تعبر عن آماله وتنطق عما ينطوى

عليه جنانه وألف أيضا روايتى (القوزاق والفاتحين) فوصف فيهما بلاد القوقاز وحياته فيها *

وفى عام ١٨٥٣ سعرت نار حرب القرم فتطوع لها والتمس الانضمام الى جيش الطونة تحت قيادة البرنس غورتشاكوف ثم انتقل الى حامية سيفاستبول قائداً لفرقة مدفعية وظل يحارب بكل شجاعة واقدام غير مبال بما يحدق به من المخاوف والاخطار الى أن اضطر الجيش الروسى الى التقهقر أمام الجنود المتحدة وكان أثناء القتال يبث فى أفئدة رفاقه روح الحمية والشجاعة ويحثهم على الثبات والاقدام وفى أثناء هذا الحصار المخيف ألف رواية (سيفاستبول) وطبعت عام ١٨٥٤ فأكسبته شهرة عظيمة فى الادب فخاف عليه القيصر نيقولا فأصدر أوامر خصوصية تقضى بابعاده عن موضع الخطر لئلا تفقد الامة الروسية مثل هذا النابغة

ان الايام التى قضاها تلستوى فى سيفاستبول أفادته تجربة وعلماً اذ شاهد لاول مرة فى حياته أهوال

الحروب وفواجعها ورأى جيشاً يبلغ اثنين وعشرين ألفاً يبيد تحت نيران المدافع المهلكة * وسمع تأوهات الجرحى وأناتهم وقت اجراء العمليات الجراحية فى المستشفيات من غير استعمال الكلوروفورم * وعلم ان الذى جنى عليهم هذه الجنايات الفظيعة وأوقعهم فى المخاطر والمهالك انما هو الوطنية الكاذبة التى تلقنها لهم الحكومات بقصد التوغل فى الفتح والاستعمار وازدياد سلطة الاقلية الحاكمة *

ولما وضعت الحرب أوزارها استقال من الجندية كارهاً لها فآب الى بطرسبرج فقابله كثير من الموظفين بحفاوة عظيمة وأدبوا له المآدب اكراماً لقدومه ودعته احدى الجمعيات المشتغلة بالادب الى الانضمام الى أعضائها وتعرف به الروائى الشهير تورجينيف والشاعر فت الذى صار بعد ذلك صديقه الحميم

وبينا تلستوى على هذه الحال من السآمة والضجر من كل مايحيط به شأن أغلب الفلاسفة اذا بحركة اصلاح أخذت تشغل أفكار الناس فى بدء جلوس

القيصر اسكندر الثانى على العرش عام ١٨٥٥ وكان القيصر نفسه نصيراً لهذه الحركة فتولدت فى ذلك الحين فكرة تحرير الارقاء * وطفقت الصحف فى روسيا وألمانيا تنشر المقالات المنمقة والقصص الشائقة لمشهورى الكتاب فانتهز تلستوى هذه الفرصة السانحة وكتب قصة مؤثرة سماها (بوليكوشكا) شرح فيها مساوى الرق وما يكابده الارقاء من العناء والشقاء ثم عن له السياحة فى الممالك الاوروبية الاخرى لدرس اساليب التعليم ونظامات البلديات فيها كى يتمكن من الاخذ بناصر الامة وهدايتها الى طريق التقدم والفلاح فسافر الى ألمانيا ومنها الى ايطاليا ثم زار باريس وهناك شاهد انفاذ حكم الاعدام على أحد المجرمين وسمع صوت انفصال الرأس عن الجسم وسقوطه فى السلة فاستبشع ذلك ومقته أشد المقت وعده أشنع من فظائع الحروب . ثم غادرها قاصداً جينيف ولوسرن فوجد فى هذه الاخيرة فئة من سياح الانجليز فأنف من غطرستهم واستقبح كبرياءهم

وفى عام ١٨٦٠ بلغه خبر اشتداد مرض السل على أخيه الاكبر نيقولا وسفره الى قرية ايير بفرنسا للاستشفاء فيها فأدركه تلستوى ليكون فى خدمته وما لبث معه مدة حتى عاجلت المنية أخاه فمات بين ذراعيه يوم ٢٠ سبتمبر من السنة نفسها *

درس تلستوى أساليب التعليم فى ايطاليا وفرنسا وألمانيا فأعجب بنظام التعليم فى ألمانيا أيما اعجاب ودعاه ذلك الى العناية بزيارة جامعاتها وسجونها وأندية العمال فيها وتعرف (باورباخ) وتأثر بآرائه الخاصة بمدارس القرى وراقته فكرة بساتين الاطفال التى ابتكرها المربى الالمانى العظيم (فردريك فروبل) لتنمية قوى الاطفال الجسمية والادبية والعقلية من سن ثلاث سنوات الى سبع *

وفى فبراير سنة ١٨٦١ صدر أمر عال بالغاء الرق من روسيا فكان ذلك مما شجع تلستوى على ادخال الاصلاح فى التعليم فعاد الى قريته فأنشأ فيها مدرسة مجانية بقرب منزله على طراز حديث ولم يقيد التلاميذ

بشىء من القوانين المدرسية فكانوا يحضرون وينصرفون كما يريدون ويتعلمون ما يشتهون وكذلك لم يقرر لهم أى نوع من أنواع العقوبات وجعل المدرسين مسئولين عن اخفاق الطلبة وتهاونهم وكان يقول (ان للطالب الحق فى رفض طرق التعليم التى لا تلائم ميله الطبيعى واننا معاشر الرجال من أبناء الجيل الماضى لا نعلم ما هو ضرورى للاطفال فلنترك لهم حرية الاختيار) ثم أنشأ مدارس أخرى فى تلك الجهة على هذا النمط ومجلة لتهذيب أبناء القرويين سماها (ياسنايا بوليانا) وأخذ على عاتقه تحريرها كما فرض على نفسه تدريس بعض العلوم فى مدارسه *

لم يطل أمد هذه المدارس بل أغلقت بعد سنتين من تاريخ انشائها اذ لم ترق فى نظر القائمين بالتعليم فى الحكومه الروسية فرض تلستوى حزناً على اخفاق مشروعه الجليل

وفى ٢٣ سبتمبر سنه ١٨٦٢ اقترن الكونت تلستوى بالسيدة صوفيا بيرس وكان عمره اذ ذاك

أربعة وثلاثين عاماً وعمر زوجته ثمانية عشر * وهى ابنة الطبيب الروسى بيرس ولد فى مدينة موسكو وفيها تربى ومن جامعتها نال شهادته * وبعد مضى أسبوعين من زواج الكونت كتب الى صديقه الشاعر فت جواباً يقول فيه انه سعيد بزواجه وشاعر بتغيير عظيم فى حياته *

أنجب لتلستوى من السيدة صوفيا ثلاثة عشر ولداً ولد البكرى فى يوليو عام ١٨٦٣ ومن ذلك الحين شرع الكونت فى تأليف رواياته الشهيرة فألف رواية الحرب والسلم ورواية حنا كارينينا فنالتا شهرة واسعة لدى كتاب روسيا الاحرار منهم والمحافظين وترجمتا الى أكثر اللغات الاوروبية ولا غرو فى ذلك فان شدة عنايته بالتأليف وتثبته مما يكتب جعلته فى مصاف أعاظم الكتاب ويكفى لذلك برهاناً انه نسخ رواية الحرب والسلم سبع مرات قبل ارسالها الى المطبعة لكثرة ما كان يدخله فيها من التغييرات والاصلاحات * اعتلت صحة الكونت من شدة اجهاد الفكر

والانكباب على التأليف فأشارت عليه زوجته التى كانت تعاونه على نسخ بعض مؤلفاته بالسفر الى (سامارا) فسافر اليها عام ١٨٧ وأقام فى قرية تدعى (كارالياك) بين قبيلة من البدو فسر من معاشرتهم ووافقته عاداتهم وكانت فى هذه الجهة طائفة كبيرة لها عقائد تغاير عقائد الارثوذوكس فى روسيا لانهم لا يتبعون غير ماجاء فى الانجيل وينبذون جميع شعائر وطقوس الكنيسة اليونانية * فلما رآهم تلستوى بهذه الحالة ورأى ماهم متصفون به من الامانة والجد والعفة والاستقامة أخذ يدرسهم درساً وافياً متلذذاً بهذا البحث الجديد * ولفرط ابتهاجه بهذه الزيارة ابتاع ضيعة فى هذه الناحية تبلغ ألفى فدان بيد ان ابتهاجه لم يطل حيث ساء المحصول بعدئذ وتفشت المجاعة عام ١٨٧٢ و١٨٧٣

هذا ملخص رحلة تلستوى الى (سامارا) أما فيما يختص باشتغاله بالفلسفة فانه حتم على نفسه دراسة اللغة اليونانية التى لم يوفق الى دراستها فى الجامعة وانقطع عام ١٨٦٩ الى دراسة فلسفة شوبنهور لكثرة اعجابه

بهذا الفيلسوف وقد صرح لاصدقائه بأنه لم ير فى حياته من هو أشد فطنة وعبقرية من شوبنهور وكان كثيراً مايترجم كتاباته بالاشتراك مع صديقه (فت)*

ان الحوادث التى شاهدها تلستوى جعلته ينعم النظر فى الحياة والغرض منها ويفكر فى الحرب ومصير الانسان وأهم هذه الحوادث التى أثرت فى نفسه الحروب التى حضرها فى الطونه وسيفاستبول ورؤية آلة الاعدام فى باريس وموت أخيه المحبوب بين ذراعيه والمظالم التى كانت ترتكب فى روسيا وكانت هذه الخواطر تتجدد فى نفسه من آن لآخر بتجدد الكوارث والمصائب وبعد ان مرت عليه فترة استراح فيها قليلا من الحوادث المزعجة مات اثنان من أبنائه فى عام ١٨٧٣ ثم ماتت عمته فجزع لهذا المصاب الجلل وداهمته الهموم وأخذ يفكر فى الموت فنمت فيه عاطفة الخير ومحبة الانسانية ولاسيما عند نشوب الحرب الروسية التركية *

كان تلستوى عضواً مخلصاً من أعضاء الكنيسة

الاورثودوكسية الى أن نشبت الحرب بين روسيا وتركيا لكنه لما رأى القسوس يقيمون الصلوات لهزيمة عدوهم وكسر شوكته ويتضرعون الى الله ان ينصرهم ويعينهم على قتل المئات والالوف من جيوش الترك استاء من الكنيسة ونقم عليها وكان قبل ذلك بثلاث سنين أشد تعبداً وملازمة للكنيسة من القسوس أنفسهم وبعد ذلك حاول الانقطاع الى الاشتغال بالزراعة من سنة ١٨٨٠ فانقبض عن المجتمعات والاخوان وكان يستيقظ مبكراً فى الصباح وينطلق الى الحقل فيحرث الارض ويحصد القمح ويساعد الارامل والايتام فى أعمالهم الزراعية وفى هذه الاثناء تعلم صنع الاحذية وكان يسر اذا أثنى عليه لمهارته فى هذه الصناعة وامتنع من أكل اللحوم كلية ومن الصيد والتدخين

وفى عام ١٨٨٢ أصدرت الحكومة الروسية أمراً باجراء احصاء عام وطلبت متطوعين يساعدونها على القيام بهذه المهمة فتطوع الكونت للاحصاء فى موسكو * ولما كانت مثل هذه الفرصة تمكن

المحصين من الاطلاع على حالة الفقراء والوقوف على
مقدار بؤسهم وشقائهم الف كتاباً عنوانه «ماذا نعمل؟»
بحث فيه عن الفقر وعلله وعلاجه وانتقد الاغنياء ورماهم
بالكسل ثم فكر فى التنازل عن جميع أملاكه وأمواله
الا أن الحكومة وظروف أسرته حالتا دون تنفيذ فكرته
فتدبر فى الامر زمناً ثم دعا زوجته الى غرفته وقال لها
ان أملاكه الخصوصية صارت حملا ثقيلا على عاتقه
وانه يعد الغنى جرما والثراء اثما ولذا يبغى التخلص
من املاكه * ثم تنازل عنها عام ١٨٨٨ فقسمها بين
فلاحيه وصار يشتغل فيها كواحد منهم *

وبعد اجراء احصاء سنة ١٨٨٢ شرع تلستوى
يؤلف سلسلة رسائل قصصية صغيرة كى يسهل على
عامة الاهالى فى روسيا قراءتها والاستفادة منها
فتعهدت احدى الجمعيات طبعها فانتشرت انتشاراً
عظيما فى جميع انحاء روسيا . ومن أشهر هذه
الرسائل قصة «حنا المجنون» طبعت عام ١٨٨٦ و«قوة
الظلام» (١٨٨٥) لكن الحكومة لسوء الحظ أوقفت

طبعها لما حوته من الافكار الاشتراكية ورأت من
كثرة تداولها وشدة تهافت الناس على تلاوتها *

وفى عام ١٨٩١ ذاعت أخبار الاضطرابات
الاجتماعية والدينية التى أثارها أهالى القوقاز ولا سيما
(الدخوبوريون) البالغ عددهم ١٦٠٠٠ نفس وانهم
قسموا أراضيهم وأمتعتهم فيما بينهم وسنوا قوانين
لانفسهم واتبعوا ديانة بينة لا غموض فيها وتركوا
الشعائر والطقوس المبهمة ورفضوا الخدمة فى الجندية
واستخفوا بحكام القوقاز * وان الحكومة لما رأت
ازدياد عددهم واصرارهم على مبادئهم وتمسكهم
بعقائدهم استعملت الشدة معهم فاعتقلت زعماءهم
وعاقبت مئات منهم عام ١٨٩٥ فاهتم تلستوى بهذه
الحركة اهتماماً عظيما واحتك بهم وشدد عزائمهم وأخذ
بناصرهم ودافع عنهم فى أشد المواقف حرجاً واستنجد
الدول وطلب منها التداخل فى المسألة وتوقيف المظالم
التى ترتكبها الحكومة الروسية لاخضاعهم فأدى ذلك
الى منع الحيف والاضطهاد عنهم وسمح لهم بالمهاجرة

ألف تلستوى رواية « البعث » مساعدة للدوخوبوريين وتشجيعاً لهم وضمنها ما نالهم من الاضطهاد وحمل فيها على الكنيسة الاورتودوكسية حملة شعواء * والظاهر ان هذه الرواية هى التى كانت من أقوى الاسباب فى حرمانه من الكنيسة بقرار المجمع المقدس فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٠١ وعلى أثر ذلك أرسلت زوجة الكونت تلستوى احتجاجاً الى رئيس المجمع بيطرسبرج لحرمان زوجها من الكنيسة *

أما الكونت فانه لم يعبأ من بادىء الامر بالقرار غير انه اضطر أخيراً الى الرد عليه لان بعض الذين لم يدرسوا تعاليمه ممن لا يعرفونه هددوه بالقتل وأرسلوا اليه رسائل ملؤها الشتائم واللعنات بالرغم من تأييد طلبة المدارس العالية له وتخطئتهم لقرار المجمع والحقيقة ان حرمان تلستوى من الكنيسة أدى الى عكس ما أراده رجال الدين لان العالم الروسى تنبه فجأة من سباته العميق واعترف بأن هذا الفيلسوف هو أعظم مرب ومهذب لهم وانه أنبغ

رجل أنجبته الروسيا فأحسن الناس معاملته وأحلوه المحل اللائق به من الاحترام والاجلال وتوالت عليه الرسائل من كل فج عميق كلها تنطق عن اعجاب الامة به

لم يزدد نفوذ تلستوى وتأثيره فى روسيا فقط بل تجاوزها الى سائر الامم الاوروبية أيضاً . وظل مثابراً على خدمة الامة والانسانية بقلمه السيال وآرائه الفلسفية ومباحثه العلمية الى ان مات شهيد الخدمة العامة * وخلف وراءه كثيراً من الكتب والمقالات والقصص المطبوعة والمخطوطة التى لم يتمكن من طبعها فى حياته * وقاسى فى أواخر أيامه متاعب جمه بالنظر الى حالة مملكته التعسة التى مزقت قلبه ونغصت عليه عيشه وأطلقت قلمه بعد أن مكث زمناً لا يكتب فى المسائل السياسية فنشر فى أمهات الصحف الاوروبية خطاباً مؤثراً عنوانه « لا طاقة لى على السكوت بعد الآن » صرح فيه بأن مملكته التعسة المسكينة تكابد صنوف المظالم ودعا جميع الاحزاب الى ترك البغضاء ونبذ العداوة جانباً

وخاطب الحكومة قائلا « اذا كان لا بد لك من اقتراف الجرائم وقتل الانفس فهاك رقبتى التى طال عهدها أقدمها فدية لأبناء وطنى »

لم يكن تلستوى فى حياته سعيداً بل كان فيها مغموماً مهموماً ساخطاً ولم يتوصل الى نظرية تساعده على حل لغز الحياة * وكثيراً ما كان يسائل نفسه لماذا أعيش ؟ » ، وكيف ينبغى أن أعيش ؟ » لكنه على كل حال كان يعتد برأى المتدينين وهذا ما حدا به الى دراسة الديانة الاسلامية والمسيحية والبوذية وكان يعتقد ان الفقراء هم السعداء وان العيشة التى توافق العقل الصحيح هى العيشة الساذجة الخالية من التكاليف ومساوى الترف ويرى ان الانسان يجب عليه أن يكد ويسعى ولكن لالذاته فقط كالحيوان بل للناس كافة *

يعتقد تلستوى بالاناجيل الاربعة ويعتبر ما عداها خارجاً عن المسيحية الحقيقية وهو مع ذلك لا يسلم بكل ما جاء فى هذه الاناجيل وكان ينكر سر

الفداء والثالوث الاقدس والوهية المسيح ويعتقد ان الحياة لا تنتهى بالموت *

وفى أواخر أيامه استاء من رفاهية زوجته واسرته فكان يهم بمغادرة منزله واسرته وكلما هم بذلك منعته مبادؤه السامية الا انه صمم أخيراً على فراقهم فخرج ذات ليلة ممطرة من منزله برفقة أحد أصدقائه فلم يحتمل شدة البرد فقصد بيت ناظر محطة (استابوفو) وهناك تأثر بالالتهاب الرئوى ولازمه حتى مات فيلسوف روسيا العظيم * وذلك فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٠

محمد رضا

الآفات الاجتماعية وعلاجها

الارض والعمل

(١)

﴿ مثل لملكية الارض الخاصة ﴾

رأيت الناس كقطيع من الثيران والبقر والعجول داخل سياج من سلك خارجه مرعى أخضر جميل وعشب كثير وداخله عشب قليل غير كاف لرعيها فلذا تتزاحم وتتناطح وتتراكض للحصول على هذا العشب اليسير *

ورأيت صاحب الماشية رجلا كريم السجايا متبصراً وافاها مرة فأحزنه مارأى من سوء حالها ففكر فيما يصلح شأنها فابتنى لها حظيرة طلقة الهواء عذبة الماء وجعل لها مظلة تقيها حر الشمس وبرد الليل وربط أطراف قرونها منعاً لتناطحها الشديد

عند تزاحمها وتنازعها ما به البقاء وخصص جزاً منها بالثيران والبقرات المسنة وطوقه بالاسلاك لتأمن فى أواخر أيامها ثمر الشجار وتضمن العشب لغذائها

ولما رأى العجول تتضور جوعاً حتى ان الكثير منها يقتل بعضها البعض ويموت * ومابقى منها يعيش هزيلا غير نام ولا صالح للعمل فكر فى وجوب اعطائها لبناً تفطر عليه صباح كل يوم لتعيش وتنمو وما لم يشبع منها يبقى على قيد الحياة *

والحق يقال ان صاحب الماشية بذل طاقته لاصلاح حالها بيد انى لما سألته عن سبب اجتنابه أمراً واضحاً هو ازالة السياج التى هى داخله واطلاق سراحها قال لو فعلت ذلك لما استطعت حلبها

(٢)

﴿ تقسيم العمل ﴾

مهما عاش الانسان وكيفما عاش فان منزله والسقف الذى يعلوه لا يبنيان من تلقاء نفسيهما والوقود الذى فى موقده والماء والغذاء والملبس والحذاء لا يأتى

شيء منها اليه بنفسه والخبز لا ينزل اليه من السماء بل لا بد في وصول ذلك اليه من أيد تعمل فيه ورجال تصنعه له وليس الصانع له هو رجال الازمان الغابرة فقط بل رجال الوقت الحاضر يعملون له هذا العمل أيضاً ومنهم مئات وألوف تخور قواهم ويموتون من فرط الجهد للحصول على ما يفي حاجتهم وحاجة أولادهم من مأوى وملبس ومأكل كي يدفعوا عنهم غوائل التألم والموت المعجل *

الناس كافة يكافحون لعوزهم مكافحة شديدة حتى ان كثيرا من اخوانهم وآبائهم وامهاتهم وأولادهم من حولهم تدركهم المنية من أجل ذلك * ومثلهم مثل ركب سفينة معطلة العدد ليس فيها سوى الكفاف من القوت أوجدهم الله أو الطبيعة فيها ليدبروا عيشهم ويتقاتلوا على الدوام بسبب احتياجهم *

ان في كل عائق في سبيل عمل كل واحد منا وكل ابتزاز لعمل غيرنا لا فائدة فيه للمصلحة العامة أمرين مضرين بنا وبذلك الغير على السواء ولكن ما بال جمهور

المتعلمين يبتز عمل الغير بهدوء من غير نصب في حين انه ضروري لحياته ثم يعتبر ذلك أمرا طبيعياً ومعقولا ،

اذا كان من الغريب جداً ان نرى حذاء يحسب الناس ملزمين باطعامه لمثابرته على صنع احذية لاحتياج لاحد اليها ، فما قولنا في أرباب الحكومة والكنيسة والفنون والمعارف الذين لا يؤدون للناس عملا جلي الفائدة ولا يحتاج أحد الى ثمرة عملهم يطلبون بدون مبالاة أن يأكلوا أطيب المآكل ويلبسوا أفخر الملابس بمقتضى (تقسيم العمل) *

نعم تقسيم العمل لم ينعدم أصلا الا انه غير صحيح ولا يكون صحيحاً الا اذا أقر الانسان بعقله وضميره على ما ينبغي ان يحتوي عليه * وعقول الناس وضمائرهم تحل هذه المسألة بأسهل الطرق وأوكدها *

انهم يعترفون بان تقسيم العمل يكون صحيحاً متى كان مجهود الانسان ضروريا لآخرين حتى اذا ماسألوه ان يخدمهم قدموا له الغذاء مختارين راضين نظير ما يؤديه اليهم من الاعمال *

فاذا عاش انسان منذ الطفولة الى سن الثلاثين عالة على كواهل الناس وهو يعد بأنه عند ما يتم دراسته يؤدى اليهم عملا نافعا جدا الا أنه لم يطالبه أحد بادائه ثم بقى كذلك طول عمره يعد نفس هذا الوعد فان ذلك لا يمكن ان يكون تقسيما عادلا بل هو اغتصاب القوى لكد العاملين وهو عين التملك بوضع اليد الذى أطلق عليه اللاهوتيون اسم المقدر الالهى * وسماه الفلاسفة بالامور التى لا مفر منها فى الحياة ويسمى الآن (تقسيم العمل) *

ان تقسيم العمل وجد فى جميع الازمنة الماضية فى المجتمع الانسانى وأستطيع أن أقول انه سيوجد على الدوام ولكنا لا نتساءل عن وجوده المستمر فى الماضى أو المستقبل من حيث هو بل نتساءل عن وجوده عادلا وعن طريقة تجعله كذلك *

تقسيم العمل ، يشتغل بعض الناس بالامور العقلية والروحية وبعضهم بالاعمال العضلية والجسمية ولكن بأى ضامن يظهر الناس هذه الاعمال ؟ انهم يريدون

التفكير بهذه الطريقة فيلوح لهم فى الحقيقة تبادل عادل للمنافع ولكن هذا التبادل كان هو الجور الوحيد فى الازمان الغابرة

أنت أو أنتم (لان المجموع دائما هو الذى يخدم الفرد) تطعموننى وتكسوننى وتؤدون الى كل عمل شاق احتاج اليه منكم تعودتم القيام به منذ الطفولة وسأقوم لكم بمقابلة ذلك بأداء عمل عقلى تعودته فاعطونى الغذاء الجسمى اعطكم مقابله الغذاء الروحى

هذه القضية يظهر انها صحيحة وانها كذلك ان كان تبادل المنافع حرا بان كان هؤلاء الذين يقدمون الغذاء الجسمى غير مضطرين الى تقديمه قبل حصولهم على الغذاء الروحى ولكن تبادل المنافع ليس حرا لان مقدم الغذاء الروحى يقول لمقدم الغذاء الجسمى :

« يجب علىك اطعامى والباسى وتطهير مسكنى من كل الاقذار قبل الشروع فى خدمتك باعطائك الغذاء الروحى كى أستطيع تقديم هذا الغذاء الروحى اليك »

فلو كان الواجب على مقدم الغذاء الجسمى ان

يقوم بعمله من غير أن يطالب بشيء ويعطى الغذاء الجسمى وان لم يتسلم الغذاء الروحى لما كان التبادل حرا لعدم تساوى شروط الطرفين *

اننا نسلم ان الغذاء الروحى ضرورى للانسان كالغذاء الجسمى فلماذا لا يقول أرباب هذا الغذاء اننا نطلب من العلماء والمتفننين قبل الشروع فى خدمتهم باعطائهم الغذاء الجسمى أن يقدموا لنا الغذاء الروحى واننا لا نستطيع ان نقدم الغذاء الجسمى حتى نتسلم الغذاء الروحى *

فان قلت ياعالم أويا متفنن « انني فى حاجة الى عمل الحارث والصانع والحذاء والنجار والبناء وغيرهم لاعداد الغذاء الروحى الذى انا ملزم بتقديمه »

قال لك العامل اننى احتاج قبل الشروع فى اعداد الغذاء الجسمى لكم الى ثمار الروح ولكى أحصل على القوة على العمل أحتاج الى التعليم الدينى والنظام الاجتماعى للحياة الاعتيادية والى تطبيق العلم على العمل والى المسرات والمسليات المستمدة من الفنون

انا ليس لدى وقت أعلم نفسى فيه مغزى الحياة. فعلمونيه ليس لدى وقت أفكر فيه فى قوانين الحياة الاجتماعية التى تحول دون اغتصاب الحقوق. فسنوا لى هذه القوانين * ليس لدى وقت أدرس فيه الميكانيكا والفلسفة الطبيعية والكيمياء. فدونى بالكتب التى تبين كيفية اصلاح آلات عملى وطرقه ومسكنى ووقودى واشعاله. ليس لدى وقت اشتغل فيه بالشعر وصناعة التماثيل والموسيقى فاعطونى هذه المؤثرات والمسليات الضرورية للحياة *

فان قلت ياعالم ويامتفنن يستحيل علىّ ان أؤدى العمل المهم الضرورى اذا حرمت من كد العاملين لمصلحتى

قال لك العامل أيضاً « يستحيل على ان أؤدى عملى المهم الضرورى الذى لا يقل فى أهميته عن عملك » كالحرث وازالة الاقذار وتنظيف البيوت اذا حرمت من ارشاد دينى ملائم لعقلى وضميرى ومن معلومات تسهل عملى ولذة ترفع شأنه وتساعدنى على اتمامه

ان كل ما قدمتموه الىّ للآن بشكل غذاء روحى لا فائدة لى فيه أصلا بل لا يمكن أن أتصور ان امرأ يستفيد منه فائدة ما . فان لم آخذ الغذاء الروحى الذى يناسبنى فانى لا أستطيع أن أنتج غذاء جسمياً ؛

فهل من حرج على العمال ان قالوا هذا القول ؛ انهم لو قالوه لما كان باطلا منهم بل كان حقاً أبلج . العامل أحق بهذا القول من العالم لان عمل العامل أكثر أهمية وأشد ضرورة من عمل المشتغل بالعقل ولان العالم لا شىء يمنعه من أن يعطى الغذاء الروحى والعامل تمنعه من اعطاء الغذاء الجسمى موانع اذ هو نفسه محتاج اليه *

ماذا يكون جوابنا نحن المشتغلين بعقولنا اذا طولبنا بمثل هذه المطالب الحقة السهلة ؛ وكيف نقوم بوفائها ؛ اننا لتغافلنا عن العامل لا نعلم مايحتاج اليه فتخبطنا فى عمانا ونسينا معيشته وحكمه على الاشياء ولغاته والواجب الذى اخذناه على أنفسنا له والسبب الذى من اجله تنجز أعمالنا وجعلناهؤلاء الذين تعهدنا

بخدمتهم غرضاً لمجهوداتنا العلمية والفنية * اننا انما ندرسهم لمسراتنا ولهونا وغفلنا عن ان الواجب لا يقضى علينا بان ندرس ونصف فقط بل يقضى علينا بأن نخدمهم أيضاً *

لقد آن لنا أن ندرك بحواسنا وننعم النظر فى أنفسنا اننا فى الواقع لسنا الا ككتاب ورهبان جالسين مجلس موسى وفى أيديهم مفاتيح ملكوت الله فلا هم يلجونه ولا هم يسمحون لغيرهم بولوجه * اننا نعدم اخواننا الحياة ومع ذلك نعد أنفسنا مسيحيين ومهذبين وأتقياء *

(٣)

﴿ الى العمال ﴾

« ستعرفون الحق والحق يحرركم » يوحنا اصحاح ٨ : ٣٢

قد دنا أجلى وأبغى أن أنبئكم أيها العمال قبل منيتى بما فكرت فيه من حرج مركزكم ومن الوسائل التى تحررون بها أنفسكم وتخرجون من هذا المأزق عسى أن ينفعكم ما فكرت فيه وما أفكر فيه (وقد

فكرت كثيراً فى ذلك)

انى أخاطب بطبيعة الحال العمال الروسيين الذين أعيش بين ظهرانيهم والذين أنا أكثر علما بحالهم من عمال الممالك الاخرى غير انى أرجو ان يستفيد من بعض أفكارى عمال الممالك الاخرى ايضاً *

« ١ »

لستم أيها العمال مجبرين على تمضية حياتكم فى عوز وشغل شاق مع أن غيركم ممن لايشتغل أبدا ينتفع بكل ماتنتجونه * ولستم عبيدا لهؤلاء الناس وليست هذه الحالة مما ينبغى بقاؤها وهذا واضح لكل من له عينان وقلب ولكن ما الذى ينبغى عمله لتغيير هذه الحالة ؟

يظهر ان أول حل سهل طبيعى لهذه المسألة هو انه ينبغى أن تنتزع بالقوة ثمرة مجهودكم من هؤلاء الذين يعيشون من وراء الانتفاع بها انتفاعا غير شرعى وهذا مافعله الارقاء فى الدولة الرومانية فى العصور الاولى والمزارعون فى جرمانيا وفرنسا فى القرون الوسطى

والشعب الروسى فى زمن ستنكا رازين وپوجاشوف وما يفعله عمال الروس من آن لآخر *

هذه الوسيلة وان كانت تعرض للعمال الذين أصابهم حيف قبل غيرهم لكنها تضر بمجموعهم أكثر مما تصلحه ومع ذلك لايمكن ان يبلغوا بها غرضهم

وقد كان الانسان فى الازمان الغابرة عندما كانت الحكومات أقل قوة واقتداراً مما هى الآن يؤمل نجاح أمثال هذه الفتن أما وقد أصبح الآن من حوزة الحكومة كثير من الاموال والسكك الحديدية والتلغرافات ورجال الشرطة والجندرمة والعساكر فأمثال هذه المساعى لانجاح لها وان وجدت فلا دوام لها بل تنتهى كما انتهت الفتن فى حكومتى بولتافا وهاركوفا بتعذيب مثيريها وبقاء تفوق العاطلين على العاملين *

ان مثلكم معاشر العمال فى محاولتكم مقابلة الجور بالعنف مثل الموثق الذى يحاول الخلاص من وثاقه بشد قيوده فيزيد عقودها تماسكا . هذا هو حالكم فى محاولتكم

أن تنالوا بالقوة ماحرمتم منه بالقوة *

« ٢ »

قد صار من الواضح الآن أن طرق الفتن لاتأتى بالغرض المقصود منها بل تضر بمركز العمال بدلا من أن تصلحه ولذا ابتكر أخيرا قوم (ممن يرغبون أو يقولون انهم يرغبون فى خير طبقات العمال) وسيلة لتحريرهم مؤسسة على التعاليم القائلة بأن العمال بعدان سلبوا أراضيهم التى كانوا يمتلكونها ثم أصبحوا عمالا مأجورين فى المعامل (وهذا أمر متوقع لابد من حصوله بحسب هذه التعاليم كما ان الشمس لامحالة من بزوغها فى ساعة معينة) ستتحسن حالهم شيئا فشيئا بواسطة تنظيم جمعيات التعاون والنقابات والمظاهرات وانتخاب المتحزبين لهم فى البرلمان فيمتلكون فى النهاية الطواحين والمعامل والارض وكل موارد الانتاج فيعيشون بعدئذ أحرارا سعداء *

ان التعاليم بهذه الطريقة ملأى عقبات وآراء جائرة متناقضة وليست الا حمقا ومع هذا قد ازدادت

انتشارا فى الايام الاخيرة وصادفت قبولا ليس من الممالك التى ترك السواد الاعظم من سكانها الاشتغال بالزراعة منذ أجيال فقط بل من الممالك التى لم يخطر ببال جماعات العمال فيها الى الآن ترك الارض أيضا

كان المظنون ان التعليم الذى يدعو القروى بادىء بدء الى ابدال عاداته وحالته الصحية وسعادته فى عمله الزراعى المتنوع بعادات اخرى محزنة مضرة ومتجانسة مملة وبحالة غير صحية وشقاء فى العمل ويدعوه أيضا الى ترك الاستقلال الذى يشعر به والقناعة بما يتحصل له من عمله والى الوقوع فى ساطة صاحب المعمل - كان المظنون ان هذا التعليم لايصادف نجاحا ما خصوصا فى البلاد التى لايزال عمالها يعيشون بالزراعة الا ان هذا التعليم وهو المذهب الحديث المسمى بالاشتراكية صادف نجاحا حتى فى الممالك التى يشتغل ٩٨ ٪ من عمالها بالزراعة كالروسيا فقبله بصدر رحب ٢٪ من العمال وهم الذين انقطعوا عن الزراعة وذلك ان العامل الذى يترك الزراعة يضطر الى الانقياد الى كل تغرير

يتعلق بالبلد وبحياة المعمل ولا يتحقق من تغرير المغررين الا بتعليم الاشتراكية الذى يعتبر ازدياد الحاجات دليلا على رقى الانسان *

تمسك هؤلاء العمال بشذرات من تعليم الاشتراكية فطفقوا يخطبون على اخوانهم بحماسة مخصوصة معتبرين أنفسهم مصلحين وأعلى مقاما من المزارع الجاف الذى يشتغل فى القرية وليس فى روسيا لحسن الحظ من هؤلاء العمال الا فئة قليلة والسواد الاعظم منهم فيها لم يسمعوا درس الاشتراكيين ومن سمع به منهم عده غريبا عنه لادخل له فى حاجاته *

ان كل تلك الاساليب الاشتراكية كالاتحاد والمظاهرات وانتخاب الموالين للاشتراكية أعضاء فى البرلمان التى يسعى بواسطتها عمال المعامل للخلاص من مركزهم الحقير لافائدة لها لتحرير عمال القرى * والحقيقة انهم ليسوا فى حاجة الى رفع الاجور أو نقص ساعات العمل أو التعاون بل هم فى حاجة الى شىء واحد فقط وهى الارض التى ليس لديهم منها غير جزء صغير لسد

رمق أسرهم والاشتراكيون لم يتعرضوا لذلك أصلا

يقول علماء الاشتراكية إن أهم آلات العمل هى المناجم والمعامل ثم الارض ولكى يحصل العمال على الارض ينبغى لهم بادىء بدء مكافحة أصحاب الاموال لامتلاك الطواحين والمعامل فاذا ما امتلكوها استطاعوا امتلاك الارض أيضا * امتلاك الطواحين والمعامل ليس ضروريا للعمال كامتلاك الارض الا ان الاشتراكيين يقولون لهم « دعوا الارض أولا وابذلوا جهدكم فى امتلاك الطواحين والمعامل فانكم بعد ما تملكونها تملكون الارض أيضا » هذه هى الطريقة المعقدة التى يراها الاشتراكيون * .

ان الضرورة التى تقضى على المزارع بحيازة الطواحين والمعامل غير الضرورية له للحصول على الارض الضرورية له تذكرنا باحدى الطرق التى يتخذها بعض المرابين وهى انك اذا طلبت من أحدهم أن ينقدك مبلغ ألف روبل وأنت لا يلزمك الا النقود قال لك « لا أقدر أن أنقدك ألف روبل فقط بل

أعطيك خمسة آلاف * أربعة آلاف منها عروضا على أشكال مختلفة من صابون وحرير وغير ذلك مما لاتحتاج اليه والالف الذى أنت فى احتياج اليه أعطيه لك نقداً »

فهؤلاء الاشتراكيون نظير هؤلاء المرابين ينصحون لعمال بترك أرض يتألمون من جراء فقدانها وبالسعى لامتلاك معامل تصنع مدافع وبنادق وروائح عطرية وصابونا ومرائى وشرائط وكثيراً من أدوات النعيم والترف لاحاجة لهم اليها الا أنه يقال للعمال بعدأن يتعلموا عمل المرائى والشرائط ونحوهما بحذق ومهارة وبعد ان تفقد منهم القدرة على فلاحة الارض تملكوا الارض أيضاً :

المعيشة من الارض والتغذى مما تنتجه أهنى معيشة للانسان وأوفر سعادة له فى استقلاله فى حياته وسيبقى كذلك الى ماشاء الله وهذه حقيقة قد أدركها الناس من قبل وهم لايزالون يدركونها ولذا تراهم فى كد مستمر لايكفون عن العمل كالاسماك فى الماء وما شاكلها فى حياتها لكن التعاليم الاشتراكية تقول

إن الناس لاتلزمهم حياة كهذه بين النباتات والحيوانات وإن كان فى استطاعتهم الحصول على مايفى حاجتهم الضرورية من عملهم الزراعى بل تلزمهم حياة فى مراكز صناعية وهى وإن كانت ذات جو فاسد فان حاجاتهم فيها ستكون فى ازدياد مستمر فلا يمكنهم قضاؤها الا بالاشتغال فى المعامل بلا بصيرة *

والعمال الواقعون فى اشراك حياة المعامل يعتقدون ذلك ويبذلون كل مجهود مع أصحاب الاموال فى نقص ساعات العمل وزيادة الاجور واهمين أنهم بذلك يؤدون عملا جليلا فى حين ان أهم ماينبغى أن يفعله عمال حرموا من الارض هو تسخير قواهم لاستنباط الطرق التى تمهد لهم الرجوع الى المعيشة فى وسط الطبيعة والعمل الزراعى *

يقول الاشتراكيون « اذا كانت الحياة فى وسط الطبيعة خيراً فى الواقع من الحياة فى المعامل فان عمال المعامل لازدياد عددهم زيادة كبيرة فى الوقت الحاضر واتركهم الحياة الزراعية منذ زمن بعيد قد أصبحت

أوبتهم الى حياتهم الاولى مستحيلة وأيضا عودتهم الى الارض تقلل من غير داع مصنوعات المعامل وهى التى تكوّن ثروة الشعب على انه لاتوجد اراض تكفى لاقامة ومعيشة جميع عمال المعامل »

فنقول هذه الدعاوى مردودة اذ لاصحة لادعائهم ان عودة عمال المعامل الى الارض تقلل ثروة الشعب لان الارتزاق من الارض لايمنع العمال من أن يشغلوا جزأ من وقتهم بالصناعة فى البيوت أو فى المعامل نفسها وعلى فرض انه يمنعهم من ذلك نقول انه اذا قل صنع المواد العديمة الفائدة والمواد الضارة التى تصنع الآن بسرعة فائقة فى المعامل الكبيرة ووقف عمل ما يزيد عن الحاجة من المواد الضرورية وزادت فى مقابلة ذلك كمية الحبوب والخضروات والفواكه والدواجن فان ذلك لاينقص ثروة الشعب أصلا بل يزيدها *

أما ادعاؤهم انه لا أراضى تكفى لاقامة ومعيشة جميع عمال المعامل فهو خطأ لان الارض التى يمتلكها كبار الملاك فى معظم الممالك تكفى لمعيشة جميع العمال

(بغض الطرف عن روسيا فان أرضها التى فى حوزة كبار الملاك كافية لجميع عمال روسيا وأوروبا بأسرها) حتى فى انجلترا و بلجيكا اذا بلغت الزراعة فى تلك الاراضى مبلغا من الكمال الذى يمكن الوصول اليه بواسطة الاصلاحات الفنية الحديثة أو اذا بلغت ما بلغته الصين فى الزراعة منذ ألف عام *

وليطالع من يهمهم هذه المسألة كتابى كروباتكين وهما غزو الخبز، « والحقول والمعامل والمصانع » فانهم يرون الى أى حد تصل الزيادة فى الحاصلات الناتجة من اتقان الزراعة وفى عدد الذين يمكنهم التعيش من مساحة معينة من الارض *

ان صغار المزارعين أيضا يستخدمون الطرق الزراعية القويمة اذا لم يجبروا (كما هو الحاصل الآن) على تقديم كل أرباحهم الى الملاك الذين يستأجرون منهم الارض وليسوا فى حاجة الى زيادة حاصلاتها لتناولهم بدون كد ايرادا طائلا من الارض *

يقال ان جميع العمال اذا آبوا الى الزراعة فليس

هناك اراض خالية لهم فمن العبث البحث فى مسألة امكان تملك العمال للارض مادام الملاك القابضون على أزمتها حائلين دون امتلاكها *

ان مثل ذلك كمثل منزل خال من السكان يمنع صاحبه دخول جماعة ازدحموا ببابه ذات يوم باردعاصف يتلمسون لانفسهم مأوى بحجة انه ليس من الحكمة ان يدعوهم جميعا الى داره لضيقها وكان الاخلق به أن يأذن بالدخول للذين يؤملون ذلك منه * ثم لينظر هل يسع منزله الجميع أو البعض فقط فاذا لم يسعهم جميعا فليسمح بالقدر الذى يسعه المكان *

هذا المثل ينطبق على الارض كل الانطباق * دع الارض التى حيل بينها وبين العمال تحت تصرف الذين يطلبونها ثم انظر فيما اذا كانت تكفيهم أم لا

ان اعتبار عدم كفاية الارض للعمال الذين يشتغلون الآن فى المعامل خطأ جوهرى أيضا *

اذا كان أهل المعامل يشترون القمح الآن لغذائهم فلماذا لا يزرعون بأنفسهم الارض التى تثمر قمحا بدلا

من أن يبتاعوه من محصول غيرهم سواء كانت هذه الارض فى الهند أو الارجنتين أو أوستراليا أو سيبيريا

فكل مايقال من ان العمال لاينبغى لهم أولا يمكنهم الانتقال الى الارض لا أساس له بل من الواضح ان هذا الانتقال البعيد عن كل ضرر يلحق بالمصلحة العامة يزيد النفع العام ويضع حدا لتلك المجاعات المزمنة فى الهند وروسيا وغيرهما وهى أعظم دليل على سوء توزيع الارض *

نعم ان الممالك التى اختصت بمصنوعات المعامل وانتشرت فيها تلك المصنوعات كانجلترا وبلجيكا وبعض الولايات المتحدة فى أمريكا قد تحولت فيها حياة العمال الى حد يظهر معه انه يتعذر عليهم الرجوع الى الارض

الا ان الصعوبة فى اوبة العمال الى الحياة الزراعية لاتمنع من تحققها فلذا ينبغى أن يدرك العمال ان هذه الاوبة لابد منها لسعادتهم وأن يبحثوا عن وسائل تحقيقها لا أن يقبلوا (كما يتلقنون الآن مبدأ الاشتراكية) رق المعامل رقا أبديا بحيث لايتبدل

ولا يمكن استئصال شأفته وان كانت قد تخف وطأته.
فالعمال الذين هجروا الارض وعاشوا بالاشتغال فى المعامل ليسوا فى حاجة الى جمعيات الاتحاد التجارية والشركات والاعتصابات والمظاهرات الصبيانية فى الشوارع ورفع الاعلام فى أول شهر مايو الخ . بل هم فى حاجة الى شىء واحد فقط وهو استنباط الوسائل لتحرير أنفسهم من رق المعامل وللاقامة فى الارض التى اغتصبها الملاك الذين لا يشتغلون فيها وهذا الاغتصاب أعظم عقبة فى سبيل تلك الاقامة *

هذا ماينبغى للعمال أن يلتمسوه من حكامهم وليس التماسهم هذا أمراً غريبا لا يعنيهم بل هو حق أبلج طبيعى لكل حيوان * وهو الاقامة على الارض والتعيش مما تنبته بدون استئذان أحد فى ذلك *

(٤)

يجب الغاء ملكية الارض لما نجم عنها من الظلم والجهالة والقسوة ولكن كيف يمكن الغاؤها ؟

ان الرق قد ألغى من جميع الممالك لا من روسيا

فقط بأوامر عالية أصدرتها الحكومات ولا يمكن الغاء ملكية الارض كهذا بل لا يمكن أن تصدره الحكومات أيضا لان الحكومات كافة مؤلفة من قوم يتعيشون من كد غيرهم وملكية الارض تثمر هذه المعيشة *

فالحكام والملاك يمانعون فى الغاء الملكية والاتباع الذين يخدمون كبار الموظفين والفنيين والتجار ولا نصيب لهم فى الحكومة ولا فى الملكية يجندونها لشعورهم بالطبع بالرابطة بينها وبين فائدتهم أو على الاقل لا يتعرضون لها اصلا عند اعتراضهم الشديد على مسائل هى أقل أهمية من هذه المسألة بمراحل

ان معظم الموسرين يعلمون أو يشعرون بطبيعتهم ان فائدتهم مرتبطة بملكية الارض وهذا هو الذى جعل مجالس النواب التى تدعي الاهتمام بالمصلحة العامة تقترح وتتناقش وتتخذ تدابير شتى لادخال التحسين الموهوم فى حالة الناس ولا تتعرض أصلا للمسألة الوحيدة التى لا غناء للناس عنها فى تحسين حالتهم *

ألا وهى إلغاء ملكية الارض

فلحل مسألة ملكيـة الارض ينبغي بادىء بدء التكلم فى هذا الموضوع المتفق على السكوت عنه فى الممالك التى فى قبضة مجالس نوابها نصيب من الساطة أما فى روسيا حيث كل السلطة بيد القيصر فمن المتعذر اصدار أمر عال بالغاء ملكية الارض اذ الساطة وان كانت بيد القيصر لكنها اسمية فقط وهى فى الواقع بيد مئات من الافراد الذين هم أقارب القيصر وأحبابه وهؤلاء رغبتهم إبقاء الملكية لانهم جميعاً يملكون اراضى شاسعة فهم على فرض انه اراد تحرير الارض يمنعونه منه *

اجبار القيصر الملتفين حوله على نبذ العبودية حينما منح الحرية للمزارعين وان كان عسيراً عليه امر مستطاع بخلاف تحرير الارض لان الملاك ما زالوا يملكون الارض فاذا حررت ونبذت من أيديهم أيقن أصحاب الملك وأقاربه انهم يفقدون بفقدها اخر ما يمكنهم التعيش به وذلك لما اعتادوه من معيشتهم فمن العبث

اذاً ان ننتظر تحرير الارض بواسطة الحكومات على العموم أو بواسطة القيصر فى روسيا على الخصوص

أما أخـذ الارض من الملاك بالقوة فمستحيل اذ الساطة بأيديهم على الدوام وأما الانتظار الى أن تتحقق أمنية تحرير الارض بمقتضى الطريقـة الاشتراكية القائلة بالتأهب لتبديل شؤون العيشة الراضية بالعيشة السيئة رجاء الحصول على « عصفورين فى الشجرة » فهو منتهى السخف وكل عاقل يرى ان هذه الطريقة بعيدة عن تحرير الارض وأنها تجعل العمال أرقاء أذلاء لرؤسائهم وتهيئهم فى مستقبل الايام لان يكونوا عبيداً لاولئك الذين سيديرون النظام الجديد *

وأما انتظار الغاء ملكية الارض من حكومة نيابية أو الاقتداء بمزارعي روسيا الذين ظلوا ينتظرون من القيصر الغاء الملكية منذ عهد القيصر السابق الى الآن فأشد سخفاً لان حاشية القيصر والقيصر نفسه يملكون ضياعا عظيمة وهم وان كانو يدعون الاهتمام بمصلحة المزارعين لا يمنحونهم شيئا واحدا لاغناء لهم

عنه وهو الارض لعلمهم انهم يخسرون بفقدانها مركزهم المثمر * وهو انتفاع الكسالى من كد العاملين *

فما الذى يفعله العمال اذاً لتحرير أنفسهم من العسف الذى يئنون منه ؟

(٥)

قد يلوح لاول وهلة أنهم لاحيلة لهم على فعل أى شيء وأنهم مقيدون بقيود شديدة ليس فى وسعهم الخلاص منها غير ان هذا بحسب الظاهر فقط وفى الحقيقة ان فى وسعهم أن يفعلوا مايحررهم اذينبغى لهم أن ينعموا النظر فى أسباب الحيف الذى أصابهم كى يبين لهم أنهم يملكون عدا الفتن والاشتراكية والانتظار بلا طائل من الحكومة ومن القيصر فى روسيا — وسيلة لايمكن عرقلتها * وهى على الدوام فى قبضة أيديهم

ان السبب الوحيد فى الحقيقة الذى أدى الى نكبة العمال هو ان الاراضى التى فى حوزة الملاك هى التى يفتقرون اليها . لكن ما الذى أمكن الملاك من امتلاك هذه الاراضى ؟

ان العمال اذا سعوا الى استرداد هذه الاراضى أرسلت الحكومة جيوشها لطردهم وضربهم أو قتلهم وسلمت تلك الاراضى للملاك وهذه الجيوش تتألف منكم أيها العمال فأنتم بانخراطكم فى سلك الجندية واذعانكم للسلطة الحربية تمكنون الملاك من امتلاك اراضيهم التى لاينبغى وضع أيديهم عليها *

وكما انكم بانضمامكم الى الجيش تمكنون الملاك من امتلاك الاراضى التى هى ملك للجميع وملك لكم ضمنا كذلك انكم باشتغالكم فى أراضيهم واستئجاركم إياها تمكنونهم من ذلك . فيلزمكم أيها العمال الكف عن هذا كى تصبح ملكية الارض عديمة الجدوى للملاك بل مستحيلة وتبقى ملكا مشاعا ومهما حاول الملاك اعاضة العمال بالآلات والعناية بتربية الماشية وغرس الغابات بدلا من الزراعة فلن ينجحوا بدون عمال فبهذا يتنازلون عن أراضيهم تدريجا سواء أرادوا أم لم يريدوا *

فالسبيل اذاً الى الخلاص من الاستعباد أيها العمال

هو أنكم مادمتم قد أدركتم أن تملك الارض جريمة لاتشتركون فيها سواء كان هذا بصفتكم جنودا تحرمون العمال من الارض أم مزارعين تفاحون أراضى الملاك أم مستأجرين لها *

(٦)

غير ان هذه الطريقة قد يعترض عليها بان عدم الاندماج فى الجندية والكف عن الاشتغال فى أراضى الملاك واستئجارها لايعود بالفائدة المطلوبة الا اذا اعتصب عمال الدنيا جميعا وضربوا عن الاندماج فى الجندية والاشتغال فى أراضى الملاك واستئجارها وهذا غير متأت ولا يفيد اتحاد بعض العمال على الامتناع من ذلك كله مع مخالفة بقيتهم الذين لايرون رأيهم فى تعارض الملكية. وعلى هذا فالعمال الذين يأبون الاشتراك فى ملكية الارض لايحرمون الا أنفسهم بلاضرورة من مكاسبهم دون تحسين حالة الآخرين *

قد يكون هذا الاعتراض وجيها اذا كانت المسألة المشار اليها اعتصابا ولكنى لا أقول بالاعتصاب بل

أقول ان العمال يلزمهم الامتناع من الاشتراك فى الجيش الذى يجنى على اخوانهم أفظع الجنايات ومن الاشتغال فى أراضى الملاك أو استئجارها لا لانه اعتصاب مضر بهم أو مفض الى العبودية بل لانه سيئة يجب على كل انسان اجتنابها وكما ان المرء يجب عليه اجتناب القتل والسرقة والنهب الخ كذلك يجب عليه اجتناب الاشتراك فى هذه الفعال *

أما كون الاشتراك فى تمليك الارض والمحافظة على ملكيتها سيئة فهذا مما لاريب فيه وقد يتضح ذلك للعمال اذا تروا فى خطورة اشتراكهم فى تمليك ارض لقوم عاطلين . ان المحافظة على ملكية أراضى الملاك تسبب فاقة الوف من الناس وتألمهم ولاسيما الشيوخ والاطفال الذين أنهكهم العمل وأعوزهم القوت واضطروا الى الموت المعجل لا لشىء سوى ان الارض فى حوزة الملاك فاذا كانت هذه نتائج تملك الملاك للارض وليست بخافية على أحد كان الاشتراك فيما يسببها من التمليك وشد أزره سيئة يجب على كل انسان اجتنابها

ان مئات الملايين من الناس يعدون الربا والسرقة والقتل والسرف والقسوة بالضعفاء وما شاكل ذلك رذائل فيجتنبونها من تلقاء أنفسهم دون أن يلجأوا الى اعتصاب ما . فما يفعله العمال نحو الملكية هو كذلك رذيلة ينبغى أن يجتنبوه من تلقاء أنفسهم * انهم يرون من أنفسهم عدم جواز ملكية كهذه ويعدونها سيئة وجوراً فلم يشتركوا فى تحقيقها ويدعمونها ؟

(٧)

اننى لا أبغى اعتصابا بل أبغي ادراك الجريمة (الملكية) والشعور بها ثم الاضراب عن الاشتراك فيها * نعم ان هذا الاضراب لايلم فى الحال شمل جميع الذين يهتمون بحل هذه المسألة كما هو شأن الاعتصاب ولذا لاينجم عنه تلك النتائج الحاسمة التى تنجم عن الاعتصاب اذا أفلح الا انه ينتج وحدة أقوى دعامة واطول أجلا من وحدة الاعتصاب *

الوحدة التى تتألف من الافراد وقت الاعتصاب تبطل حال الحصول على الغرض المقصود منه والتى

تقوم على تثبت فى العمل أو على إضراب مبنى على برهان قاطع وحجة دامغة لاتنفك عراها بل تبقى تكتسب قوة على قوتها ويزداد عدد المنتمين اليها على مر الايام *

هذا ما ينبغى أن يكون عليه الحال من اضراب العمال عن الاشتراك فى ملكية الارض لا من جهة الاعتصابات بل من جهة الاعتراف بخطيئة الاشتراك. والعمال غالباً اذا أدركوا شر الاشتراك فى تمليك الارض وامتنع بعضهم (لا كلهم) من الاشتغال فى أراضى الملاك ومن استئجارها وكان امتناعهم مع ذلك غير صادر عن اتحاد موضعى مؤقت بل عن ادراك ما ينبغى وما لاينبغى ورسخ فى نفوسهم ذلك ازداد تدريجا بطبيعة الحال عددهم فتفضح أقوالهم وأعمالهم شرور الملكية وعواقبها الوخيمة *

ان من المستحيل علينا أن نعلم تمام العلم بالانقلاب الاجتماعى الذى سيحدثه شعور العمال بخطيئة الاشتراك فى تمليك الارض ولكنا نعلم أنه لاريب فى حدوث

انقلابات متى فشا هذا الشعور وعلا شأنه وستشمل هذه الانقلابات بعض العمال الذين يرفضون الاشتغال للملاك واستئجار أراضيهم وعندما يرى الملاك أن لا فائدة لهم فى تملك الاراضى ينبذون ملكيتها دفعة ان لم يتفقوا مع العمال على ما يعود عليهم بالنفع *

وقد يتفق ان العمال فى الجيش بعد ادراكهم ما فى الملكية من الجور يأبون الاشتراك فى الضغط على اخوانهم عمال القرى فتضطر الحكومة الى كف يدها عن حماية ملكية الملاك * وبذا تصير أراضيهم مباحة * ثم ان الحكومة أيضا اذا أدركت أن لا مناص عن تحرير الارض اضطرت الى توقيف فوز العمال عند حده باصدار أمر عال يقضى بالغاء الملكية قانوناً

ان الانقلابات التى لا بد من حدوثها فى ملكية الارض من جراء شعور العمال باثم اشتراكهم فى تحقيق الملكية قد تتفاوت كثيرا ويصعب علينا التنبؤ بمستقبلها ولكن من المحقق ان الانسان اذا بذل جهده باخلاص بمقتضى المشيئة الالهية وحسب ما يمليه عليه

ضميره لن يضيع مجهوده بدون جدوى *

كثيرا ما يقول الناس اذا صادفهم أمر لم تقر عليه الاغلبية - ما الذى نستطيع ان نفعله ضد المجموع ؟ فهؤلاء يحسبون انه يشترط فى النجاح فى مسئلة من المسائل اتفاق الناس جميعا أو اتفاق كثيرين على الاقل. ان ضرورة اتفاق كثيرين انما هى لاقتراف الآثام ولكن فعل الخير يكتفى فيه بواحد لان الله سبحانه وتعالى نصير الخير دائما ومن كان الله له نصيرا أخذ الناس بيديه وشدوا أزره عاجلا أو آجلا وعلى كل حال جميع الاصلاحات الخاصة بالعمال يكون انجازها نتيجة سعيهم وسلوكهم الطريق السوى بمقتضى المشيئة الالهية وبما تمليه عليهم ضمائرهم *

(٨)

ان التعاليم التى تمنى العمال بامتلاك تلك المعامل التى يشتغلون فيها قبل أخذ العدة لذلك (كما هو المفهوم) هى تعاليم ضارة مضادة للحكمة الذهبية « أحبب لغيرك ما تحب لنفسك » المنافية أيضا لاعانة ملكية الارض

بالعمال بتجنيدهم واستئجارهم الارض واشتغالهم فيها لان مثل هذه الاعانة لا تلائم هذه الحكمة لانها وان كانت تحسن مؤقتا مركز الذين التجئوا اليها تسيء بلا ريب مركز سواهم من العمال . فالوسائل التى اتخذها العمال الى وقتنا هذا لتحرير أنفسهم كالعنف المحض ومجهودات الاشتراكيين وأعمال الأفراد الذين يتحملون أعباء الملكية لمصالحهم الشخصية لم تعد عليهم بالفائدة وذلك لعدم ملاءمتها لجوهر الحكمة المتقدمة . أحب لغيرك ما تحب لنفسك .

ليس الذى يخلص العمال من العبودية هو بذل الجهد العظيم بل هو اجتناب الخطيئة لان هذا الاجتناب عادل وفضيلة لانه مطابق لارادة الله تعالى *

لا وجود للفاقة الا فى مجتمع من الناس يعيشون بمقتضى قانون التنازع الحيوانى ولكن لا ينبغى ان توجد الفاقة فى الجمعية المسيحية اذ حالما يقتسم الناس ما لديهم ينال كل واحد منهم القدر الضرورى الذى يكفيه بل ما يفضل عن حاجته كى يدخره *

لما جاع الناس الذين كانوا يسمعون خطابة عيسى عليه السلام وعلم أن لدى بعضهم طعاما أشار عليهم بأن يقعدوا حلقة وأمر الذين لديهم طعام ان يوزعوه على من يليهم فى الحلقة بالترتيب فاذا شبع ناولوه من بعده وهكذا ففعلوا فما دارت الدورة على هذا المنوال الا وشبع الجميع وفاض الطعام . فالفاقة لا توجد فى مجتمع من الناس يقتفون هذا الاثر وأمثال هؤلاء ليسوا فى حاجة الى الاشتغال للملاك ولا الى تأجير أراضيهم ولهذا لا يمكن ان تكون الفاقة على الدوام سبباً كافيا لارتكاب ما يضر بالغير *

اذا كان العمال فى الوقت الحاضر يذهبون للاشتغال للملاك ولاستئجار أراضيهم فما ذلك الا لانهم جميعا لم يدركوا إثم هذه الافعال ولم يفطنوا للسيئات التى تصيبهم وتصيب اخوانهم من جراء أعمالهم ولكن كلما أخذ الناس يدركون خطورة اشتراكهم فى تحقيق ملكية الارض ادراكا حسنا ضعفت بطبيعة الحال سلطة العاطلين على العاملين *

(٩)

الوسيلة المحققة التى تحسن مركز العمال وتتفق مع ارادة الله تعالى هى تحرير الارض من مغتصبيها الملاك * وهذا التحرير - مع رفض العمال التجنيد فى الجيش الموجه ضد العاملين - يتوصل اليه بواسطة الامتناع من الاشتغال فى أراضى الملاك ومن استئجارها غير انه لايكفى ان تعلموا ايها العمال أن مصلحتكم تقضى عليكم بتحرير الارض من مغتصبيها الملاك وأن هذا التحرير يتوصل اليه بامتناعكم من اقتراف المظالم نحو اخوانكم ومن الاشتغال فى أراضى الملاك واستئجارها بل يجب عليكم أن تعلموا أيضا كيف تديرون شئون الارض عند ما تتحرر من الاغتصاب وكيف توزعونها على العمال *

يظن كثيرون منا أنه لا ينقص المرء غير أخذ الارض من العاطلين وبعدئذ يستقيم أود كل شىء ولكن الامر ليس كذلك . نعم ان من السهل أن نقول بأخذ الارض من العاطلين واعطائها للعاملين ولكن

كيف يتحقق ذلك دون أن تنتهك حرمة العدل ومن غير أن يتمكن الاغنياء مرة أخرى من شراء أراضى واسعة يتسلطون بها على العمال كما كانوا من قبل

ان اعطاء كل عامل على حدة أو كل جماعة حق الانتقال أو الحرث أينما شاء أو شاءوا كما يتخيل بعضكم الآن وكما كان يحصل فى الازمان الغابرة ولا يزال حاصلا بين القوزاق (١) - لايجوز الا فى البلاد القليلة السكان الكثيرة الاراضى المتشابهة التربة . أما فى البلاد التى يزيد سكانها عن الارض المنتجة والتى تتفاوت أنواع تربتها فمن اللازم اكتشاف طريقة أخرى لاستثمارها *

هل توزع الارض بحسب عدد الاشخاص ؟ انها لو وزعت هكذا لخص العاطلين الذين لا علم لهم بالزراعة نصيب من التوزيع وهم إما أن يؤجروا الارض وإما أن يبيعوها للمشترين الموسرين وعندئذ يظهر

---

(١) وكما هو متبع الآن فى بعض بلاد كردستان فان الملاك لا يأخذون من المزارعين غير العشر (المترجم)

فى عالم الوجود مرة أخرى أفراد يملكون أراضى واسعة دون أن يشتغلوا فيها * هل يمنع العاطلون من بيع الارض وايجارها ؟ انهم لو منعوا من ذلك لبقيت الارض التى بايديهم وهم أولئك الذين لايرغبون فى العمل أولا يقدرون عليه ـ بائرة غير منتفع بها على ان الارض لو قسمت بحسب التعداد كيف يمكن تقدير كميتها بالتساوى ؟ ان من الاراضى ماهو خصب ومجدب ورملى ومستنقع ومنها أراضى فى المدن يقدر الفدان بألف روبل أو أكثر وأخرى فى جهات نائية لاينتفع بها أصلا . فكيف اذاً يمكن توزيع الارض بحيث لاتزيد ملكية العاطلين ثانيا وبحيث لايغبن أحد ولا يحصل شقاق وخصام وشجار بين الناس ؟

عنى الناس من قديم الزمان بحل هذه المسائل وتعددت طرائقهم التى ابتكروها لتوزيع الارض على العمال توزيعاً صحيحاً وقد اطلعت على طرائق غير مايسمونه بمذهب اشتراك الاموال فى النظام الاجتماعى الذى يعتبر الارض ملكا مشاعا يزرعها الجميع معا

وتلك الطرائق هى :

(ا) طريقة وليام الوچلى الاسكتلاندى الذى عاش فى القرن الثامن عشر * وهى ان كل انسان يولد فى أرض له حق الثواء بها والتغذى مما تنتجه * وهذا حق لانزاع فيه ولا يصح أن يمنعه من ذلك أحد ممن يعتبرون بعض الاراضى الواسعة ملكا خاصا بهم . فلكل انسان الحق فى امتلاك جزء من الارض يناسب حصته فاذا امتلك أى انسان أرضا أوسع مما يخصه وربح من تلك الحصص التى هى ملك شرعى لمن لم يطالب بها وجب عليه أن يدفع للحكومة ضريبة نظير انتفاعه بها *

(ب) طريقة توماس سبنس *

وصرح بعد سنين قلائل بريطانى آخر اسمه توماس سبنس فى حل مسألة الارض باعطاء كل طائفة قطعة من الارض يتصرفون فيها كيفما شاءوا وبهذا تلغى ملكية الارض الفردية كل الالغاء وقد حكى حكاية وقعت له فى هيدنبريدج عام ١٧٨٨ سماها مزاح

آله الآجام وهى تكشف اللثام عن رأيه فى ملكية الارض فقال :

« بينما انا سائر فى الاجمة وحدى أجمع بندقاً اذا بحارسها قد طلع علىّ فسألنى عما افعله فاجبته بأنى اجمع بندقاً فقال اتقول تجمع بندقاً وتجرأ على هذا القول؟ فقلت ولم ؛ هل كنت تسأل قرداً اوسنجابا على فعل كهذا؟ أأنا اقل شانا منهما فأسأل عما لم يسئلا عنه ام انا اقل استحقاقا منهما ؛ ثم من انت حتى تأخذ على نفسك اقلاق بالى ؛ فقال ستعلم من انا عند ما اقتص منك لانتهاكك حرمة هذا المكان . فقلت كيف تقول انتهك حرمة هذا المكان وهو لم يزرعه احد ؟ ان هذه البنادق هبات طبيعية يقتات بها الانسان والحيوان على السواء ولكل احد الحق فى جنيها فهى لذلك مشاعة . فقال ليست مشاعة بل هي ملك الدوق پورتلند فقلت طوعا للدوق پورتلند . ان الطبيعة لا تعرفه اكثر مما تعرفني. ان قانون الطبيعة وهو « من سبق غنم » يوجب على الدوق پورتلند ان ينتبه ويسعى ان رام بندقا *

ثم قال سبنس فى خاتمة كلامه انه اذا دعى للدفاع عن مملكة لايجرأ فيها على جنى بندقة يلقى سلاحه قائلا « ليد افع امثال الدوق پورتلند عن المملكة التى يدعون ملكيتها » *

(ج) طريقة : توماس پين *

ونحا هذا النحو فى حل هذه المسألة المؤلف الطائر الصيت (توماس پين) فى كتابيه « عصر التفكير » « وحقوق الانسان » وامتاز حله بانه لما اعتبر الارض ملكا مشاعا رأى الغاء الملكية الخاصة وهى ملكية الفرد وذلك بالغاء الارث كى تصبح الارض التى كانت ملكا خاصاً مشاعة بعد موت صاحبها *

(د) طريقة پاتريك ادوارد دوف

وقد فكر فى هذا الموضوع وصنف فيه بعد توماس پين فى القرن المنصرم پاتريك ادوارد دوف و نظريته هى أن قيمة الارض مستمدة من مصدرين نوع الارض نفسها والعمل الذى يتم فيها فالقيمة التى تستحقها الارض لما تم فيها من العمل يمكن ان تكون

ملكا لافراد مخصوصين والقيمة التى تستحقها الارض من أجل نوعها هى ملك للامة مشاع بين أفرادها ولا يمكن ان تكون لافراد مخصوصين أصلا . هذه الطريقة تماثل طريقة الجمعية اليابانية للمطالبة بالاراضى * وخلاصتها ان كل انسان له الحق فى امتلاك حصة من الارض تناسبه على ان يدفع ضريبة معينة ويطالب من ملك زيادة بتسليمها اليه

(هـ) طريقة هنرى جورج *

بيد انى أرى أن اعدل الطرق وأسهلها نفاذا طريقة هنرى جورج المعروفة بوحدة الضريبة

(١٠)

اننى أرى شخصيا أن طريقة هنرى جورج أعدل الطرق التى احطت بها خبرا وأنفعها وأقربها نفاذا وهذا هو ملخصها *

لنفرض أن اثنين يملكان أرضا فى احدى الجهات (أحدهما) ذو ثروة طائلة مقيم ببلاد الغربة (وثانيهما) غير مثرمتوطن ببلدته يتولى زراعة أرضه وأن مئة مزارع

يملكون قطعة صغيرة من الارض وعدا ذلك تقطن فى تلك الجهة طوائف عديدة من عمال مأجورين وصناع وتجار وموظفين لا أرض لهم *

ولنفرض أن سكان هذه الجهة أجمعين لما ثبت لديهم أن الارض كلها مشاعة قرروا جعلها على حسب اعتقادهم . فأى طريق يسلكون وكيف يعملون ؟ انهم لو اخذوا الارض كلها من مالكيها وسمحوا لكل انسان بالانتفاع بأى ارض شاء لاخفقوا اذ يكثر الراغبون فى قطعة واحدة فيتنازعون ويتشاجرون ولو اشترك الجميع فى الحرث والحصاد والضم * ثم تقاسموا لتضايقوا فقد يكون لدى بعضهم المحاريث والخيل والعجلات فى حين ان غيرهم لا يملك شيئا أضف الى ذلك ان منهم من ليست له تجربة أو معرفة بالزراعة أصلا *

ولو قسمت الارض بحسب التعداد قطعاً متماثلة النوع لكان ذلك عسيرا جداً ولو قسمت مع هذا أقساما صغيرة متفاوتة فى النوع لينال كل فرد قطعة

من الارض الجيدة والمتوسطة والمجدبة ومن أرض
الحرث والحصد والأجم لتكاثرت الاقسام الصغيرة.
على ان تقسيما كهذا خطر اذ الذين لايرغبون فى العمل
أو الذين هم فى فقر مدقع قد يبيعون أراضيهم الى
الاغنياء طمعاً منهم فى المال فينجم عن ذلك ظهور كبار
الملاك مرة أخرى . فالذى ينبغى هو أن يقرر سكان
هذه الجهة ترك الارض بأيدى مالكيها ويحتموا عليهم
ان يدفعوا الى الخزينة العامة مبلغا يوازى قيمة الايراد
الممكن حصوله من تلك الارض التى تحت تصرفهم
بأى تقدير كان على أن لا يكون مؤسسا على مقدار
العمل المستخدم فيها بل على نوعها وصقعها ثم يقسمون
المبلغ بينهم بالتساوى ولكن جمع هذا المال من الملاك
ثم توزيعه على كل ساكن بالتساوى فيه من الارتباك
والتعقيد مافيه أضف الى ذلك ان السكان كافة يدفعون
أموالا لانفاقها فى المرافق العامة كالمعاهد العلمية
والمعابد ومطافى الحريق واصلاح الطرق الخ وهى غير
كافية لها فالاحسن ان يقرر السكان أولا جمع أموال

الايرادات المتحصلة من الارض وانفاقها فى المرافق
العامة بدلا من جمعها وتوزيعها ثم جمع بعضها مرة اخرى
للضرائب . وحيث توصلنا الى هذا الحل لم يبق سوى
مطالبة السكان للملاك بدفع قيمة تعادل مقدار الارض
التى يمتلكونها وكذا مطالبة المزارعين الذين يملكون
قطعا صغيرة من الارض * أما الطوائف الذين
لايملكون أرضا فلا يطالبون بشىء أصلا ويسمح
لهم بالانتفاع بكل مايؤسس من الايراد *

فينتج مما تقدم أن المالك الاول المتغرب عن
أرضه الذى لايستثمر منها الا النذر اليسير يضطر أن
يتنازل عنها اذ لافائدة له من بقائها فى حيازته مع دفع
ضريبة فادحة وان المالك الثانى الماهر فى الفلاحة يتنازل
عن جزء من أرضه فقط ويحتفظ بالآخر كى يتمكن
من استثماره أكثر مما هو مطلوب منه * وان أولئك
المزارعين المالكين لقطعة ارض صغيرة والذين كثرت
أيديهم العاملة فى مساحة لاتغنى بحاجاتهم ومن لا أرض
لهم ويرومون الاشتغال فيها يأخذون الارض التى

ينبذها الملاك اذ يتيسر لجميع السكان بناء على هذه الطريقة الاقامة على الارض والتغذى منها لانها تصير أوتبقى فى حيازة الراغبين فى العمل القادرين على انماء الحاصلات . وبذلك ترتقى الاعمال الخيرية وتتحسن حالة المعاهد العلمية لكثرة مايرد اليها من الاموال المخصصة للمرافق العامة * وهذا الانقلاب فى ملكية الارض يتحقق دون حدوث مشاجرات ومنازعات وفواجع اذ الملاك الذين ليس فى طاقتهم الاستفادة من الزراعة يتنازلون عن الارض مختارين * هذه طريقة هنرى جورج وهى تصلح لبعض الولايات بل تصلح للنوع الانسانى بأسره *

أعود فألخص ما أردت أن أقوله لكم وهو انى أنصحكم أولا أيها العمال أن تدركوا جليا ماترومونه ولا تتعبوا أنفسكم فى درك مالا حاجة لكم به . انكم مفتقرون الى شىء واحد أرض مباحة تقيمون فيها وتقتاتون منها *

(وثانيا) أن تدركوا ادراكا صحيحا الوسيلة التى بها

تنالون الارض التى تحتاجون اليها * ويمكنكم التوصل الى ذلك لا بواسطة الفتن وقاكم الله شرها ولا بالمظاهرات ولا الاعتصابات والنواب الاشتراكيين فى البرلمان بل بواسطة احجامكم عن الاشتراك فيما تعدونه سيئة فلا ينبغى لكم ان توطدوا دعائم اثم الملكية بما يقترفه الجند من الجور أو بالاشتغال فى أراضى الملاك أو استئجارها *

(وثالثا) ان تنعموا النظر فى كيفية ادارة شؤون الارض وتتبصروا فى ذلك تبصراً تاماً قبل ان تصبح مباحة ولا ينبغي أن تحسبوا أن الارض التى سينبذها الملاك تصير ملكا لكم بل يجدر بكم ان تعلموا أنه لابد من انكار حقوق ملكية الارض لأى انسان وان كانت مساحتها ياردة مربعة كى يكون استعمال الارض عادلا وتوزيعها بين الناس منصفا *

انكم بمجرد اعترافكم بأن الارض مشاعة للناس كافة كحرارة الشمس والهواء تستطيعون توزيع الملكية بين الناس بالقسط ومن غير خطيئة بحسب أى

أسلوب من الاساليب الموجودة أو بأسلوب حديث تبتدعونه وتجمعون على اختياره * (١)

(ورابعاً) وهو أهم ما أنصحكم به أن لاتوجهوا قواكم فى بلوغ كل ماتبتغون الى معاركة الطبقات الحاكمة

---

(١) ان الناس لما استهانوا بالدين ونبذوا أحكامه وراء ظهورهم اضطربت أمورهم وساءت معيشتهم وتكالبوا على الدنيا ونما فى قلبهم حب المال حتى صار معبودهم فاستبد الأغنياء بالفقراء واستخدموهم فى مصالحهم الشخصية وانماء الثروة وبغوا عليهم وجعلوهم عبيداً لهم ولهذا تألفت احزاب الاشتراكية فى أوروبا وابتكروا طرائق ومذاهب عديدة وطالبوا أصحاب الأراضى والمعامل بكثير من المطالب لتحسين حالة العمال وانقاذهم من الفاقة والأمراض التى نجمت عن جور الأغنياء ومطامعهم وقد تطرف بعض الأشتراكيين فحثوا على الثورة ومال بعضهم الى الفوضى وقال آخرون ان أحسن حل هو أن تلغى الملكية وتصبح الأرض مشاعا الى غير ذلك من الآراء التى أشار اليها تلستوى غير ان تلك الحلول غير صالحة وغير عادلة اذ قد يكون الضرر الناتج عنها أشد من النفع لان فى الغاء الملكية حيفا على الملاك وتثبيطاً

بالفتن والثورات وأعمال الاشتراكية بل وجهوها الى تحسين حالكم واصلاح معاشكم *

ان عوز الناس ناشىء عن سوء معيشتهم ولاشىء

لهمم العاملين المجدين وسداً منيعاً لآمال كثيرين كما ان التساوى بين الناس محال ومخالف للطبيعة فانهم متفاوتون فى القوى الجسمية والعقلية متفاوتون فى الحظوظ والأرزاق *

ان فى الشرائع السماوية خير حل لهذه المشكلة الاجتماعية التى اتعبت العلماء ازمانا طوالا فالشريعة الاسلامية مثلا قد فرضت الزكاة وأمر الدين بالصدقة وحث على الجود والكرم وأوصى بالجار واغاثة الملهوف ونصرة الضعفاء والمظلومين وذم الجور والطمع والشح وشدد النكير على الظالمين والذين يتكالبون على الدنيا ويكنزون المال ولا يتصدقون به الى غير ذلك مما يطول بنا شرحه * وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يجودون بجميع أموالهم على الفقراء تقرباً الى الله تعالى . بل لو اقتصر الأمر على اداء جزء من الزكاة لتحسنت حالة الفقراء والضعفاء والعمال كما لا يخفى على من تتبع الشرائع الالهية

(مترجم)

أضر عليهم * من حسبانهم أن أسباب تعسهم ليست متوقفة على أنفسهم بل على أمور خارجية فقد يكفيهم فى أن يتصوروا أن المصائب التى تصيبهم ناجمة عن أمور خارجية أن فيوجهوا عنايتهم ويفرغوا جهدهم لتبديلها فلا تزداد الاسوء وانهم اذا آبوا الى أنفسهم ومعايشهم مخاصين ونقبوا عن علل الآفات التى يقاسونها عثروا فى الحال عليها وعملوا على قطع دابرها .

فقد جاء فى الانجيل :

« لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » متى : اصحاح سادس : ٣٣ * هذا أساس قانون المعيشة الانسانية فمن أساء معيشته ولم يسر على وفق المشيئة الالهية لن يجني ثمرات مجهوداته التى يبذلها لنيل مطلوبه * ومن عاش مستقيما كريم السجايا متبعا لارادة الله جل شأنه دون بذل مجهود ما سينال بغيته باسباب لم تكن خطرت بباله أصلا

كلما حاولنا اجتياز الباب الذى وراءه حاجاتنا لنحظى بها ضعف الامل فى اجتيازه وان كان يلوح

لنا ان محاولة اجتيازه أمر طبيعى متيسر ولاسيما اذا كان الناس من خلفنا يسوقوننا ويحملوننا على الولوج فيه والمرور منه مع ان ذلك الباب لا يفتح الا من ناحيتنا .

فلكى يبلغ المرء قصده ينبغى له أن لا يعنى باصلاح الامور الخارجية قبل عنايته باصلاح نفسه فيمسك عن السيئات ان كان يقترفها ويفعل الخير ويتقرب منه ان كان نائيا عنه وذلك لان جميع الطرق التى توصل الانسان الى الخير انما تفتح أبوابها لمن أصلح نفسه فاذا علمتم ذلك وجب عليكم أن تعيشوا على وفق القانون الالهى متآخين متحابين تحبون لغيركم ما تحبون لانفسكم وبقدر علمكم وعملكم بذلك تتحقق رغائبكم ويبطل استرقاقكم « ستعرفون الحق والحق يحرركم »

(٤)

الوسيلة الوحيدة

« كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم هذا هو الناموس والانبياء » متى اصحاح سابع : ١٢

(١)

يوجد على ظهر البسيطة أكثر من ألف مليون عامل يصنعون الخبز والبضائع التى يعيش بها سكان الدنيا كافة ويغتنون منها بيدان العامل ليس هو الذى يستفيد مايصنع من الاشياء بل الحكومة والاغنياء هم الذين يستفيدون أما العمال فيعيشون على الدوام معوزين جهلاء أرقاء محتقرين ممن يكسونهم ويطعمونهم ويأوونهم ويخدمونهم *

تؤخذ الارض من العامل وتعتبر ملكا لمن لايشتغلون * ولكى يتعيش العامل من الارض التى يشتغل فيها يتحتم عليه اجابة كل مطالب الملاك فان هجرها وتوظف أو احترف فى المعامل والطواحين وقع فى رق أغنياء آخرين يقوم بخدمتهم طول حياته ويمضى عشر ساعات أو اثنتى عشرة أو أربع عشرة ساعة فى عمل غريب متجانس ممل مضر بصحته متلف لحياته *

وان استوطن الارض وسد عوزه واكتسب

من كده فلا يترك وشأنه بل يطالب بدفع الضرائب ويساق الى الخدمة فى الجندية حتى يمضى مدتها وهى ثلاث أو أربع أو خمس سنوات أو يلزم بدفع البدل العسكرى . وان ابتغي ان يستثمر الارض بدون دفع المال أو ينظم الاعتصابات أو يمنع سواه من احتلال أرضه أو يأبى دفع الضرائب جردت الجيوش لمحاربته حتى يجرح أو يقتل أو يرغم على الاشتغال والدفع كما كان *

فالعمال من جميع أنحاء الدنيا لايعيشون عيشة الناس بل عيشة دواب الحمل التى تكره طول حياتها على عمل مالا ينفعها بل ينفع مرهقيها * وهم مع ذلك لاينالون من القوت والغطاء والراحة الا القدر الضرورى الذى لا يستطيعون بدونه الاستمرار على العمل فى حين ان الفئات القليلة التى تتسلط عليهم وتربح كل ماينتجونه تعيش فى كسل ورفاهية طائشة مبذرة متاعبهم بلا جدوى ولا انصاف

(٢)

عند ما احتفل بتتويج نقولا الثانى فى مدينة

موسكو قدم للناس الجعة والبراندى والكعك بلا
مقابل فزحف الجمع المحتشد الى مكان التوزيع وصدم
بعضهم البعض فأصيب الصف الاول فى أقدامهم ممن
خلفهم وأصيب الصف الثانى كذلك وهكذا الصف
الثالث فما بعده من غير أن يبصر أحد ماهو حاصل
فى المقدمة واستمروا حينا على هذه الحال يتدافعون
ويتراكلون الى أن صرع قويهم ضعيفهم وضاق الخناق
على القوى نفسه لفرط الزحام وقلة الهواء فخر على
الارض مغشيا عليه وديس بأقدام المتدفقين خلفه
تدفق السيل الجارف فمات من التصادم عدة آلاف
من الشيوخ والاطفال الذكور والاناث . وبعد انتهاء
الحفلة تساءل الناس عن الملومين على هذا الخطب فمن
قائل انهم رجال الشرطة ومن قائل انهم المنظمون للحفلة
ومنهم من آخذ القيصر على اعداده وليمة خرقاء كهذه .
انهم الناس هؤلاء ولكنهم لم يتهموا أنفسهم ومن
الواضح ان الذين كانوا يطمعون فى أخذ حفنة كعك
وكوب جعة قبل رفاقهم هم الذين اندفعوا الى الامام

من غير أن يبالوا بمن فى سبيلهم فألقوهم على الارض
ووطؤهم بالاقدام . أليست هذه الحادثة تمثل حالة العمال
تمام التمثيل ؟ انا نراهم يصابون بخور فى قوامهم ويصدمون
ويستعبدون ويودون بحياتهم وحياة اخوانهم طمعاً فى
ربح يسير وخير قليل *

يتذمر العمال من الملاك والحكومات وارباب
المعامل والجندية مع ان الملاك تستغل الارض
والحكومات تجبي الضرائب وأرباب المعامل يتبرمون
من العمال والجيوش تخمد الاعتصابات والعمال أنفسهم
يوآزرون الملاك والحكومة وأرباب المعامل والجيوش
بل ويعملون كل ما يسبب تذمرهم . لماذا يستطيع
أن يربح مالك ألوف الفدادين وهو لا يزرعها بنفسه ؟
أليس لان العمال يخدمونه لفائدتهم القليلة الشخصية
ويقومون له ازاء ذلك مقام الحراس والامناء
والملاحظين ؟

تجبى الحكومة الضرائب من العمال بواسطة
الذين يعينون فى وظائف الجباية والبوليس والعوائد

والرسوم فهم الذين يوآزرون الحكومة فى كل ما يفضى بهم الى التذمر *

يخفض أرباب المعامل أجور العمال ويزيدون ساعات عملهم بالرغم منهم مع أن العمال أنفسهم هم السبب فى ذلك لتزاحمهم ومسابقتهم فى الاشتغال فى المخازن بصفتهم أمناء ومراقبين وحراسا ونظارا يفحصون الاعمال ويغرمون اخوانهم ويجورون عليهم ارضاء لرؤسائهم *

تجرد الجيوش لقتال العمال اذا أرادوا الاستيلاء على الارض التى يعتبرونها ملكا لهم أو اذا أحجموا عن دفع الضرائب أودبروا الاعتصابات مع ان الجيوش انما تتألف من العمال الذين يتجندون طمعا فى منفعة شخصية او خوفا من عقاب ويحلفون انهم يقتلون كل يؤمرون بقتله مخالفين فى ذلك ضمائرهم والقانون الالهى الذى يعترفون به *

فالعمال هم منشأ النكبات التى تحل بهم ولا يزيل آلامهم الا امتناعهم من الاخذ بناصر الاغنياء

والحكومة . فلماذا يثابرون على مافيه هلكتهم

(٣)

عرف الناس منذ الفى عام القانون الالهى ـ قانون مقابلة المثل بالمثل « افعل لغيرك ماتحب ان يفعله الغير لك » أو كما قال الاستاذ كونفوشيوس الصينى « لاتفعل لغيرك مالاتحب ان يفعله الغير لك » . هذا قانون سهل مفهوم لامراء فى فائدته العظمى للانسان ولذا كان المظنون ان يعمل به الناس بقدر الطاقة متى أدركوا معناه وان يستنفدوا وسعهم فى تعليمه لابنائهم من زمان بعيد وقد وضحه بالتتابع الاستاذ كونفوشيوس وبوذا والمعلم هيليل الموسوى والمسيح بل كنا نرجو ان يتبعه العالم المسيحى على الاخص لان الانجيل يصرح بكل وضوح بان هذا القانون هو الناموس والانبياء وبعبارة أخرى انه حاو للتعليم الضرورى للانسان وقد انصرم نحو الفى عام دون أن يعمل به الناس أو يعلموه لابنائهم بل هم فى الغالب يجهلونه ومن علمه منهم

عده غير ضرورى او غير عملى * (١)

يخيل للمرء بادىء بدء أن ذلك أمر غريب غير أنه

(١) لما كان هذا الاساس من اعظم أسس المدنية والعلاج الوحيد لدفع مشاكل العالم و نظام البرية . جعل من أهم أصول الدين وملئت به الكتب السماوية . وحث عليه القرآن الشريف مرارا والاحاديث النبوية * منها قوله تعالى (و تعاونوا على البر والتقوى) ومنها (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) * ومن الاحاديث ما رواه الترمذى وغيره (اتق الله تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما الخ) ومنها ما رواه البخارى ومسلم (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) ومن كلام حضرة بهاء الله فى الكلمات المكنونة (يا ابن الوجود لا تنسب الى نفس مالا تحبه لنفسك ولا تقل مالا تفعل الخ) ويقول أيضا (اختر لغيرك ماتختاره لنفسك) ومن تعاليمه أيضا (المواساة) . وهي كما بينها عبد البهاء أن يهب الانسان ماله و نفسه لغيره فهي أعظم من المساواة . ولكن بشرط أن تكون تلك الهبة بكمال الرغبة وطيب النفس وخلق فطرى كما هو الجارى الآن بين البهائيين) (الناشر)

اذا أنعم النظر فى كيفية معيشة الناس قبل ابتكار هذا القانون وافتكر كم مضى عليهم من الزمان بدون العمل به وأنه لا يلائم الحياة الانسانية حال ظهوره وانتشاره أدرك السر فى اطراح التمسك به وهو أن الناس لما كانوا يجهلون أن قانون المصلحة العامة يقضى بأن يفعل كل لغيره مايحب أن يفعله غيره له « قانون مقابلة المثل بالمثل » وكان حب المصلحة الشخصية ملكة راسخة فى النفس اجتهد كل فى اكتساب قوة يتفوق بها على غيره فلما حصل عليها وأراد الانتفاع بها وانتفع بها من غير أن يمانعه ممانع أذعن الضعيف له وشد أزره كما أذعن هو لمن هم أقوى منه وشد أزرهم * وهؤلاء أذعنوا لمن هم أقوى منهم وشدوا أزرهم وهكذا

فالجماعات التى جهلت قانون مقابلة المثل بالمثل كانت تتسلط عليها الفئات القليلة دائما وخوف هذه الفئات من هذا القانون رفضته عند اذاعته وكرهت أن يتعلمه ويتقبله الذين تحت سلطانها *

الفئات القليلة تعلم كل العلم ان قوتها مؤسسة

على الشجار الدائم بين المحكومين لما فيه من قهر
بعضهم البعض ولذلك لم تترك وسيلة الا استخدمتها
لاسدال الحجب على هذا القانون لئلا يراه اتباعها لكنها
لما علمت باستحالة انكاره لوضوحه وسهولته عمدت
الى اخفائه بسن مئات والوف من القوانين غيره
وتقديمها عليه وأكدت انها أهم شأنا وأعظم فائدة
منه . فالقسوس يعلمون الناس مئات من العقائد
الاكليريكية والشعائر والنذور والطقوس مما ليس
له أدنى علاقة بقانون مقابلة المثل بالمثل ويذيعون أنها
أعظم القوانين الالهية التى يعاقب من يهملها بالشقاء
السرمدى . والحكام سنوا قوانين مضادة لقانون
مقابلة المثل بالمثل احتفاظا بتعاليم القسوس وتعزيزا
لها ودعوا الناس الى اتباعها وأنذروا من خالفها
بالعقاب. والعلماء والاغنياء الذين لا يؤمنون بالله ولا
يعترفون بالفرائض الالهية يزعمون أن لاشىء أنفع
من العلم ومسائله التى استنبطها العلماء وفقهها الاغنياء
وانه لكى ينتفع الناس قاطبة بالعلم وجب عليهم ممارسة

حياة البطالة التى يقضيها العلماء والاغنياء بين المدارس
والخطابات ودور التمثيل والموسيقى ومعارض الصور
والمنتديات ثم هم يؤكدون أن كل الآفات التى يعانيها
العمال تزول بعدئذ من تلقاء انفسها *

لا يوجد بين هذه الطبقات من ينكر القانون
نفسه لكنهم يقدمون معه جنبا الى جنب عددا عظيما
من القوانين اللاهوتية والحكومية والعلمية فلا
يلتفت أحد الى ذلك القانون الالهى السهل الصريح
الملائم للناس طرا لاندراجه فى جملة القوانين الاخرى
بل قد يختفى كل الاختفاء مع ان فى العمل به برءا من
آلام السواد الاعظم من النوع الانسانى *

نتج من هذا أمر مدهش هو أن العمال الذين
أذلهم الحكومة والاغنياء يوالون على مابه هلاك
أنفسهم واخوانهم جيلا بعد جيل ويلجأون فى تحسين
حالتهم الى أعقد الوسائل وأدهاها وأصعبها كالصلوات
والقربين * ورقة الجانب فى اجابة مطالب الحكومة
والاجتماعات والمنتديات ونقابات العمال والاعتصابات

والثورات ولا يلجأون الى الوسيلة الوحيدة الاوهى العمل بالقانون الالهى الذى يخلصهم بلا مراء من نكباتهم *

(٤)

سيقول الذين اعتادوا التعقيد والغموض فى المباحث اللاهوتية والحكومية والعلمية . هل مثل هذا القانون السهل المختصر «ينبغى للناس أن يفعلوا لغيرهم مايحبون أن يفعله الغير لهم» يكفل للناس الهداية فى معاشهم ؟ ان هؤلاء يحسبون أنه لابد أن يكون القانون اللالهي والهداية الانسانية نظريات مسهبة عويصة فلا يصح أن يكون على زعمهم قولا مختصراً وسهلا * نعم أن قانون مقابلة المثل بالمثل فى غاية الاختصار والسهولة وهذا دليل على صدقه وصلاحه الابدى * كيف لا وهو قانون الهى محصته ألوف من أعوام الحياة الانسانية وليس بمجهود رجل واحد او جمعية واحدة تسمى نفسها أرباب الكنيسة أو الحكومة أو العلم *

أما المباحث اللاهوتية التى تدور حول هبوط الانسان الاول واطلاق سراحه وعودة المسيح أو المباحث الخاصة بالحكومة والعلوم كالبرلمانات والسلطة العليا ونظرية العقوبة وتقسيم العلوم والاختيار الطبيعى وهلم جرا فقد تكون سديدة وعويصة جدا لكن لا تتوصل اليها الا فئة قليلة فى حين أن قانون مقابلة المثل بالمثل يتوصل اليه الناس أجمعون بلا تمييز بين الاجناس والاديان والتعليم بل بلا تمييز بين الاعمار هذا فضلا عن أن المباحث اللاهوتية والحكومية والعلمية قد تصدق فى مكان وزمان دون غيرهما وقانون مقابلة المثل بالمثل صادق فى كل مكان وزمان ويشمل الناس جميعاً ومن فهمه لم ينكره أبداً *

وأجذل فائدة لهذا القانون وأهم ما يمتاز به عن سائر القوانين أن جميع القوانين اللاهوتية والحكومية والعلمية لم تدرأ عن الناس ضيراً ولم تجلب لهم خيراً بل ولدت أشد الضغائن والآلام والقانون القائل « افعل لغيرك ما تحب أن يفعله الغير لك أو لاتفعل لغيرك

مالا تحب أن يفعله لك الغير » بعكس تلك القوانين يدرأ عنهم الضير ويجلب لهم الخير اذ لا ينتج الا وئاما وسعادة *

ان نتائج هذا القانون متنوعة ونافعة للغاية وهى تقضى بايجاد كل الروابط الممكنة بين الناس وبحلول الوفاق محل الشقاق والمجاملة محل المنازعة فاذا زحزح الناس تلك الحجب التى أسدلتها يد الحيلة والخداع على هذا القانون واطلعوا عليه وسلموا بضرورته وطبقوه على الحياة بدا لهم علم عظيم الشان عام النفع للانسان لا أثر له فى هذا الزمان. علم يرينا كيف يجتنب بفضل أساس ذلك القانون التضارب بين الافراد بعضهم البعض وبينهم وبين المجتمع الانسانى. اذا تاسس هذا العلم الذى لا وجود له الآن وتعلمه الكبار والصغار كما يتعلمون اليوم الخزعبلات والخرافات أو العلوم الضارة أو العديمة الجدوى تبدلت حياة الانسان كل التبدل وانقشعت سحب المظالم التى تنغص حياة السواد الاعظم من البشر *

(٥)

جاء فى التوراة ان الله تعالى نهي عن القتل قبل ظهور قانون مقابلة المثل بالمثل بزمان بعيد وكان لهذا النهى وقتئذ من عظم الاهمية وجزالة الفائدة ما لقانون مقابلة المثل بالمثل الا أن ما حدث لهذا حدث لذاك. لم يجحد الناس النهى ذاته بل أدرجوه كسابقه فى جملة قوانين أخرى كانوا يعتقدون بها اعتقادهم بحرمة التعدى على النفس أو أكثر * ولو وجد هذا النهي وحده بأن أتى به موسى فى الواحه وقال انه الوصية الالهية الوحيدة معبرا عنه بهذا النص « لا تقتل » لاذعن الناس له بلا تبديل فيه ولا اعاضة له بغيره ولو اعتنى الناس به عنايتهم بحفظ يوم السبت أو بتقديس الايقونات أو بتناول الاسرار أو بالامتناع من اكل لحم الخنزير أو ماشاكل ذلك لتغيرت الحياة الانسانية وبطلت الحروب وانمحي الاستعباد ولم تملك الاغنياء اراضى الفقراء وتستأثر بالثمار اليسيرة من متاعب الكثيرين ذلك لان هذه كلها مؤسسة على امكان القتل أو التهديد بالقتل

هذا ما كان يحصل لو انهم اعتقدوا بان هذه الوصية « لاتقتل » هى القانون الالهى الوحيد ولكن لما وجدت معها وصايا أخرى خاصة بحفظ يوم السبت وعدم القسم بالله الخ وعدت على شاكلتها فى الاهمية استحدثت بطبيعة الحال أو امر كهنوتية شتى وعدت واجبة ايضاً مثلها فاختفى بذلك من بينها اعظم وصية الهية بدلت الحياة الانسانية. ولكونها لم تكن متبعة على الدوام بل كان يعمل بما يناقضها فى بعض الاحيان لم ينل هذا القانون الاعتبار الخليق به للآن وماحدث لهذا القانون حدث لقانون مقابلة المثل بالمثل *

أن أشد آفة يعانيها الناس لم تكن ناشئة عن جهلهم بالقانون الالهى لانهم كانوا عالمين به منذ أمد مديد بل ناشئة عن تلك الفئة التى يضيرها العلم والعمل به * ولما لم تستطع القضاء عليه ولا دفعه ابتكرت الوصية تلو الوصية والاسطر الكثيرة كما قال أشعيا ثم أوهمت انها واجبة كالقانون الالهى أو اشد وجوبا منه *

ان ما يخلص الناس من الآمهم هو تحرير انفسهم من أوهام اللاهوتية والحكومية والعلمية التى تعرض عليهم كأنها قوانين ضرورية للحياة ومتى تم لهم ذلك وجب عليهم الاعتراف والتعلق طبعا بذلك القانون الالهى الابدى المذكور آنفا الذى يمنح الناس جميعا أعظم نفع يرجونه فى الحياة الاجتماعية *

ينبغي للعمال أن يطهروا أنفسهم من أقذار المساوى لئلا تفترسهم الحكومات والاغنياء * ان النجاسة انما تتولد من الاقذار ولا تتغذى من الاجسام الغريبة الا اذا كانت تلك الاجسام قذرة فليس للعمال من وسيلة يتخلصون بها من نكباتهم غير تطهير أنفسهم * ولكى يطهروا أنفسهم ينبغى لهم ان يتحرروا من أوهام اللاهوتية والحكومية والعلمية وأن يعتمدوا على الله ويثقوا به * هذه هى الوسيلة الوحيدة للنجاة

يقابل الانسان فى هذا الزمان المتعلم والجاهل فيجد كليهما قد اشتد سخطه من النظام الحالى فالمتعلم لا يعتقد بالله وبقانونه لكنه يعتقد « بماركس ولاسال »

ويتتبع أعمال «بيل وجوريه» فى البر لمانات ويلقى الخطب الحماسية على مظالم الملكية وآلات العمل وانتقال الملكية بالوراثة والجاهل مع جهله بهذه النظريات واعتقاده بالثالوث والفدية الخ ساخط على ارباب الاملاك والاموال ومسفه للنظام الحالى باسره * ولو رفع شأن العامل متعلما كان او جاهلا وحسنت حاله باستخراج بعض المواد وبيعها بأثمان رخيصة قد تضر بمصلحة مئات وألوف من زملائه أو بالالتحاق بوظيفة سامية ذات مرتب عال فى مصلحة أحد الممولين أو بشراء ارض او بتفويض تدبير امر اليه مع عامل مأجور لما تردد طرفة عين فى الدفاع عن ملكية الارض وأرباحها وكان كالعمال الذين نراهم يدافعون عن الملكية اشد ممن ولدوا ملاكا او ممولين * أما العمال المشتركون فى القتل (أى فى الخدمة العسكرية او فى دفع الضرائب المخصصة لمعونة الجيش) وهو ذلك العمل المخالف للآداب الموجب لاستعبادهم والمضر بهم وباخوانهم أبلغ ضرر فليس فيهم احد يعنى به اصلا

بل هم جميعا يدفعون الضريبة راضين او ينتظمون من تلقاء انفسهم فى سلك الجندية كأن هذا العمل لديهم امر عادى * فهل يمكن ان يلتئم نظام لمجتمع انسانى هؤلاء افراده غير هذا النظام الحالى ان العمال يلقون تبعة سوء مركزهم على شح وقسوة الملاك والممولين والغاصبين غير ان جميعهم او غالبهم سواء فى عدم الايمان بالله وبقانونه وما الملاك والممولون والغاصبون الا فئة قليلة *

يأتى فتى من الريف الى احدى المدن طلبا للارتزاق فيزور صاحبا له حوذيا لدى أحد التجار الموسرين ويرجوه أن يبحث له عن مهنة اقل أجرا مما هو شائع فى المدينة . فالفتى راغب فى خدمة كهذه لكنه عندما يعود الى صاحبه فى صباح الغد يسمع شكوى خادم مسن حرم من مهنته واصبح فى حيرة لا يدرى كيف يرتزق فيرثى الفتى لهذا الشيخ وتحزنه حاله ويعدل عن الاستخدام خيفة أن يناله ما نال غيره *

يخدم مزارع ذو اسرة كبيرة فى وظيفة ناظر زراعة

بمرتب عال لدى مالك مثر مستبد فتصير أسرته فى
رغد من العيش فيبتهج لذلك بيد انه لا يكاد يباشر
أعماله حتى يجد نفسه مضطرا لتغريم المزارعين الذين
تجول خيولهم فى اراضى المالك ولالقاء القبض على
النساء اللائي يجمعن من أرضه للوقود غصونا جافة
فيأبى عليه ضميره ان يقترف هذه الفعال فيعتزل
منصبه غير مكترث لتعنيف أسرته وعتبها ثم يلتحق
بعمل آخر أقل كسبا من الاول *

يرسل جندى ورفاقه لاخماد فتنة أذكى نارها
العمال ويؤمر باطلاق الرصاص عليهم فيأبى ان يطيع
فيعذب من جراء إبائه عذابا أليما *

انما سلك هؤلاء ذلك السبيل لأن السيآت التى
يأتونها ضد غيرهم غير خافية عليهم لان قلوبهم تنبؤهم
ان اعمالهم مخالفة للقانون الآلهى « افعل لغيرك ما تحب
ان يفعله الغير لك » *

اذا رخص العامل عمله ثم لم ير الذين اصابهم
ضرر بسبب ذلك بقيت الآفة التى يجرها عليهم على

حالها واذا صار العامل مستخدما ولم يبصر او لم
يشعر بما ترتكبه من السيئات نحو رفاقه بقيت المضرة
كذلك على حالها * وهذا شأن من انتظم فى سلك
الجندية وتأهب لقتل اخوانه عند الضرورة فانه وان لم
يشهد وقت التحاقه بالجيش ساحات الوغى وير
الاشخاص الذين سيقاتلهم بعد تعلمه الضرب والطعن
يعلم ان مهنته ستكون إهراق الدماء *

فلكى يحرر العمال أنفسهم من البغى والاسترقاق
ينبغى لهم أن يتهذبوا تهذيبا دينيا يردعهم عن الاساءة
الى اخوانهم وان وكانت الاساءة غير بادية للعيان وان
يمتنعوا تدينا (كما يمتنع الناس الآن من أكل لحم
الخنزير وأكل اللحوم فى ايام الآحاد وما شاكل ذلك) -
(اولا) من الاشتغال للممولين اذا استطاعوا الى ذلك
سبيلا (وثانيا) من عرض ساعهم واعمالهم للممولين
بأثمان البخس من الاثمان الشائعة (وثالثا) من تحسين
حالتهم بواسطة تحيزهم لاصحاب الاموال وخدمة
مصالحهم (ورابعا) وهو الاهم ان يمتنعوا من الاشتراك

مع الحكومة فى اخضاع الناس بالتحاقهم الى البوليس اوالجمرك او الجيش وبهذا التهذب والامتناع والتعفف فى العمل ينجو العمال من المظالم *

ان العامل اذا التحق بالقتلة المنظمين (الجنود) طمعاً فى مال أو خوفا من عقاب ولم يؤنبه ضميره على ذلك او تعمد حرمان قرينه من مكاسبه ليزيد من مصلحته الشخصية أو تحيز الى الظالمين وعاونهم فى أعمالهم ليس له حق فى ان يشتكى من شئ أصلا لانه مهما كان المركز الذى يوجده لنفسه لايخرج عن ان يكون إما مظلوما أو ظالما *

ومن لم يؤمن بالله وبقانونه لا يستطع فى حياته القصيرة ان يفعل شيئاً الا ان يرغب فى اوفر نصيب من السعادة غير ملتفت الى النتائج التى تلحق بغيره من جراء ذلك فعندئذ يتكون كوم مخروطى الشكل تكون الحكام على قمته والمظلومون من أسفلهم مهما كان شكل النظام الاساسى الذى يسن لهم *

(٥)

الرق فى عصرنا

دلت الاحصاءات الانجليزية على ان متوسط العمر فى الطبقات العليا خمس وخمسون سنة وفى طبقة العمال المحترفين بحرف غير صحية تسع وعشرون سنة *

اذا علمنا ذلك (ولا نستطيع أن نجهله) فاننا معاشر المثرين والاحرار والساعين لخير الانسانية والمشفقين على آلام الحيوان فضلا عن الانسان والمنتفعين بثمرة تلك الاعمال التى تفقدنا تلك النفوس البشرية نعتقد (مالم نكن حيوانات) ان ليس فى قدرتنا التمتع بالهدوء لحظة واحدة لكننا مع ذلك لا نجرى على مقتضى اعتقادنا اذلا نفتر فى الواقع عن اجتناء ثمار مثل هاتيك الاعمال واستنفاد الوسع فى الاثراء من غير أن نحس بألم *

مثلا اذا بلغنا ان بعض عمال السكك الحديدية يشتغلون سبعاً وثلاثين ساعة وقوفا على الاقدام ويسكنون دوراً غير صحية فاهتممنا لذلك أرسلنا فى

الحال مفتشاً (يتقاضى مرتباً جسيما) للبحث والتحقيق ومنعناهم من الاشتغال أكثر من اثنتى عشرة ساعة الا انا بذلك أحرمنا العمال ثلث أجورهم فلذا تراهم يكدون لاطعام أنفسهم بقدر الطاقة فاذا رأفنا بهم وأجبرنا شركة السكك الحديدية على تشييد غرفة لهم فسيحة مريحة نجد أنفسنا اننا نداوم بكل طمأنينة على تسلم السلع وارسالها بواسطة تلك الشركة ونواظب على أخذ مرتباتنا وأنصبائنا فى الربح وأجور المنازل والارض الخ.

واذا علمنا ان النساء والبنات المشتغلات فى معامل الحرير المتغربات عن أهلهن يهلكن أنفسهن وأولادهن فى سبيل عملهن وان السواد الاعظم من الغسالات اللائى يكوين قمصاننا بالنشا وصفافات الحروف اللائى يطبعن كتبنا وأوراقنا توفيراً لاوقاتنا يصبن بالسل - هززنا اكتافنا ثم أظهرنا أسفنا لوقوع مثل هذه الامور وزعمنا أن لامفر منها ولا حيلة لنا على تغييرها واستمررنا بهدوء بال كعادتنا على شراء الحرير ولبس

القمصان المكوية بالنشا وتلاوة صحف الصباح

اننا نهتم كثيرا بساعات البائعين فى الدكاكين وبالاوقات التى يقضيها أولادنا فى المدارس ونحظر كل الحظر سائقى المركبات من نقل الاحمال الثقيلة التى لاقدرة للخيل على جرها وننظم أساليب ذبح الحيوانات فى المذابح تخفيفا لآلامها ولكنا من المدهش نتغافل ونتعامى ازاء تلك المسئلة المهمة المتعلقة بالملايين من العمال الذين يبيدون شيئا فشيئا ويتجرعون كؤس الآلام ألوانا قبل أن يقضوا نحبهم فى أغلب الاحيان ونجنى ثمار مجهوداتهم ونستريح ونلهو من أتعابهم

(٢)

﴿ تزكية العلم للنظام الحالى ﴾

ان هذا العمى المدهش الذى أصاب زملاءنا لايمكن ايضاحه الا بان الناس اذا حادوا عن سواء السبيل ونهجوا منهجا غير قويم ابتكروا فلسفة للحياة تبريرا لفعالهم السيئة وأقاموا الحجة على انها غير سيئة وانها ليست الا نتائج لقوانين لا تبديل لها ولادخل

لارادتنا فيها وكان هذا الرأى (رأى الناس فى الحياة) ممثلا فى الازمان السالفة فى النظرية القائلة ان هناك ارادة الهية سابقة وهى سر غامض لايتبدل ولا يتحول ثمن الناس من كتبت له الذلة والشقاوة ومنهم من كتبت له الرفعة والسعادة فى الدنيا وقد ألف العلماء فى هذا الموضوع كتبا جاوزت حد الكثرة وألفوا مواعظ لاعداد لها وقتلوا الموضوع بحثا وقلبوه من جميع وجوهه فأثبتوا أن الله خلق الناس أوزاعاً شتى فمنهم العبيد ومنهم السادة وكل عليه أن يقنع بما لديه وأن العاقبة للعبيد والفقراء فى الدار الاخرى * ثم قالوا ان العبيد وان خلقوا عبيدا وقضى عليهم بذلك لاتسوء حالهم اذا ترفق بهم ساداتهم وعاملوهم بالحسنى . وآخر ما قالوه بعد ماتحررت العبيد من رقها ان الله استودع بعض الناس مالا لانفاق بعضه فى الخيرات فلا ضرر من اليسار ولا خوف من الفقر *

ان هذه الايضاحات أقرت عيون الاغنياء وأرضت نفوس الفقراء دهرا طويلا ثم أتى زمان

أصبحت فيه هذه الايضاحات زائفة مبتذلة غير رائجة ولا رائقة ولا سيما فى نظر الفقراء الذين أخذوا يدركون كنه مراكزهم فاحتيج الامر الى ايضاحات جديدة ولما سنحت للعلماء الفرص الملائمة اذاعوها وأفرغوها فى قالب علمى كالاقتصاد السياسى الذى يثبت انه أوجد قواعد تضبط تقسيم العمل ومنتجاته بين الناس * وهذه القواعد بحسب هذا العلم تقرر ان تقسيم العمل والتمتع بالمنتجات يتوقفان على العرض والطلب ورأس المال والريع وأجور العمال والقيم والارباح الخ وعلى قواعد ثابتة لاتتغير ويخضع لها الانسان فى مجهوداته الاقتصادية *

اقتنع الناس مدة طويلة بالرأى القائل ان مشيئة الله قاضية بان يملك فريق من الناس فريقا آخر بيد أن هذا الرأى بتبريره القسوة أوجب قسوة فى المقاومة وأثار المشكوك حول صحته . وهذا حال النظرية القائلة ان الترقى الاقتصادى المسترشد بالقوانين الجبرية سائر فى طريق النجاح فلذا وجب على بعض الناس

جمع رءوس الاموال وعلى البعض الآخر الاشتغال
طول حياته لاتمائها توسلا الى بلوغ أمنية جعل المعيشة
اشتراكية . فهذه النظرية قد أدت الى تفاقم قسوة
الناس بعضهم على بعض وأخذوا لذلك يبدون
الريب والاعتراضات ولاسيما العوام الذين
لايحفلون بالنظريات العلمية *

(٣)

عهد المصانع الكبرى

لايرجع السبب فى انتكاس حالة العمال الى استيلاء
الممولين على وسائل الانتاج بل الى الحامل لهم على
هجر القرى هذا أولا وثانيا تحريرهم مما هم فيه لايتحقق
(حتى فى مستأنف الاعوام الطوال التى يعدهم فيها العلم
بنيل الحرية) بواسطة تقليل ساعات العمل أو زيادة
الاجور أو جعل المعيشة اشتراكية لان هذا لايصلح
شأنهم أو شقاءهم فى السكك الحديدية وفى مصانع
الحرير وفى كل مصنع أو معمل آخر غير راجع الى طول
ساعات العمل أو قصرها (فانا نرى المزارعين يشتغلون

أحيانا ثمانى عشرة ساعة يوميا وهى قدرست وثلاثين
ساعة وقوفا على الاقدام ومع ذلك يعدون أنفسهم
سعداء) ولا الى عدم ملكيتهم المصانع بل الى الحقيقة
التى لاريب فيها وهي انهم مجبرون على الاشتغال باعمال
شاقة ضارة على حسب ارادة الغير بحالة غير طبيعية
محفوفة بالمخاطر ومتلفة لحياتهم وعلى الاقامة فى المدن
فى أماكن مفسدة لآدابهم كالثكنات *

نقصت ساعات العمل فى الايام الاخيرة وزادت
الاجور لكن هذا النقص وهذه الزيادة لم يحسنا
حالة العمال لامن جهة عادات المترفين كتعليق الساعات
وسلاسلها والتدخين وشرب الجعة وأكل اللحوم الخ
بل من جهة مصالحهم الحقيقية أعنى صحتهم وأخلاقهم
وسيرهم ولاسيما حريتهم *

ان الصناع أردأ صحة من عمال القرى وأقل منهم
أعمارا بالرغم من نقصان ساعات عملهم وزيادة أجورهم
فى كل مكان أما آدابهم فمبتذلة لبعدهم عن عوامل
التهذيب كالمعيشة المنزلية والعمل الزراعى الحر الصحى

المتنوع الواضح *

نعم ان فى الاستطاعة كما يؤكد لنا بعض علماء الاقتصاد اصلاح حالة العمال الصحية والادبية بالنسبة الى ما كانت عليه من قبل فى المعامل بتنقيص ساعات العمل وزيادة الاجور وتحسين صحتهم فى المعامل والطواحين وقد تكون حالة الصناع فى هذه الايام وفى بعض البلاد خيراً منها فى الايام السابقة ومن حالة عمال القرى فيما يتعلق بالامور الظاهرية غير ان هذا راجع الى أن الحكومة والجمهور اذا تأثرا بالبراهين العلمية عملا غاية ما فى وسعهما لتحسين حالة أهل المصانع بنفقة أهالى القرى . واذا كانت حالة عمال المعامل فى بعض البلاد خيراً من حالة القرويين (فى الامور الظاهرية فقط) فذلك انما يدلنا على ان فى الاستطاعة جعل الحياة فى حين انها سعيدة فى الظاهر شقية فى الواقع ونفس الامر بوضع جميع أنواع القيود المشددة وليس هناك مركز ضار غير طبيعى أكثر من كون الناس لا يستطيعون أن يوفقوا أنفسهم اليه ولو لبثوا

فى ذلك المركز عدة أجيال *

ان شقاء الصانع على الخصوص والعامل فى المدينة على العموم غير متوقف على طول الساعات وقلة الاجور بل على حرمانه من الحرية والشروط الطبيعية للحياة التى لها احتكاك بالطبيعة واجباره على الاشتغال بعمل متجانس مملّ بارادة الغير فاذا سئلنا اذن عن سبب شقاء عمال المصانع وعمال المدن وطريقة اصلاح حالهم لا ينبغى أن يكون جوابنا عن سبب شقائهم هو استيلاء الممولين على وسائل الانتاج وعن طريقة اصلاح حالهم هى بنقصان ساعات العمل وزيادة الاجور وجعل وسائل الانتاج مشتركة

بل ينبغي أن يكون جوابنا بتوضيح الاسباب التى دعت الى حرمان العمال من الحرية والشروط الطبيعية للحياة وأوقعتهم فى أسر المصانع وتوضيح الوسائل التى تخلصهم من الضرورة القاضية عليهم بترك الحياة الريفية الحرة والذهاب الى عبودية المصانع

فالسؤال عن سبب تعس العمال يتضمن قبل كل

شيء الاستفسار عن الاسباب التى دعتهم الى هجر القرى التى كانوا يعيشون فيها هم وأجدادهم من قبل وهم لا يزالون فى روسيا يقيمون فيها وعن الاسباب التى حملتهم على الاشتغال ضد ارادتهم فى المعامل

فى بعض الممالك كانجلترا وبلجيكا والمانيا عمال يشتغلون فى المعامل منذ أجيال لا رغبة منهم فى ذلك بل لان آباءهم وأجدادهم أرغموا بأى طريقة كانت على استبدال حياتهم الزراعية المحبوبة بحياة شاقة فى المدن والمعامل * قال (كارل ماركس) ان الارض أخذت من القرويين قهرا فى بادىء الامر فطردوا واستعبدوا ثم عذبوا بمقتضى قوانين جائرة بالكلاليب والكى والجلد كى يقبلوا أن يكونوا عمالا مأجورين *

والسؤال عن طريقة انقاذ العمال من حالتهم السيئة يستدعى بطبيعة الحال التفكير فى ازالة الاسباب التى توجب طرد بعض العمال وتهديد بعضهم بالطرد من مراكزهم المحبوبة لديهم الى مراكز يمقتونها ويكرهونها

وعلم الاقتصاد مع انه يبين الاسباب التى توجب ابعاد المزارعين عن القرى لا يهتم فى مباحثه بازالة تلك الاسباب بل يوجه كل عنايته الى اصلاح حالة العمال فى المعامل باعتبار ان مراكزهم فيها ثابتة غير متغيرة فيوجب عليهم المحافظة عليها كما يوجب على الذين لا يزالون فى القرى أو الذين لم ينفصلوا عن العمل الزراعي ان يجعلوا الاشتغال فى المعامل نصب أعينهم ويسعوا للوصول اليه وهو فضلا عن ذلك يجزم بأن المزارعين لابد أن يصبحوا عمالا فى المصانع فى المدن ثم انه بالرغم من أن جميع حكماء الدنيا وشعرائها تصوروا سعادة الانسان في العمل الزراعي وأن جميع العمال الذين لم تفسد عاداتهم يؤثرون الزراعة على ماسواها ومن أن العمل فى المصانع متجانس غير صحى والعمل الزراعى متفاوت وصحي وحر أعنى ان المزارع يتناوب العمل فيعمل ويستريح متى شاء والصانع يعمل دائما ويعتمد فى عمله على الآلات فعمله لذلك ليس أساسيا وان كانت المعامل مملوكة للعمال والمزارع

عمله أساسى ولا وجود للعامل بدونه ـ انه بالرغم من
ذلك نجده يجزم بأن أهالى القرى كافة لم يصبهم
ضرر من الانتقال الى المدن بل هم أنفسهم
يرغبون فى ذلك ويسعون اليه *

(٤)

الذين يطالبون أن تكون المراقبة التامة على
وسائل الانتاج بيد العمال حتى أكبر علماء الاقتصاد
الاشتراكيين يرجون أن يكون الانتاج أو المواد
التى تصنع الآن فى المعامل أو ما يشابهها باقيا على
ماهو عليه وكذا تقسيم العمل الحالى والفارق بحسب
تصورهم هو انهم هم وجميع الناس سينتفعون فى المستقبل
بأمثال هذه المسهلات التى يتمتعون بها الآن وهم
يصورون لانفسهم صورة غامضة فيقولون ان رجال
العلم والطبقات الحاكمة بجعل وسائل الانتاج مشتركة
يقومون بأداء الاعمال فيكونون على الاخص مديرين
أو مدبرين أو علماء أو فنيين . فاذا قيل لهم ومن يصنع
الرصاص الابيض أو يكون نجاماً أو فاعلا في المناجم

أو نازحاً للبالوعات ؟ صمتوا أو تنبؤا بأن الاصلاح
سيشمل كل شىء حتى ان نزح البالوعات والاشتغال
تحت الارض يصبحان وقتئذ من الاعمال الملذة .
هذا ما يصورونه لانفسهم من المستقبل الاقتصادى
وما هى الا معيشة كمالية خيالية كالتى تخيلها (بلمى)
أو نظرية مسطورة فى المصنفات العلمية *

ان العمال بحسب نظريات الاشتراكية سينضمون
جميعا الى شركات وجمعيات ويغرسون في نفوسهم حب
الوحدة والتآزر بواسطة الجمعيات والاعتصابات
والاشتراك فى البرلمانات الى ان يمتلكوا الارض
وكل وسائل الانتاج فيتغذون جيداً ويلبسون جيداً
ويتمتعون بأنواع الملاذ في أيام الآحاد ويؤثرون
المعيشة المدنية المقيدة وسط المبانى اللبنية ودخان المداخن
على المعيشة القروية الحرة وسط النباتات والحيوانات
الداجنة ويفضلون العمل المتجانس الممل والميكانيكى
المنظم على العمل المتفاوت الصحي والزراعي الحر . ومع
ان هذا الرجاء بعيد الاحتمال كرجاء علماء اللاهوت

فى تنعم العمال فى الدار الاخرى جزاء أعمالهم الشاقة
في الدنيا نرى العلماء والمتعلمين من بيئتنا يعتقدون بهذه
التعاليم الغريبة كما كان يعتقد الحكماء والمتعلمون فى
الايام الماضية بسعادة العمال الاخروية *

هذا مايعتقده العلماء وتلاميذهم الموسرون دفعاً
لهذه المشكلة التى تعترضهم في سبيلهم وهم إما أن يروا
أن كل ما ينتفعون به من السكك الحديدية الى عيدان
الكبريت والسجاير أعمال تودى بحياة كثيرين من
اخوانهم وأنهم لاذمة لهم لعدم مقاسمتهم تلك الاعمال
واما أن يعتقدوا أن كل مايحدث انما يحدث للفائدة
العامة وفاقاً للقوانين الاقتصادية الثابتة وفي هذا الباعث
النفسانى الحقيقى الذى حمل رجال العلم لا المستنفرين
على التصريح والجزم بانه خير للعمال أن
يتركوا الحياة السعيدة والصحية
والطبيعية ويذهبوا الى مافيه تلف
جسومهم وهلاك حياتهم
فى المعامل والمصانع *

(٥)

اخفاق مطامح الاشتراكية

ولو سلمنا جدلا بزعمهم الذى لا أساس له المناقض
للطبيعة البشرية وقلنا إنه خير للعمال أن يعيشوا فى المدن
ويجبروا على الاشتغال بعمل ميكانيكى من أن يسكنوا
القرى ويشتغلوا بالحرف اليدوية الحرة لبقيت مسألة
مما يطمحون اليه من غير حل وإن زعم رجال العلم
أن الرقى الاقتصادى سيتوصل الى حلها وهذه المسألة
هى ان العمال بعد أن تصبح لهم السيادة على كل
وسائل الانتاج يتنعمون بالرفاهية والمسرات التى يتنعم
بها الآن الموسرون فيحسن وقتئذ لباسهم ومسكنهم
وغذؤهم ويمشون في شوارع مصنوعة بالاسفلت
ومنارة بالاضواء الكهربائية عامرة بمحال الموسيقى
ومسارح التمثيل ويتلون الجرائد والكتب ويتخذون
السيارات الخ . ويحوز كل منهم مايليق به ويلزم من
حيازة كل منهم مايليق به ان تقسم انتاج الاشياء عليهم
الا انه يلزم تعيين المدة التى يمضيها العامل في العمل

ولكن كيف يمكن ذلك التعيين ؟*

قد تبين الاحصاءات على نقصها مايحتاج اليه الناس في مجتمع مقيد برأس المال والمنافسة والحاجة ولكن لاتوجد احصاءات تبين كمية الحاجات والمواد التى تسد مطالب مجتمع سيمتلك بنفسه وسائل الانتاج أعنى انه سيصبح حراً

ان المطالب في مجتمع كهذا لايمكن تحديدها وهى تفوق دائما حد كفايتهم اذ كل انسان يريد ان يكون لديه من المقتنيات مثل أعظم الاغنياء فيستحيل اذاً تعيين كمية الارزاق والسلع اللازمة لمثل هـذا المجتمع ومع ذلك كيف ينقاد الناس الى الاشتغال بأشياء يعتبرها البعض ضرورية والبعض الآخر غير ضرورية أو ضارة،

اذا وجد انه من الضرورى أن يشتغل كل فرد ست ساعات فى اليوم مثلا كى تسد بذلك حاجات المجتمع فمن يستطيع اجبار عامل فى مجتمع حر على الاشتغال ست ساعات مادام يعلم أن هذا الزمن يضيع فى انتاج أشياء غير ضرورية أو ضارة؛

لا ننكر أن المواد على كثرة أختلافها تصنع الآن صنعاً جيداً بلا عناء شديد بفضل الالات وتقسيم العمل الذى أدى الى الدقة فى الصنعة وأنها لتعود بالربح على أصحاب المعامل ويرتاح الناس باستعمالها . لكن كون هذه المواد جيدة الصنع ومصنوعة بمجهود يسير وتربح اصحاب رءوس الاموال وتريح الناس ليس دليلا على أن القوم المتمتعين بالحرية سيثابرون على انتاجها من غير اجبار*

لاريب ان مصنع كروب بتقسيم العمل الحالى يصنع مدافع بديعة بغاية السرعة والدقة وأن مصنع (ن . م) يصنع حريرا بسرعة ودقة كذلك و (س.ى) و (ز) يستخرجان روائح عطرية ومسحوقا لتجميل الوجوه وصورا جميلة و (ك) يستخرج خير أنواع الويسكى وألذها الخ *وأن هذا يعود بالفائدة العظمى على الذين يرغبون فى هذه المواد وعلى أصحاب المصانع التى تصنع فيها غير أن الذين يطلبون المدافع والروائح والويسكى هم الذين يبتغون السيادة على الاسواق فى

الصين أو يحبون احتساء الخمر والعناية بتجميل الوجوه لكن يوجد من الناس من يعد انتاج هذه المواد ضارا كما انه يوجد من يعد غيرها كالمعارض والمجامع العلمية والجمعة ولحم البقر غير ضرورية أو ضارة فكيف يمكن حمل هؤلاء الناس على الاشتراك فى انتاج مثل هذه المواد ثم لو وجدت وسيلة تلم شمل هؤلاء جميعاً لانتاج مواد معينة (وان كان وجود وسيلة كهذه لايكون بدون الارغام) فمن ذا الذى يعين المواد التى لها الافضلية فى مجتمع حر بدون اختصاص الانتاج الكبير القائم بالممولين والمسابقة وقانونها الخاص بالعرض والطلب ؟ وأى المواد يقدم صنعها وأيها يؤخر ؟ هل نبدأ بمد سكة حديد سيبيريا أو بتحصين پورت أرثر وترصف بعدئذ الشوارع بالحصى أو بالعكس ؟ وهل يبتدأ بالانارة بالكهرباء أو برى الحقول ؟ وهناك مسألة أخرى خاصة بالعمال الاحرار لاحل لها* وهى أى عمل يؤثره العمال على غيره ؟ لاشك انهم جميعاً سيؤثرون الاشتغال بتجفيف

الحشيش أو بالرسم على الاشتغال بالوقود فى الافران او بتطهير البالوعات فكيف يتفق الناس اذا عند تقسيم العمل ؟*

لا توجد احصاءات تجيب على هذه الاسئلة والجواب عليها لايكون الانظريا كأن يقال مثلا ان السلطة ستخول لفئة ويعهد اليها تدبير كل هذه المسائل فبعض الناس يقررون والبعض الآخر يعترفون الا أنه ستتولد مسألة أخرى فى غاية الاهمية عدا تقسيم وادارة الانتاج واختيار العمل وقما تكون وسائل الانتاج مشتركة وهذه المسألة مختصة بمقدار تقسيم العمل الممكن تقريره فى مجتمع يسير بمقتضى النظامات الاشتراكية *

ان تقسيم العمل الحالى متوقف على حاجة العمال والعامل يقبل ان يقضى حياته تحت الارض أو يصنع جزأ من مئة جزء من أداة واحدة أو يرفع يديه ويخفضها فى خلال ضجيج الآلات طول عمره لانه لا يجد وسيلة للارتزاق غير هذه . لكنه اذا امتلك وسائل

الانتاج وأصبح لايشكو عوزا لا يقبل أن يشتغل
فى عمل كهذا شاق بحالة تودى بحياته شأن العمال فى
هذا الزمان الا اذا أرغم على ذلك * اننا لا نرتاب فى
ان تقسيم العمل نافع جدا وطبيعى لبنى آدم الا انهم
متى تحرروا كان التقسيم ضيقا ومحدودا فى حين انه
قد جاوز حد السعة فى هيأتنا الاجتماعية *

اذا اشتغل مزارع بصنع الاحذية على الاخص
واشتغلت زوجته بالنسيج ومزارع ثان بالحرث وكان
الثالث حدادا ثم برع الجميع فى أعمالهم وتبادلوا ما انتجوه
كان التقسيم نافعا للجميع والاحرار طبعا يقسمون
أعمالهم بهذه الطريقة . اما التقسيم الذى يجعل الرجل
يشتغل بصنع جزء من مئة جزء من أداة واحدة أو
يوقفه أمام فرن بدرجة حرارة (١٤٠) فهرنهيت أو
يعرضه للاختناق بالغازات الضارة فهو تقسيم فاسد
لانه وان كان يرقى صناعة الادوات الصغيرة يتلف أثمن
شئ لدى الانسان وهي الصحة ولذا لايوجد التقسيم
الحالى الا حيث يوجد القهر والاذلال *

قال (ردوبرتس) ان التقسيم الاشتراكى للعمل
يؤلف بين الناس وهو قول حق لكن الذى يؤلف
بين الناس انما هو التقسيم الحر * وهو الذى يتفقون
عليه مختارين اما اذا لم يكترث لارادة العمال وعمل
على تقيضها أحيانا بمدسكة حديدية حربية او اقامة
برج كايفل أو ملئ معرض باريس أو ماشاكل ذلك
من السخافات . وقسم العمل هكذا بان أجبر عامل
على جلب الحديد وثان على الحفر لتحصيل الفحم
وثالث على السبك ورابع على قطع الاشجار وخامس
على نشرها بدون ان يكون لهم أى علم بفائدة عملهم
فان مثل هذا التقسيم غير مؤلف بين الناس بل مشتت
لشملهم . فلو كان العمال أحرارا وكانت وسائل الانتاج
مشتركة لما اختاروا لانفسهم الا تقسيما تكون كفة
الخير فيه راجحة على كفة الشر الذى يصيبهم * واذا
كان كل انسان يرى طبعاً مصلحته فى اتساع مجهوداته
وتنوعها استحال وجود تقسيم للعمل فى مجتمع حر
كالتقسيم الحالى *

أما الظن بان المنتجبات ستكون متوفرة بعد ماتصبح وسائل الانتاج مشتركة كما هي الآن متوفرة بسبب التقسيم الحالى الجبرى وبأن مطامع الاشتراكية عندما تتحقق يصير كل انسان حرا مطلق التصرف فى كل شئ تقريبا فيتمتع بما يتمتع به طبقة الاغنياء الآن فهو كظنهم بان الموسيقات الوترية المنزلية والملاهى وعمل السجاجيد والدنتلات وغرس لحدائق الغناء ستبقي على حالها بعد تحرير الارقاء كما كانت من قبل وهو ظن واضح البطلان*

(٦)

﴿ الاصلاح أو الحرية ﴾

يسمى العلماء واتباعهم الموسرون النظام الاقتصادي الحالى اصلاحا ويرون أن هذا الاصلاح الشامل للسكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات والفوتوغرافات وأشعة رونتجن والمستشفيات والمعارض وجميع اسباب الراحة أمر مقدس فلا يسمحون لاحد بادخال أى تغيير فيه قد يفضى الى اتلافه أو اتلاف جزء من

أجزائه وكل شئ يمكن تغييره بناء على تعاليم هذا العلم الا هذا الاصلاح * لكن الظاهر انه متوقف على أجبار العمال على العمل ومع ذلك نرى ان رجال العلم متحققون من ان هذا الاصلاح أعظم النعم على الانسان حتى أنهم يذيعون على رءوس الاشهاد بما يخالف ماقاله علماء الشريعة السابقون « ليأخذ العدل مجراه وان زال العالم » وهم يقولون الان « ليبق الاصلاح وان زال العدل » ويعملون وفاقا لقولهم*

كل شئ يجوز تغييره عمليا ونظريا الا الاصلاح والنظام المتبع فى المصانع والمعامل ولا سيما مايباع ويشترى فى الدكاكين . لكن الذى أظنه أن المتعلمين المهذبين المتمسكين بالشريعة المسيحية التى تحث على الاخاء ومحبة الجار يقولون عكس ذلك *

ان الانوار الكهربائية والتليفونات والمعارض والحدائق الممتعة التى تصدح فيها الموسيقات والسجاير وعلب الكبريت والاحزمة والسيارات أشياء ثمينة جدا ولكن فلتبد باسرها هي والسكك الحديدية

ومنسوجات المعامل فى الدنيا مادام انتاجها يفضى حتما الى استعباد ٩٩ ٪ من الناس وموت الوف فى المعامل

واذا اقتضت الضرورة بموت أوضعف فئة ولو قليلة من الناس أو بتقصير أعمارهم (والاحصاءات تبين ذلك) فى سبيل انارة لندرة أو بطرسبرج بالكهرباء أو فى سبيل بناء معرض أو ايجاد صور جميلة أو نسج ملابس مزخرفة بسرعة وكمية وافرة فالاولى إضاءة لندرة او بطرسبرج بالغاز أو بالزيت والاستغناء عن المعرض والصور والمنسوجات منعاً للاستبعاد وازهاق الارواح*

لا ريب ان القوم المهذبين يودون العودة الى فلاحة الارض بالعصى وبأيديهم ويؤثرون ركوب الخيل على ركوب القطرات التى تدوس سنويا عدداً من الناس كما هو الحال فى مدينة شيكاغو لا لشىء سوى ان ملاك السكك الحديدية يرون ان دفع التعويض لأسر صرعى القطرات أعود بالفائدة لمصالحهم من مد خط يقى الناس شر هذه الحوادث *

فبدأ المستنيرين حقيقة ليس هو « ليبق الاصلاح وان زال العدل » بل هو « ليأخذ العدل مجراه وان زال العالم »

ولكن الاصلاح النافع لا يلحقه أذى فلاداعى للرجوع الى فلاحة الارض بالعصى أو الاستضاءة بالمشاعل . وان النوع الانسانى لم يترق هذا الترقى العظيم فى الصناعة وهو فى حالة العبودية عبثا فاذا فقهنا انه لا يجدر بنا ان نبذل نفوس اخواننا لمسراتنا تيسر لنا ان ندبر شؤننا وننتفع بالرقى الصناعى دون ان نودى بحياتهم حتى نستفيد من كل الطرق الطبيعية التى ابتكرناها ونستخدمها لمصلحتنا من غير ان يظل اخواننا فى ذل العبودية

(٧)

* الرق موجود بين ظهرانينا *

تصوروا رجلا غريبا وفد الينا من بلاد أحوالها متفاوتة عن أحوال بلادنا كل التفاوت ولا علم له

بتاريخنا وقوانيننا وافرضوا أننا بعد أن أريناه مناظر شتى من حياتنا سألناه عن أعظم مالاحظه من التفاوت لاشك ان أعظم ما يلاحظه على طريقة معيشتنا هو أن يرى أن بعض الناس منا (الاقلية) ذووا أيد بيضاء نظيفة يأكلون أشهى المآكل ويلبسون أحسن الثياب ويسكنون أجمل القصور ولا يشتغلون الا شغلا قليلا هينا بل قد لا يشتغلون أصلا لكنهم ينعمون فى تسلية انفسهم وينفقون على مسراتهم نتائج مجهودات ملايين من أيام قضاها غيرهم فى عمل شاق وأن غيرهم (الاكثرية) ذووا أيد قذرة خشنة وهم فى شظف من العيش يرتدون ملابس رثة ويشتغلون من الفجر الى الغروب بلا انقطاع وقد يشتغلون طول الليل أحيانا لأولئك العاطلين الذين يسلون أنفسهم دائما أبدا *

الناس اما عبيد واما موالى ولكن يصعب على الانسان أن يجعل حدا واضحا يفصل العبيد عن الموالى فى هذا الزمان كما كان فى الازمنة السابقة لانه يوجد الآن بين العبيد عبيد موقتون يصيرون موالى فيما

بعد وكذا يوجد بينهم من هم عبيد وموالى فى آن واحد الا ان هذا الخلط عند نقط تماس القسمين لا يغير الحقيقة وهي انقسام الناس فى زماننا الى قسمين عبيد وموالى كانقسام كل أربعة وعشرين ساعة الى نهار وليل بالرغم من اختلاط النهار بالليل كما عند الغروب والاسفار فالمولى اذا لم يكن لديه عبد يرسله لتطهير مراحاضه فان لديه خمسة شلنات يفتقر اليها مئات من العمال كل الافتقار فيختار المولى منهم من يشاء لهذا الغرض وتكون له يد على من فضله وسمح له دون سواه بالنزول الى المراحاض *

ليس العبيد فى عصرنا هم جميع عمال المعامل والمصانع فقط الذين يبيعون أنفسهم لسلطة المعمل وأصحاب معامل السبك كى يعيشوا بل جميع المزارعين تقريبا عبيد أيضا يشتغلون بلا انقطاع فى زرع قمح الغير فى غير أرضهم وفى جميع الحاصلات فى مخازن غيرهم أو يكدون فى فلاحة حقولهم ليدفعوا لاصحاب المصارف أرباح ديونهم التى لا يستطيعون الخلاص منها *

ذلك العدد الذى لا يحصى من الخدام والخادمات والطهاة والبوابين والحوذيين والحمامين وخدام الموائد الخ عبيد أيضا فانهم يؤدون طول حياتهم أعمالا غير طبيعية للانسان وهم أنفسهم يمقتونها *

الرق موجود باقصى شدته غير اننا لا ندركه كما كان استعباد الفلاحين غير مدرك فى اوروبا فى أواخر القرن الثامن عشر فقد كان الناس وقتئذ يظنون ان حالة المجبرين على فلاحة ارض الملاك واطاعة أوامرهم حالة طبيعية وشرط اقتصادى للحياة لا مناص عنه ولم يسموا تلك الحالة عبودية وكذا الناس فى زماننا يعتبرون حالة العمال طبيعية واقتصادية لا مناص عنها ولا يسمونها عبودية * وكما ان العالم الاوروبى فى آخر القرن الثامن عشر أخذ يفهم شيئا فشيئا ان ما كان يبدو له أنه أمر طبيعى لا مناص عنه للحياة الاقتصادية ألا وهو حالة المزارعين الذين كانوا تحت سلطة سادتهم — هو خطأ وجور ورذيلة تستدعى التغيير كذلك الناس الآن أخذوا يدركون ان حالة العمال المأجورين

خصوصا وطبقات العمال عموما وهى التى كانت تظن انها عادلة وعادية ليست بالحالة التى يحسن بقاؤها فينبغى تغييرها *

العبودية موجودة فى عصرنا هذا وهى فيه تشابه الرق فى غرب أوروبا فى أواخر القرن الثامن عشر وتضاهي استعباد الفلاحين عندنا والرق فى أمريكا فى الربع الثانى من القرن الثامن عشر والطبقة الراقية فى مجتمعنا ترضى باستعباد العمال فى هذه الايام واكثر الناس يعتقدون عدم وجودها وما جعلهم يعتقدون ذلك الا أنهم رأوا أن الرق ألغى حديثا من روسيا وأمريكا ولكن الحقيقة ان الغاءه لم يكن الا الغاء لشكل من أشكاله بطل استعماله وذهبت ضرورته مع استعاضته برق أقوى منه دعامة واكثر اشمالا على عدد المستعبدين وما مثل الغاء الرق واستعباد الفلاحين الا كمثل الطريقة التى اتخذها التتر فى القريم نحو اسراهم وذلك انهم بعد أن شقوا نعال أقدامهم ونثروا فى الجروح قصاصات الشعر وضعوا عنهم أوزارهم وحلوا وثاقهم ولم يفعلوا

ذلك الا بعد أن أحدث الشعر تقرحاً فى الجروح وآلاماً فى النعال على اننا لانشك فى ان هؤلاء الاسرى بعد ان وضعت عنهم اوزارهم وحلت قيودهم يشتغلون ولا يهربون . ان الغاء استعباد الفلاحين من روسيا والرق من أمريكا وان كان قد أبطل شكل الرق القديم لم يبطل ماهو جوهرى فيه *

نادى الامريكيون فى الشمال بجرأة بوجوب الغاء الرق السابق لان الاستعباد المالى كان قد ظهر بينهم بمظهر القوة فى قيد الناس. أما أهالى الجنوب فلم يقبلوا الغاء الرق السابق لكونهم لم يدركوا دلائل الرق بوضوح

لم يلغ استعباد الفلاحين من روسيا الا بعد أن امتلكت الارض كافة ولما اعطيت للمزارعين ثقلوها بالاجور فحلت محل العبودية . ولم تلغ من اوربا الضرائب التى استعبدت الناس الا بعد أن ضاعت الارض من أيديهم وانصرفوا عن العمل الزراعى ولما ذاق العمال حياة المدن توكلوا على المموّلين وعندئذ الغيت ضرائب القمح من انجلترا وقد شرع فى المانيا وفي بعض الممالك

الاخرى في الغاء الضرائب عن العمال وأحالتها على الاغنياء لان السواد الاعظم من الناس أصبحوا فى سلطة ذوى الاموال *

لايلغى شكل من اشكال الرق حتى يقوم غيره مقامه والرق أشكال كثيرة فاذا لم يقع الناس في أسر أحدها وقعوا فى غيره وقد يستعبدون بوسائل شتى تجعل الاقلية هي السائدة وتصيرها ذات سلطة تامة على أعمال الاكثرية وحياتها

ان أعظم سبب في بؤس الناس هو استعباد الاكثرية للاقلية فلذا ينبغى أن تكون وسائل ترقية حالة العمال مشتملة على :

اولا ـ الاقرار بأن الرق موجود بين ظهرانينا حقيقة لا مجازا ولا استعارة وهذا الرق هو الذى جعل الاكثرية تحت سلطة الاقلية *

ثانياً ـ البحث بعد الاقرار بذلك عن أسباب استعباد بعض الناس لغيرهم *

ثالثاً ـ محاربة هذه الاسباب والقضاء عليها متى بدت لنا

(٨)

ماهو الرق ؟

ما الذى يشتمل عليه الرق فى عصرنا وما هى القوى التى تجعل بعض الناس عبيدا لغيرهم ؟ اذا سألنا جميع العمال فى روسيا واوربا وأمريكا سواء كانوا من المشتغلين فى المعامل أم في وظائف أخرى فى المدن أو فى القرى عما دعاهم الى اختيار الحرف التى يحترفون بها أجابوا انهم قد اضطروا اليها إما لانهم ليس لديهم أرض يشتغلون فيها ويتعيشون منها (وهذا مايجيب به عمال روسيا كافة وكثيرون من عمال اوربا) واما لانهم لم يستطيعوا دفع الضرائب المقررة وغير المقررة الا ببيع أعمالهم واما لانهم بقوا فى المعامل بدافع العادات المترفة التى ألفوها ولا يتيسر لهم الاستمرار عليها الا اذا باعوا مجهودهم وحريتهم *

الامران الاولان ـ عدم وجود أرض يشتغلون فيها وعدم استطاعتهم دفع الضرائب الا ببيع عملهم هما اللذان دفعا الانسان الى العمل الجبرى فى حين ان

الامر الثالث وهو اعتيادهم الترف وعدم تيسره لهم الا بالاحتراف أوقعه فى الشرك *

يمكننا أن نتصور تحرير الارض من ملكية الافراد الخاصة بمقتضى طريقة هنرى جورج اذ به يزول الامر الاول وهو عدم وجود أرض يشتغلون فيها وهذا الذى استعبد الناس ونتصور أيضا عدا طريقة وحدة الضريبة الغاء الضرائب او انتقالها من الفقراء الى الاغنياء كما هو المتبع الآن فى بعض الممالك لكننا مع وجود النظام الاقتصادى الحالى لانستطيع ان نتصور حتى مركز الاشياء التى بها تتزايد العادات المترفة المضرة غالبا التى لاينبغى للاغنياء التمسك بها ولا يصح ان تنتقل تدريجا الى الفقراء المجاورين لهم كما ينتقل الماء الى باطن الارض الجافة ولا أن تصير من ضرورات العمال لئلا يبيعوا حريتهم فى سبيل تحصيلها *

الامر الثالث وان كان أمراً اختياريا نظراً الى ان الانسان فى استطاعته مقاومة العادة ولا يسلم العلم بانها سبب شقاء العمال هو من أقوى أسباب العبودية

وأرسخها اذ العمال الذين يعيشون بالقرب من الاغنياء
تتجدد مطالبهم على الدوام بعامل العدوى والمنتقلة اليهم
من الاغنياء فيبذلون غاية جهدهم فى العمل وذلك
للحصول على الوسائل التى تبلغهم هذه المطالب
ولذا نرى العمال فى انجلترا وأمريكا مع
تناولهم من الاجور قدر عشرة
أضعاف مايكفيهم لمعاشهم
لايزالون فى ذل العبودية
كما كانوا من قبل

(٩)

﴿ القوانين الخاصه بالضرائب والارض والملكية ﴾

يطلق اشتراكيو ألمانيا على مجموع الحالات التى جعلت العمال خاضعين لذوى الاموال اسم القانون الحديدى للاجور ويريدون بالقانون الحديدى القانون الثابت الغير المتغير لكن ليس شيء من هذه الحالات ثابتا فاهى الا نتيجة القوانين الوضعية الخاصة بالضرائب والارض وقبل كل شيء بجميع الاشياء التى تفى بمطالبنا

أعنى الملكية . أمثال هذه القوانين يسنها ويلغيها الانسان فالقانون الذي يفضى الى العبودية ليس قانونا اجتماعيا حديديا بل هو قانون عادى وضعي سنه الانسان

لاشك ان الرق فى زماننا غير ناجم عن قانون حديدى أصلى بل ناجم عن قوانين وضعية خاصة بالارض والضرائب والملكية فالقوانين التى تخول ملكية أى مساحة من الارض لناس معينين وانتقالها من شخص الى آخر بالوراثة أو الوصية أو البيع أوالتى تقضى بأن يدفع كل انسان الضرائب المفروضة عليه بلا تردد وغيرها وتثبت ملكية أى كمية من المنقولات لمن يضع يده عليها هى القوانين التى تثبت وجود الرق

ألفنا هذه القوانين حتى ظننا انها ضرورية وطبيعية للحياة الانسانية كما كان يظن فى الايام الغابرة بالقوانين المبيحة للرق واستعباد الفلاحين . نعم لامرية فى انها كانت وقتئذ تبدو انها ضرورية وعادلة ولا نلاحظ عليها شيئا من الخطأ ولكن لما أتى الزمان الذى ظهرت للناس فيه عواقب الرق الوخيمة ارتابوا

فى عدالة وضرورة القوانين المبيحة له وهذا هو الحال الآن فان الناس لما تجلت لهم مغبة النظام الاقتصادى الحالى ارتابوا فى عدالة وضرورة القوانين الخاصة بالارض والضرائب والملكية التى سببت هذه النتائج

وكما ان الناس تساءلوا فيما مضى هل من الحق ان يمتلك بعض الناس غيرهم وأن ليس للمملوكين حق التصرف فى أنفسهم بل عليهم أن يقدموا أثمار أعمالهم لمالكيهم ؟ كذلك نحن الآن نتساءل هل من الحق أن يجب على الناس أن يقدموا لغيرهم بشكل ضرائب مايطلب من أعمالهم وان علت قيمتها ؟ وهل من الحق عدم جواز الانتفاع بالمنقولات المعتبرة ملكا للغير ؟ وهل من الحق عدم جواز الانتفاع بالارض اذا كانت معتبرة ملكا لاشخاص لايزرعونها ؟

يقال ان السبب فى سن هذه القوانين هو أن ملكية الارض شرط لترقية الزاعة ولولا وجود الملكية الخاصة التى تنتقل بالوراثة لطارد الناس بعضهم بعضاً من الارض التى يقيمون بها ولم يوجد منهم من

يشتغل بالارض أو يعني باصلاحها . فهل هذا صحيح ؟ الجواب على هذا السؤال نجده فى التاريخ وفى الواقع الآن أما التاريخ فيبين لنا ان ملكية الارض لم تنشأ عن الرغبة فى ضمان اقطاع المزارع بل نشأت عن اغتصاب الفاتحين لاراضى الجمهور وتوزيعها على من خدموهم فملكية الارض اذاً لم تؤسس بقصد تنشيط المزارعين وأما الواقع الآن فيكذب مايذهبون اليه من أن ملكية الارض تجعل المزارعين واثقين بعدم حرمانهم من الارض التى يشتغلون فيها اذ الحقيقة ان ماحدث وما يحدث فى كل مكان مناف لذلك *

قد نتج من حق ملكية الارض الخاصة الذى عاد بالربح الطائل على كبار الملاك ان السواد الاعظم من المزارعين صاروا زراعاً لارض غيرهم وعرضة للطرد منها اذا تراءى ذلك لمن لايزرعونها . فحق الملكية الحالى ليس مدافعاً عن حقوق المزارع كى يجنى ثمار كده بل هو فى الحقيقة سبيل لحرمان المزارعين من الارض التى يشتغلون فيها واعطائها لمن لم يشتغلوا

فيها فليس حق الملكية اذاً وسيلة لترقية الزراعة بل بالعكس هو وسيلة لتلفها *

يقال ان الناس يجب عليهم دفع الضرائب لانها فرضت برضاء الجمهور وان كانوا ساكتين وتنفق فى المرافق العامة لخير الناس كافة . فهل هذا صحيح ؟

الجواب على هذا السؤال نجده فى التاريخ وفى الواقع الآن . أما التاريخ فيبين لنا ان الضرائب لم تفرض برضاء الجمهور أصلا بل السبب فى فرضها هو ان بعض الناس لما حصلت لديهم القوة بالفتح أو بسبب آخر وتسلطوا على غيرهم ضربوا عليهم الخراج لا للمرافق العامة بل لانفسهم وهذا هو عين مايحصل الآن . فالضرائب لايجبيها الا الاقوياء واذا كان بعض الضرائب والمكوس ينفق الآن فى سبيل المرافق العامة فان ضرر أغلب هذه المرافق أكثر من نفعه للسواد الاعظم *

ففى روسيا مثلا يجبى ثلث ايراد المزارعين للضرائب ولكن لاينفق منه الا $\frac{1}{10}$ وهذا القدر مع

ذلك ينفق فى تعليم عقيم ضرره أشد من نفعه أما الباقى مما يجبى وقدره $\frac{9}{10}$ فيصرف فى أشياء غير ضرورية بل مضرة بالناس كتسليح الجيش ومد السكك الحديدية الحربية وبناء الحصون والسجون ومساعدة الكهنوت وبطانة الملك أو دفع مرتبات الموظفين الحربيين والملكيين الذين يمكنون الحكومة من جباية الضرائب وليس هذا هو عين مايحدث فى بلاد العجم والترك والهند فقط بل فى جميع الحكومات الدستورية والجمهوريات الديموقراطية أيضاً فهنالك تؤخذ الاموال من الاكثرية بغض الطرف عن رضاها وعدم رضاها . فالاموال التى تجبى ليست هى التى تمس اليها الحاجة حقيقة بل هى القدر الممكن الحصول عليه (اننا نعلم كيف تألفت البرلمانات وكيف انها لاتمثل غير فئة قليلة من الشعب) ولا يصرف فى المنفعة العامة بل فى أمور تعدها الطبقات الحاكمة ضرورية لانفسها كالحروب فى كوبا والفيليبين وأخذ ثروة الترنسفال أو المحافظة عليها وهلم جرا *

فما يذهبون اليه من أن وجوب دفع الضرائب كان برضاء الجمهور وانها تنفق فى سبيل المنفعة العامة بيان فيه اجحاف وهو كقولهم ان ملكية الارض مشروعة لترقية الزراعة *

أصحيح ان الناس لايجوز لهم الانتفاع بالمنقولات التى يحتاجون اليها اذا كانت ملكا للغير ؟ انهم يؤكدون ان حق الملكية فى المنقولات المكتسبة شرع ليضمن للعامل عدم حرمانه من ثمرة أعماله . فهل هذا صحيح ؟

يجدر بنا أن نلقى نظرة على ماجريات الامور فى هيأتنا الاجتماعية حيث تصان فيها حقوق الملكية بنوع من الشدة لنعلم كيف يناقض هذا البيان حقائق الحياة كل المناقضة *

ان الامر المراد منعه بواسطة حق الملكية فى المنقولات يحدث فى هيأتنا الاجتماعية وهو ان كل المنقولات التى أنتجها وينتجها العمال هي ملك لاولئك الذين لاينتجونها وهم يأخذونها من العمال حال انتاجها فالتأكيد بأن حق الملكية يضمن للعمال امكان التمتع

بما ينتجها عملهم أشد جورا من سابقه الخاص بالعقار وهو قائم على ذلك الاساس الفاسد نفسه لان ثمرة كد العمال تؤخذ منهم جوراً وقهراً ثم يتداخل القانون ويصرح بأن هذه المنقولات التى أخذت من العمال جوراً وقهراً ملك مطلق لمن سرقها منهم *

تعتبر الملكية (ملكية المعمل مثلا) المكتسبة بأساليب الخداع واستخدام العمال ثمرة السعى والكد فلذا تبقى مقدسة ولا تعتبر نفوس العمال التى تسيل وهم يشتغلون فى ذلك المعمل ولا كدهم لانها لاتعتبرهما ملكا للعمال بل لصاحب المعمل مادام قد اغتنم فرصة احتياجهم وقيدهم لديه بصفة شرعية *

ان مئات الالوف من أرادب القمح التى تجمع من المزارعين ربا واغتصاباً تعتبر ملكا للتاجر وان القمح الذى يزرعونه يعتبر ملكا للغير مادام قد ورث الارض من أجداده الذين انتزعوها من الناس . يقولون ان القانون يحمي بالتساوى ملكية صاحب الطاحون وذى المال ومالك الارض والعامل فى المعمل وفى

القرية بيدان التساوى بين ذى المال والعامل كالتساوى
بين محاربين أحدهما مكتوف الساعدين والآخر مسلح
وكلاهما تسرى عليه قوانين فى غاية الشدة وقت المحاربة *

فجميع البيانات القائلة بعدالة وضرورة ثلاثة
مجاميع من القوانين التى تنشأ عنها العبودية غير صادقة
كالبيانات القائلة بعدالة وضرورة استعباد الفلاحين
سابقا وهذه المجاميع الثلاثة ماهى الا تقرير شكل الرق
الجديد الذى حل محل القديم *

وكما ان الناس قديماً سنوا قوانين تجيز لبعضهم
شراء وبيع ناس آخرين وامتلاكهم وتشغيلهم
وبذا وجد الرق كذلك الناس الآن سنوا
قوانين تحرم الانتفاع بالارض
والمنقولات المعتبرة ملكا
للغير وتحتم دفع الضرائب
المفروضة . وهذا
هو الرق فى
عصرنا

(١٠)

﴿ القوانين ـ سبب العبودية ﴾

العبودية فى زماننا تنشأ عن ثلاثة مجاميع من
القوانين وهى الخاصة بالارض والضرائب والملكية
فعلى هذا يجب على الذين يرغبون فى ترقية حالة العمال
ان تكون جميع مساعيهم موجهة ضد هذه القوانين
الثلاثة وان كانوا لايدركون ذلك *

ان طائفة من الناس تلغي الضرائب التى تثقل
كواهل طبقات العمال وتحيلها على الأغنياء وطائفة
أخرى تقترح الغاء حق ملكية الارض الخاصة وتبذل
المساعى فى زيلندا الجديدة وفى احدى الولايات
الامريكية لتنفيذ هذا الاقتراح (والحركة الموجهة الى
تحديد حقوق ملاك الارض فى ارلندا ترمى الى هذا
الغرض *

وطائفة ثالثة ـ الاشتراكيون ـ ترى جعل وسائل
الانتاج مشتركة وفرض الضرائب على الايرادات
والمواريث وتعين حقوق العمال لدى المواين فبهذا

يلوح لنا ان القوانين التى تسبب العبودية تلغي وأننا لذلك ننتظر أن تلغى العبودية أيضا بهذه الطريقة *

لكننا اذا انعمنا النظر فى الاحوال التى بها يتم الغاء هذه القوانين أوعلى الاقل فى الاحوال التى يكون فيها التعريض للالغاء تحققنا أن المشروعات النظرية والعملية المقصود منها ترقية حالة العمال ما هى الا احلال قانون يأتى بشكل جديد من اشكال العبودية محل آخر *

فالذين يعفون الفقراء من الضرائب والرسوم مثلا يلغون أولا الرسوم المقررة ثم يرفعون ثقل الضرائب عن عاتق الفقراء ويلقونها على الاغنياء فلهذا يجب عليهم بالضرورة المحافظة على قوانين ملكية الارض الخاصة ووسائل الانتاج والمنقولات الاخرى التى تحولت اليها جميع أثقال الضرائب وفى بقاء القوانين الخاصة بالارض والملكية بقاء لاستعباد العمال الذين ينالهم من أصحاب الارض وذوى الاموال ما ينالهم من عسف وجور *

والذين يقترحون الغاء قوانين ملكية الارض مثل هنرى جورج ومشايعيه يريدون سن قوانين جديدة لضرب ريع اجبارى على الارض وهذا الريع سيوجد بالضرورة شكلا جديدا للعبودية لان المجبور على دفع الريع أو الضريبة الموحدة اذا ساء محصوله أو أصيب بآفة اضطر الى اقتراض المال ممن يملكه فيقع مرة أخرى فى ذل العبودية *

والذين يرون الغاء قوانين ملكية الارض وجعل وسائل الانتاج مشتركة كالاشتراكيين لايحتفظون بسن الضرائب فقط بل يوجدون لامحالة قوانين للعمل الجبرى أعنى انهم يعيدون اقامة دعائم الرق بشكله القديم *

جميع هذه الطرق العملية والنظرية التى تكون لالغاء شكل من أشكال العبودية تؤدى الى احلال عبودية أخرى محلها وينجم عنها شكل جديد * وهذا كعمل سجان ينقل قيود مسجون من عنقه الى ساعديه ومن ساعديه الى رجليه أو ينزعها ويستبدلها بالمتاريس

والقضبان فكل الاصلاحات التى تمت الى الآن لترقية حالة العمال هى من هذا القبيل اذ القوانين التى كانت تخول للموالى حق اكراه العبيد على العمل الجبرى قد استبدلت بقوانين تخول للاغنياء امتلاك جميع الارض والقوانين التى تجيز صيرورة الارض ملكا خاصا للاغنياء قد تستبدل بقوانين الضرائب التى بأيديهم مراقبتها والاشراف عليها وقوانين الضرائب قد تستبدل بأخرى تحمى حق الملكية الخاصة للمنقولات المنتفع بها ولوسائل الانتاج والقوانين التى تحافظ على ملكية الارض والمنقولات المستعملة ووسائل الانتاج قد تستعاض كما يقترحون الآن بقوانين للعمل الجبرى *

فيتضح من ذلك ان الغاء شكل من القوانين التى تنشأ عنها العبودية فى عصرنا سواء كانت قوانين الضرائب أو ملكية الارض أوالمنقولات أووسائل الانتاج لايبطل العبودية بل يبطل شكلا من أشكالها يقوم مقامه فى الحال شكل جديد كما حدث فى الغاء

الرق القديم واستعباد الفلاحين وابطال الضرائب

ان الالغاء ولو شمل مجاميع القوانين الثلاثة لايلغى العبودية أصلا وانما يلغى شكلا منها وينتج شكلا آخر جديدا منها لم يكن معروفا من قبل وهو الآن آخذ فى الظهور وليس تقييد حرية العمل بسن قوانين خاصة بساعات العمل وعمر العمال وحالتهم الصحية والمطالبة بالمواظبة الالزامية فى المدارس وخصم الاجور للتأمين فى حالة تقدم السن أو فى الحوادث الفجائية وجميع الاجراآت التى تتخذها ادارات المعامل الا شكلا آخر للعبودية حديثا لم يختبره الناس بعد نشأ من تلك القوانين المتقلبة*

فالعبودية اذاً لاتستلزم تلك الاصول القانونية الثلاثة التى ترتكز عليها الآن ولا غيرها من القوانين بل تستلزم الحقيقة الواقعة وهى أن التشريع موجود وان هناك قوما لهم القدرة على سن القوانين فى مصلحتهم الشخصية ومادام ان هناك قوما لهم هذه القدرة فالعبودية باقية ببقائهم

(١١)

﴿ روح التشريع هو جور منظم ﴾

ما هو التشريع ؟ وما الذى يمكن الناس من سن القوانين ؟

يوجد علم قائم بنفسه أقدم من علم الاقتصاد السياسى وأشد منه مينا وتضليلا (وهو علم أصول الشرائع) وقد ألف خدامه فى غضون الاجيال الفائتة ملايين من الكتب فيه (اغلبها يناقض بعضها البعض فى الاجابة عن هذه الاسئلة الا أن الغرض من هذا العلم كالغرض من الاقتصاد السياسى ليس توضيح كنه الحالة الآن وما ينبغي أن تكون عليه بل البرهان على أن ما يحدث الآن هو ما ينبغى أن يكون وقد نجد فى هذا العلم (علم أصول الشرائع) كثيراً من المباحث التى تدور حول الحقوق والعرض والجوهر ونظرية الحكومة وما شاكل ذلك من المسائل التى تستشكل على الطلبة والاساتذة لكننا لا نجد فيه جوابا صريحا عن هذا السؤال وهو ما هو التشريع ؟

التشريع بناء على هذا العلم هو التعبير عن ارادة الشعب كافة لكن حيث كان الذين ينتهكون حرمة القوانين أو يرغبون فى انتهاكها ويمنعهم من ذلك خوفهم من العقاب ثم على الدوام أكثر عددا ممن يرعون حرمته فلا يمكن اعتبار التشريع معبراً عن ارادة الناس جميعاً *

مثال ذلك أنه توجد قوانين تقضى باحترام بعض الناس أو تأدية الخدمة العسكرية أو الانخراط فى سلك المحلفين وتحظر اتلاف القوائم الرافعة للاسلاك التلغرافية وأخذ بعض البضائع اذا تجاوزت بعض التخوم والانتفاع بالارض المملوكة للغير وضرب المسكوكات واستعمال المنقولات المملوكة للغير وما شاكل ذلك *

جميع هذه القوانين وكثير غيرها فى غاية التعقيد وقد نفذ كثير منها لعوامل شتى وليس أحدها يعبر عن أرادة الشعب كافة الا أن الخاصية الوحيدة المشتركة بينها هي أنه فى حالة عدم الطاعة يرسل واضعو

القوانين جنودا مسلحين لضرب العاصى أو سلب حريته أو قتله *

اذا امتنع انسان من دفع جزء من نتاج عمله بصفة ضريبة مفروضة عليه داهمته الجنود وأخذت منه الضريبة قسرا فاذا قاومهم ضربوه أوسلبوه حريته وربما قتلوه وهذا نفس مايحصل لكل من يشرع فى الانتفاع بالارض المملوكة للغير ولمن يبغى ان يوفى حاجته أو يسهل عمله مادامت الاشياء التى يحتاج اليها مملوكة للغير اذ تأتى الجنود وتحرمه ما أخذ فاذا قاوم ضربوه أو سلبوا حريته وربما قتلوه * وهذا أيضا نفس مايحدث لمن لا يظهر الاحترام للذين صدر الامر باحترامهم ولمن لا يطيع الامر القاضى عليه بالتجنيد ومن يجرأ على ضرب المسكوكات *

ان لكل مخالفة لنص من نصوص القانون عقوبة والمخالف عرضة للعقاب من واضعى القوانين إما بالضرب أو الحبس أو الاعدام وقد سنت قوانين كثيرة فى انجلترا وأمريكا وغيرهما حتى فى اليابان

وتركيا ليعتقد الناس أن كل القوانين الموضوعة فى بلادهم تعبر عن رغباتهم ولكنا نعلم أن القوانين لا تسن بارادة الناس كافة بل بارادة ذوى النفوذ والسلطة وليس هذا قاصرا على الممالك الاستبدادية بل يشمل أكثر الممالك حرية - بحسب الظاهر - كانجلترا وفرنسا وأمريكا الخ ولذلك تعود الفائدة فى كل زمان ومكان على أصحاب السلطة سواء كثروا أم قلوا بل لو كان صاحب السلطة شخصاً واحداً *

القوانين فى كل زمان ومكان نافذة بالوسيلة الوحيدة التى أرغمت الناس ولا تزال ترغمهم على اطاعة ارادة الغير أعنى بها الضرب وسلب الحرية والقتل ولا يمكن أن تكون هناك وسيلة أخرى لتنفيذ القوانين لان القوانين تطالب بتنفيذ بعض الاحكام ولا يتأتى اجبار الناس على الاذعان لبعض الاحكام (أعنى القيام بما يريده الغير منهم) الا بالضرب وسلب الحرية والقتل . فيلزم من وجود القوانين وجود قوة تجبر الناس على قبولها والقوة الوحيدة التى ترغم الناس

على قبول القوانين والامتثال (أعنى امتثال ارادة الغير) هى الجور الا أنه ليس جورا هينا يقع بين أفراد الناس عند الغضب بل هو جور شديد منظم يقترفه أصحاب السلطة لاجبار الناس على قبول القوانين التى سنوها والعمل بارادتهم . فلهذا لايتوقف روح التشريع على الجوهر أو العرض أو الحقوق أو سيادة الرأى العام أو غير ذلك من الاحوال المبهمة التى لا حد لها بل على الحقيقة الواقعة وهى ان الذين يديرون دفة الجور المنظم لديهم قوة بها يجبرون الغير على اطاعة أوامرهم والعمل بمشيئتهم *

فتعريف التشريع الصحيح الذى لاينقض ولايخفى على أحد هو أنه قوانين وقواعد يضعها قوم يسوسون الناس بواسطة جور منظم وتعريض مرتكب المعصية للضرب أو فقد الحرية أو القتل ـ هذا التعريف يجيب عن السؤال الآتى : ما الذى يمكن الناس من سن القوانين ؟ ان الذى يجعل سن القوانين مستطاعا ويرغم الناس على الامتثال هو الجور المنظم

(١٢)

ما هى الحكومات ؟ هل فى الامكان أن نعيش بلاحكومات ؟

إن السبب فى شقاء حالة العمال هو العبودية وسبب العبودية التشريع والتشريع يعتمد على الجور المنظم غير أن الجور المنظم هو الحكومة فهل نقدر أن نعيش بلاحكومات ؟

« لولا الحكومات لسادت الفوضى وعم الاختلال وأندرست معالم المدنية وعفت آثارها وعاد الناس الى همجيتهم الاولى »

إن الذين يعود عليهم النظام الحالى بالخير والذين لايعود عليهم بطائل وتأثروا به بحكم العادة حتى أصبحوا لايتصورون حياة بلاجور الحكومة * يقولون عادة لاينبغى لنا أن نتعرض للنظام الحالى فى شىء اذ القضاء على الحكومة يؤدى الى أشد المحن كالفتن والسرقات والقتل وتسلط الاسافل وتحكمهم واستعبادهم للافاضل ولكنهم لايذكرون الحقيقة وهى أن الفتن والسرقات

والقتل وتسلط الاسافل واستعبادهم الافاضل هو نفس مايحصل الآن وان التنبؤ بأن قلب النظام الحالى يؤدى الى الفتن والاضطرابات ليس دليلا على صلاحيته يقولون «التعرض للنظام الحالى ينجم عنه أعظم الآفات»

ان مجرد تحريك لبنة واحدة من ألف لبنة مركبة بشكل عمودى صغير الحجم طويل الارتفاع يسبب سقوطها وتحطمها جميعاً ولكن الحقيقة أن نزع أى لبنة أو رفعها وتهدم العمود وتكسر ما ركب عليه لا يبرهن على أن من الحكمة بقاء اللبن على حال هكذا غير طبيعى ولا مناسب بل يبرهن على أن اللبن لا ينبغي ترتيبه بشكل عمود مثل هذا والاولى ترتيبه على نسق ثابت وأساس متين لئلا يتداعى وينهار البنيان عند الاستعمال ـ ذلك مايجب اتباعه فى قوانين الحكومة

التشريع مضر وخطر لانه لايقلل ولا يصلح كل آفاق الهيئة الاجتماعية بل يقويها ويثبتها إما بواسطة تبريرها وافراغها فى قالب مقبول أو باسدال الستر عليها وما سعادة الناس فى تلك الحكومات التى يقال عنها

انها منظمة ومساسة بالعنف الا سعادة ظاهرية بل وهمية

الذين يشوهون وجوه المناظر الخارجية للسعادة هم المتضورون جوعا والمرضى والثوار الاشرار وهؤلاء محجوبون عن الانظار حيث لايراهم أحد لكن احتجابهم لايدل على عدم وجودهم بل كلما اشتد اختفاؤهم كان ذلك دليلا على تزايد عديدهم واشتداد قسوة من كانوا سبباً فى سوء حالهم . نعم أن كل عائق ووقف فى حركة الحكومة أعنى الجور المنظم يشوه وجوه المظاهر الخارجية لسعادتنا المعاشية الا أن هذا التشويه يكشف اللثام عما كان خافيا ويجعل الاصلاح متيسرا *

كان الناس يظنون ويعتقدون الى الآن أو الى أواخر القرن التاسع عشر تقريبا أنهم لايستطيعون المعيشة بلا حكومات ولكن المعيشة قد تقدمت والحياة قد تبدلت وآراء الناس قد تغيرت وبالرغم من المساعى التى تبذلها الحكومات لابقاء الناس فى حالة الطفولة كى يبقي المظلوم شاعرا بالحاجة الى من يشكو اليه نرى الناس ولا سيما طبقة العمال فى أوربا وروسيا

قد أخذوا يتخلصون من عهد الطفولة ويدركون حقيقة حالتهم المعاشية *

« انكم تقولون ان الامم المتآخمة كالصين واليابان ستهاجمنا بسببكم » ويقول رجال الشعوب الآخر (لكننا نتلو الجرائد ونعلم أن لا أحد يهددنا بالهجوم علينا وانكم معاشر الحكام تتحاملون على بعضكم لاغراض فى نفوسكم لاندركها ثم تتخذون الدفاع عن شعبكم ذريعة لافلاسنا بالضرائب للمحافظة على الاسطول أو للانفاق على الكتائب المتأهبة للحرب أو لانشاء السكك الحديدية الحربية ولا فائدة فى هذا كله سوى ارضاء مطامعكم وكبريائكم ثم تدبرون الحروب وتشنون الغارات كما فعلتم مع دولة الصين الآمنة المطمئنة

انتم تقولون انكم تدافعون عن ملكية الارض لمصلحتنا لكن دفاعكم تسبب عنه أن جميع الارض قد صارت أو تصير ملكا للاغنياء والشركات التى تشتغل فى حين أن السواد الاعظم من الناس قد حرموا الارض وبقوا تحت سلطة من لا يشتغلون

انكم بقوانينكم الخاصة بملكية الارض لا تدافعون عن الملكية بل تأخذون الارض ممن يشتغلون * أنتم تزعمون أنكم تكفلون لكل انسان نتاج عمله لكنكم تعملون بما يناقض ذلك حتى أصبح جميع الذين ينتجون المواد الغالية بفضل دفاعكم المزعوم فى حالة لا ينالون معها قيمة أعمالهم أصلا ويعيشون فوق ذلك طول حياتهم خاضعين لسلطة العاطلين »

ومن هذا أخذ الناس فى أواخر القرن التاسع عشر يفهمون الحقيقة ويتكلمون بما يصلح شأنهم ويتيقظون من السبات العميق الذي أوقعتهم الحكومات فيه وتيقظهم هذا آخذ فى الازدياد بنسبة عظيمة اذ قد تغيرت اراء الناس وأفكارهم فى الخمس أو الست سنوات الاخيرة تغيرا مدهشا وليس هذا التغير قاصرا على سكان المدن أو على أهل أوروبا فقط بل شامل للقرويين وأهل روسيا أيضا *

يقولون لولا الحكومات لما كانت لنا تلك المعاهد العلمية العامة التى نحن فى أشد الاحتياج اليها. ولكن

لماذا نفرض هـذا الفرض ؟ لماذا نظن ان الناس لا يستطيعون تدبير الحياة لانفسهم كما يستطيع رجال الحكومة تدبيرها الا لانفسهم بل لغيرهم *

اننا نرى لأمر على العكس من ذلك فالناس فى عصرنا يقومون بتدبير معايشهم فى أحوال شتى تدبيرا حسنا خيرا مما يدبرلهم حكامهم وينظمون جميع شؤونهم الاجتماعيـة كنقابات العمال وجمعيـات التعاون والشركات والسكك الحديدية بدون أقل مساعدة من الحكومة وبالرغم من تداخلها فى أكثر الاحيان اذا كان لامناص عن التحصيل للاعمال العامة فلماذا نتوهم أن القوم الاحرار لا يستطيعون جمع الرسائل اللازمة مختارين بلا رهبة لتنفيذ ماينفذ الآن بواسطة الضرائب مادامت تلك الاعمال مؤكدة النفع لكل انسان ؟ لماذا نحسب أن المحاكم لا توجد الا بالرهبة ؟ ان الفصل فى المنازعات بواسطة أناس يرتضيهم الخصوم وجد وسيوجد فى كل زمان من غير الالتجاء الى الرهبة بيد اننا نظرا لتطرق الفساد الينا من جراء العبودية

المزمنة اصبحنا لا نتصور سياسة بلا عنف ومع ذلك ليس هذا صحيحاً ففى روسيا قبائل يرتحلون الى أقطار نائية حيث تتركهم الحكومة وشأنهم يتولون بانفسهم تدبير ضرائبهم وسياستهم ورجال شرطتهم فينجحون دائما الى أن تتداخل الحكومة بالقوة فى ادارتهم فاذاً لا سبب يدعو الى الظن بان الناس لا يمكنهم أن يتفقوا فيما بينهم على طريقة توزيع الارض *

انى أعلم أناسا (قوزاق الاورال) لا يعترفون بملكية الارض الخاصة ومع ذلك نرى قبائلهم متمتعين بهناء ونظام لا نظير لهما فى مجتمع يذادفيه عن حياض الملكية بالقوة وأعرف الآن أيضاً قبائل لا تعترف بحق الملكية الشخصية وأذكر أن قرويى روسيا أجمعين لم يقبلوا فكرة ملكية الارض *

الدفاع عن ملكية الارض بقوة الحكومة لا يبطل الشجار الناجم عن الملكية بل يزيده وقد يكون سبباً له فى كثير من الاحوال ولولا الدفاع عن الملكية ومايتبعها من ارتفاع القيمة لما تزاحم الناس على قطع

صغيرة من الاراضى ولتفرقوا فى جهات غير مزدحمة وهى كثيرة فى الدنيا لكن الواقع هو أن الشجار مستديم من أجل ملكية الارض وهو شجار مسلح تعده الحكومة بواسطة قوانينها الخاصة بالملكية ثم لا ينتفع من ورائه المشتغلون فى الارض بل الذين لهم يد فى جور الحكومة وهذا هو نفس ما يحدث فيما يتعلق بمنتجات العمل *

ان جميع الاشياء التى ينتجها الانسان حقيقة بكده ويحتاج اليها محمية على الدوام بالعادات والرأى العام والشعور بالعدالة ومقابلة المثل بالمثل وليست فى حاجة لان يذاد عنها بالشدة وكم من عشرات الوف الفدادين فى الغابات مملوكة لفرد واحد وبالقرب منها ألوف من الناس ليس لديهم وقود ما فتفتقر هذه الفدادين الى الدفاع عنها بالقوة وهذا هو بعينه شأن المعامل والمصانع التى غبن عمالها منذ أجيال عديده ولا يزالون مغبونين . هذا ومئات الالوف من أكياس القمح مخزونة كى يبيعها صاحبها بثلاثة اضعاف ثمنها فى

زمن القحط *

لكن لا يوجد انسان مهما بلغ من الخسة - حاشا الغنى أو موظف الحكومة - يسلب القروى محصوله الذى يتعيش منه أو بقرته التى رباها ويغذى أولاده بلبنها أو محاريثه ومناجله وفؤوسه التى صنعها للاشتغال بها ولو فرضنا رجلا سلب ما صنعه غيره من أدوات يحتاج اليها لكان بفعله هذا يثير على نفسه سخط كل انسان يعيش بحالة تضاهى حالة ذلك الرجل المسلوبة أدواته فيرى أن فعله قد عاد عليه بالوبال واذا ارتكب شرير هذا الفعل فى ظروف كهذه فانه بلا ريب يرتكبه مع وجود أشد طرق الدفاع عن الملكية *

يقول الناس فى الغالب « اذا عممتم على الغاء حقوق ملكية الارض ونتاج العمل فلا يكلف أحد نفسه مشقة العمل لما يرى من نفسه عدم القدرة على المحافظة على ما سينتجه وانا نقول عكس ذلك *

ان الدفاع بالشدة عن حقوق الملكية الذى اكتسب ظلما وعدوانا وأصبح أمرا اعتياديا قد أضعف فى الناس

الشعور الطبيعي بالانصاف فى استعمال الاشياء ان لم يكن قد استأصله وأعدمه فصار حق الملكية الطبيعى والفطرى الذى لاوجود للانسانية بدونه ضعيفاً وقد كان ولايزال موجودا بين الناس فاذن ليس هناك ما يدعو الى التنبؤ بان الناس لا يقدرون على تدبير معايشهم بدون جور منظم *

قديقال أن الخيل والثيران يجب طبعاً أن تسوقها المخلوقات العاقلة ـ الناس ـ بالشدة ولكن لماذا يجب أن يساق الناس بقوم من أنفسهم لا بمخلوقات أرقى منهم . ولماذا ينبغي للناس أن يخضعوا لسطوة من بأيديهم السلطة فى زمن من الازمان ؟ هل لان الذين بايديهم السلطة أعقل من أولئك الذين تقع عليهم الشدة ؟ وما الذى يبرهن على انهم أعقل منهم ؟ والحقيقة ان فى اباحتهم لانفسهم استعمال الشدة بالناس دليلا على انهم ليسوا أقل عقلا من الخاضعين لهم فقط بل غير عقلاء *

لم تضمن امتحانات الموظفين فى الصين كما نعلم

وجوب اعطاء السلطة لخير الناس وأعقلهم وقلما أعطيت بالوراثة أو بالترقى فى الوظائف أو بالانتخابات فى الممالك الدستورية وانما تعطى لاقل الناس ذمة وأدباً

يقولون « كيف يستطيع الناس المعيشة بلا حكومات أعنى بلا شدة » والاجدر أن يتساءلوا بعكس ذلك « كيف يستطيع ان يعيش ذووالعقول راضخين لحكم الشدة والاستعباد لا لاتفاق معقول ؟ »

الناس إما أن يكونوا حيوانات ناطقة أوغير ناطقة فان كانوا حيوانات غير ناطقة فكل شىء يبرم بينهم يكون بشدة ولا سبب يخول للبعض الحق فى استعمال الشدة دون البعض الآخر ففى هذه الحالة لا شىء يبرر شدة الحكومة . وان كانوا حيوانات ناطقة فينبغي أن تكون علاقتهم مؤسسة على العقل لاعلى سطوة من يتفق أن تكون القوة بأيديهم ففى هذه الحالة ايضا لا شىء يبرر شدة الحكومة *

(١٣)

﴿ كيف يمكن الغاء الحكومات ﴾

العبودية ناشئة عن القوانين والقوانين تسنها الحكومات ولهذا لايمكن أن يتحرر الناس من العبودية الا بالغاء الحكومات. لكن كيف يمكن الغاء الحكومات ؟

إن جميع المساعى التى بذلت للتخلص من الحكومات بطريق الشدة كانت نتيجتها فى كل زمان ومكان ان الحكومات الجديدة التى حلت محل القديمة كانت فى الغالب أقسى منها ولا حاجة بنا الى ذكر المساعى الماضية لالغاء الحكومات بالشدة بحسب النظرية الاشتراكية لان الغاء سيطرة أصحاب الاموال فى مستقبل الايام وجعل وسائل الانتاج مشتركة ووضع نظام اقتصادى حديث للمجموع سيكون كذلك مؤسسا على قانون شديد يحافظ عليه بنفس تلك الاساليب *

فالمساعى لابطال الشدة بالشدة لم تحرر الناس ولن تحررهم من الشدة ولا من العبودية *

إن الشدة اذا استثنينا ثورة الانتقام أو الغضب لا تستعمل الا لاكراه بعض الناس على تنفيذ ارادة الغير والضرورة التى تقضى عليك بتنفيذ ارادة الغير ضد رغبتك الشخصية هى العبودية * فالعبودية موجودة مادامت هناك شدة يراد منها اكراه بعضهم على تنفيذ إرادة الغير * ان مثل جميع المساعى لالغاء العبودية بالشدة كمثل اطفاء النار بالنار أو منع الماء بالماء او سد ثلمة بفتح أخرى فاذا كانت توجد وسائل للتخلص من العبودية وجب أن لاتكون مؤسسة على نوع جديد من الشدة بل على ابطال ما يمكن الحكومة من استعمالها وشدة الحكومة ككل شدة أخرى ترتكبها الاقلية نحو الاكثرية * ومدارها على أن الاقلية مسلحة والاكثرية غير مسلحة أو أن الاولى أحسن سلاحا من الثانية *

هذا هو الحال فى كل الفتوح وبذلك تغلب اليونان والرومان والفرسان ويبزار على الامم وهي نفس الطريقة التى بها تقهر الشعوب فى افريقيا وآسيا وبها تتمكن

جميع الحكومات فى زمن السلم من اخضاع رعاياها وكما أن الناس فى العصور السالفة كانوا يسوسون غيرهم بقوة السلاح كذلك هو شأنهم الآن وقد كان المحاربون ورؤساء قبائلهم فى الازمان الغابرة ينقضون على الاهالى الآمنين ويتغلبون عليهم ويسلبونهم أرضهم وأمتعتهم وسائر أموالهم ويقتسمون الاسلاب بينهم بقدر اشتراكهم فى الحرب وشجاعتهم وقوتهم *

فالمحارب كان يعلم تمام العلم أن الشدة التى يقترفها تعود عليه بالفائدة وقت القسمة * أما فى زماننا هذا فيؤخذ الجند من طبقات العمال خصوصا ويغيرون على الاهالى الآمنين أو المضربين عن العمل أو الثائرين أو الامم الاخرى ويخضعونهم ويحملونهم على تقديم ثمرة أعمالهم لا للمغيرين أنفسهم بل للذين لم يشتركوا فى الغلبة والقهر *

لافرق بين الفاتحين والحكومات سوى ان الفاتحين وجيوشهم يهاجمون الاهالى الآمنين فان لم يذعنوا لهم عذبوهم وقتلوهم تنفيذاً لسابق وعيدهم والحكومات لا

تباشر بنفسها تعذيب الاهالى وقتلهم بل توعز الى بعض المخدوعين المتدربين على القوة والوحشية لهذا الغرض بارتكاب ذلك العمل * وهؤلاء ينتقون ممن تعاملهم الحكومة بالشدة *

فالشدة قديماً كانت ترتكب بمجهود الانسان الشخصى وبشجاعة وقوة ونشاط الفاتحين انفسهم ولكنها ترتكب الآن خيانة وغدراً وكان وقتئذ يتحتم على من أراد دفع التعدى أن يتسلح بنفسه ليقاوم السلاح بالسلاح * أما الآن فاذا قهر الناس وغلبوا على أمرهم لا بالشدة مباشرة بل بالخداع وجب عليهم كى يزيلوا ما لحقهم من الاذى أن يميطوا اللثام عن تلك الخديعة التى تمكن فئة قليلة من التعدى على فئة كبيرة *

وما تلك الخديعة التى يحصل بها التعدى الا ما تقوله للاكثرية الاقلية الحاكمة الذين حصلوا على القوة من أسلافهم الاولى سادوا بالفتح *:

« انكم كثيرون ولكنكم أغبياء جهلاء لاقدرة لكم على حكم انفسكم أو تدبير شئونكم العامة فلذلك

نأخذ على أنفسنا العناية بكم والدفاع عنكم من اعتداء الاعداء والمحافظة على النظام فيما بينكم وننشىء لكم المحاكم وننظمها ونهتم بالمعاهد العلمية والطرق والبريد وبكل ما يؤدى الى سعادتكم فينبغى لكم نظير ذلك كله أن تقوموا بأداء بعض مطالبنا الهينة وتعطونا جزأ يسيراً من ايرادكم يكون لنا حق الاشراف التام عليه وتنتظموا فى سلك الجيش لضرورة المحافظة على الامن والحكومة » *

والسواد الاعظم من الناس متفقون على ذلك لا لانهم وزنوا فوائد هذه الاحوال ومضارها (اذ لم تكن لديهم الفرصة لذلك أصلا) بل لانهم ألفوا أنفسهم منذ ميلادهم بحالة تضاهى تلك الاحوال . واذا ارتاب بعضهم فى ضرورة هذا كله فكر كل واحد فى نفسه فقط وخشى عواقب رفضه تلك المطالب وكل واحد يأمل الانتفاع من ورائها ويحسب أنه اذا دفع جزأ يسيراً من ايراده وقبل التجنيد لم يرتكب ضرراً بليغاً لكن عند ما تصبح الاموال والجنود فى قبضة

الحكومات لا تفى بوعودها القاضية عليها بحماية رعاياها من اعتداء الاجانب وتدبير مصالحهم بل تتحرش بالامم المجاورة وتثير غضبها لاشعال نار الحرب فهى لا تسعى لما فيه سعادة الرعايا بل تعمل على خرابهم ودمارهم *

يحكى فى الف ليلة وليلة أن سائحاً نزل فى جزيرة خالية من السكان فرأى شيخاً جاف القدمين جالساً عند ساقية على عين ماء جارية فسأله الشيخ أن يحمله على كتفيه وينقله الى جانب الساقية الثانية فلما تقدم السائح اليه وحمله على كتفيه لف الشيخ رجليه على رقبته وأبى أن ينزل وضيق الخناق عليه وصار يسوقه الى شاء ويقتطف من ثمار الاشجار التى يمر بها ويأكلها ولا يعطى حامله شيئاً منها بل يضربه ويسىء اليه اذا توقف أو تمهل *

هذا هو نفس ما يحدث للذين يقدمون الاموال والجنود للحكومات فبالاموال تشترى المدافع وتعلم القواد وتدرب بهم على الغلظة والقسوة وهؤلاء القواد

ينظمون الجيش ممن أخذوا للجندية بطريقة فنية مدهشة ثم وضعها فى غضون الازمان الماضية وأطلق عليها اسم النظام وعماده ان الذين يخضعون لهذا التعليم ويمكثون فيه مدة من الزمان يحرمون كل الحرمان من أعز شىء لديهم فى الحياة الدنيا ومن أخص مايمتاز به الانسان * الا وهى حرية الفكر ويصبحون آلات قاتلة بأيدى القائمين بالاستبداد العسكرى . وفى نظام الجيش هذا توجد روح الخديعة التى تجعل الحكومات الحديثة تتسلط على الشعوب . ومتى وضعت الحكومة يدها على آلة الجور والقتل التى لا إرادة لها أصبح الناس أجمعون فى قبضتها ولا تدعهم بعد ذلك يفلتون أصلا وهى لا تقتصر على الفتك بهم بل تسىء اليهم وتلقنهم علوما مفرغة فى قالب الدين والوطنية بقصد الاخلاص لها وتمجيدها أعنى الاخلاص للذين يعذبون الناس ويبقونهم فى ذل العبودية *

الا ترى الملوك كافة والقياصرة ورؤساء الحكومات يحترمون النظام ويخشون أى خلل يحدث

فيه ويعلقون أعظم أهمية بالاستعراضات والمناورات والتمرينات العسكرية وسير الجنود فى الاحتفالات وما شاكل ذلك من السخافات لانهم يعلمون أن ذلك كله يثبت دعائم النظام التى تتوقف عليه قوتهم بل وجودهم

الجيش المنظم هو الآلة التى بها يقترفون أشنع الفظائع ويتمكنون من التسيطر على الناس دون أن يبطشوا بأيديهم والوسيلة الوحيدة لمحق الحكومات ليست هى القوة بل كشف اللثام عن هذه الخديعة ولابد للناس أن يفهموا :

أولا ـ أن المسيحية ترى أنه لا حاجة الى دفع الناس بعضهم عن بعض وأن نيران العداوة توقدها الحكومات أنفسها وأن الجيش لا يفيد غير الاقلية الحاكمة وهو فضلا عن أنه غير لازم للناس يضر بهم ضررا بليغا ويستعمل آلة لاستعبادهم *

ثانيا ـ أن ذلك النظام الذى تقدسه الحكومات كافة هو اعظم جرم يرتكبه الانسان وأجلى برهان على مقاصد الحكومة الجنائية * النظام هو الضغط

على عقل الانسان وحريته ولا طائل تحته سوى التأهب لاقتراف الجرائم التى يعجز عنها ابن آدم وهو بحالته الطبيعية وكذلك لاحاجة اليه حتى فى حرب دفاعية وطنية كما تبين أخيراً فى حرب البوير . نعم قد تدعو الحاجة اليه لكن للغرض الذى قال عنه غليوم الثانى فقط الا وهو ارتكاب أفظع الجرائم لقتل الآباء والاخوة *

ان ذلك الشيخ المخيف الذى لف رجليه على رقبة السائح سلك سلوك الحكومات فقد سخر به وسبه علماً منه أنه مادام جالساً على كتفيه فهو طوع أمره ورهن إشارته وهذا هو شأن الخديعة التى بها تتحكم الاقلية المسماة بالحكومة على الاكثرية ويا ليتها تعوزهم فقط بل تضرهم أبلغ ضرر وتسىء الى الذرية منذ الطفولة فصاعداً . مثل هذه الخديعة ينبغى إظهارها كى يتيسر الغاء الحكومة التى تنشأ عنها العبودية

نشر الكاتب الالمانى أوچين اشمت فى جريدة أون استات التى تطبع فى بوداپست مقالة صادقة

لا من حيث العبارة فقط بل من حيث الفكر أيضا أبان فيها أن مثل الحكومات فى تبريرها لوجودها بعلة حفظ الامن لرعاياها كمثل رئيس عصابة لصوص كلبريا الذى كان يجبى الاموال من جميع المسافرين ليؤمنهم على أنفسهم فى الطريق * وقد أحيل اشمت على المحاكمة بسبب هذه المقالة الا أن المحلفين برأوا ساحته *

ان الحكومات نومتنا حتى لقد يخيل لنا ان تشبيها كهذا مبالغ فيه أو أنه لغز أو هزل وما هو فى الحقيقة باللغز أو الهزل ولا خطأ فى التشبيه سوى ان ما تبذله الحكومات كافة فى رعاياها أشد قسوة وضررا مما يرتكبه لص كلبريا . فاللص يسلب الاغنياء على العموم والحكومات تسلب الفقراء وتذود عن حياض الاغنياء الالى يعينونها على ارتكاب الجرائم * اللص يخاطر بنفسه فى عمله والحكومات لا تخاطر بشىء بل تعمد فى كل مجهوداتها على الخداع . اللص لا يجبر أحدا على الانضمام الى عصابته والحكومات تجند العساكر

بالقوة . كل من يدفع الضريبة للص ينال قسطا كغيره من التأمين على نفسه لكن الانسان فى الحكومة لا ينال قسطاً من الحماية بل من الجائزة الا بقدر اشتراكه فى الجريمة المنظمة *

السواد الاعظم من القياصرة والملوك ورؤساء الحكومات يحافظ عليهم دائما حرس خاص بهم وفى استطاعتهم انفاق جزء كبير من الاموال التى تجبى من الاهالى ثم يليهم فى الاشتراك فى جرائم الحكومة القواد والوزراء ورؤساء الشرطة والمحافظون ومن شاكلهم حتى رجال الشرطة الذين هم أقل الجميع حماية وأجراً * أما الذين لا يشتركون أصلا فى جرائم الحكومة ويأبون الاستخدام أو دفع الضرائب أو الاذعان للقانون فهم عرضة للتعدى عليهم كما هو الحاصل لدى اللصوص * اللص لا يتعمد افساد الناس لكن الحكومات تفسد الذرية من عهد الطفولة الى الرجولية قياما بأغراضها وذلك بواسطة تلقين العلوم الدينية والوطنية الفاسدة . وفضلا عن ذلك لا يمكن

مقارنة أشد اللصوص قسوة وأكثرهم دهاء فى التعذيب مثل (استنكار ازين وكارتوش) بالظالمين من الملوك كحنا المخيف ولويس الحادى عشر والياصابات الخ بل ولا بالحكومات الحديثة الدستورية بسجونها المنفردة وكتائبها المنظمة وقمعها للفتن ومذابحها فى الحروب

الانسان اما أن يشعر بالاحترام نحو الحكومات والكنائس وإما ان يشعر بالكراهة والبغضاء فاذا لم يدرك حقيقة الحكومة والكنيسة لا يشعر الا بالاحترام نحوهما ومادام مسترشداً بهما فان اعجابه بهما يحمله على الظن بان مرشده لابد أن يكون شيئاً رئيسيا وعظيما ومقدسا بيد أنه حالما يدرك أن مرشده ليس كذلك بل هو خداع دبره قوم اخساء يدعون نفعه لاغراضهم الشخصية لا يلبث أن يشعر ببغضهم وبقدر أهمية ما ناله من ارشادهم يكون البغض الذى يشعر به نحوهم ولا يتأتى أن يشعر الناس هذا الشعور الا اذا فهموا كنه الحكومات *

يجب على الناس أن يشعروا أن اشتراكهم فى أعمال

الحكومة الجنائية بامدادها بجزء من أموالهم لا يختلف فى شىء عن اشتراكهم بالفعل فى الخدمة العسكرية وهذا مع كونه مضرا بالانسان وباخوانه اشتراك فى جرائم تقترفها الحكومات كافة على الدوام واستعداد لاقتراف جرائم أخرى اذ الحكومات بمحافظتها على جيوش متدربة انما تتأهب لارتكاب جرائم إن عهد احترام الحكومات بالرغم مما تبذله فى سبيل التأثير فى الشعوب وتنويمها محافظة على كيانها آخذ فى الزوال شيئا فشيئا وقد آن للناس ان يفهموا أن الحكومات ليست غير ضرورية فقط بل ضارة ومفسدة ايضا(١) فلا يستطيع الانسان الفاضل ان يشترك فيها ولا يجدر به ذلك كما أنه لا يليق به ان يحصل على منفعة منها فاذا فهم الناس ذلك تمام الفهم توقفوا طبعا عن الاشتراك فى مثل هذه الاعمال أعنى امداد الحكومات بالجند والمال وحالما تتوقف الاغلبية تبطل الخديعة التى تستعبد الناس

(١) يريد بالحكومات الحكومات الظالمة المستبدة كما اشار الى ذلك مرارا (مترجم)

(١٤)

﴿ ماذا يجب على الانسان أن يعمله ؟ ﴾

سيلاحظ الذين الفوا مراكزهم ولا يرون امكان تغييرها أولا يريدون تغييرها أن هذه كلها اعتبارات عمومية لا تنطبق على الحياة سواء كانت صحيحة أم لم تكن صحيحة وقد جرت عادة المثرين أن يقولوا « اخبرنا ماذا نصنع وكيف ننظم المجتمع ؟ »

واعتادت الطبقات الغنية اتخاذ العبيد والخدم فاذا ما تحدث الناس بشأن اصلاح حال العمال شرعوا فى الحال يهيئون لذلك مشروعات شتى (كما كان يفعل الموالى عندنا قبل تحرير الارقاء) ومع هذا لا يخطر ببالهم أبدا أن حق التصرف فى غيرهم ليس لهم وأنهم اذا ابتغوا الخير للناس حقيقة وجب عليهم الكف عن ارتكاب السيئات الثابتة الجلية التى يرتكبونها الآن *

ان المثرين فضلا عن كونهم يسخرون العمال فى الاعمال الشاقة ولا يريدون الكف عن تسخيرهم

يشتركون فى توطيد دعائم السخرة والمحافظة عليها وهذا مايجب اجتنابه . أما العمال فقد خدعوا بالسخرة حتى ليحسب أغلبهم أن السبب فى سوء حالهم راجع الى ساداتهم الالى يبخسونهم أجورهم ويمتلكون وسائل الانتاج لاالى أنفسهم فعليهم اذا راموا اصلاح شأنهم وشأن اخوانهم أن لا يقتصروا على بذل الجهد لجلب الخير لانفسهم فقط بل يكفوا عن اقتراف الشر أيضاً ـ وذلك الشر هو أن العمال بسبب رغبتهم فى اصلاح حالتهم المادية بنفس الوسائل التى أوقعتهم فى ذل العبودية للمثابرة على عادات الفوها ـ ينزلون بشرفهم العالى الى الحضيض السافل ويتنازلون عن حريتهم اذ يقبلون الاشتغال بأعمال حقيرة دنيئة أوصنع أشياء غير ضرورية بل ضارة وهم مع ذلك كله يحافظون على الحكومات بدفع الضرائب وتقديم الرجال وعلى هذا يستعبدون أنفسهم بأنفسهم . *

ولكى يصلح الحال لابد أن يفهم المثرون والعمال جميعاً أن الاصلاح لا يتحقق بمحافظة الانسان على

مصالحه الشخصية فقط اذا لنفع العام يشمله التضحية فاذا أراد العمال حقيقة تحسين حالهم وحال اخوانهم تحتم عليهم أن يحودوا عن السبيل الذى سلكوه فى معيشتهم ويستعدوا لمكافحة الحكومات ومكافحة نفوسهم وذويهم واحتمال اضطهاد الحكومات بسبب عدم القيام بمطالبها *

فالجواب اذن على هذا السؤال « ماذا نصنع ؟ » واضح وبالرغم من وضوحه يتيسر لكل انسان تنفيذه وان كان الاغنياء لا يقرون ذلك لانهم يدعون أن لهم الحق فى اصلاح الخطأ لغيرهم لا لانفسهم لعدم صدوره منهم وكذا العمال يدعون أيضاً أن الممولين هم المخطئون وأن الاصلاح لايتم الا اذا أخذوا منهم كل ما يستعملونه ليتمتع كل بما يتمتع به الاغنياء الآن *

الجواب سهل يمكن القيام به لانه لا يستدعى سوى أن يكبح الانسان جماح نفسه ويمنعها من فعل ما يجر الى استعباده هو واخوانه مادام يبغى لنفسه ولهم

الخير جميعاً ولكى يمتنع من ذلك يجب عليه :

أولا ـ أن لا يخدم الحكومة طوعا أو كرهافلا يكون جنديا ولا قائداً ولا وزيراً ولا جابياً ولاعمدة ولا محلفا ولاحاكما ولا عضواً فى البرلمان وعلى العموم لايتقلد منصباً يتعلق بالجور

ثانياً ـ أن لايدفع الضرائب للحكومة طوعاًولا يقبل أموالا جبيت بطريق الضرائب كمعاش له أو مكافأة ولا ينتفع بشىء تؤسسه الحكومة بأموال الضرائب التى جبيت من الناس قسراً *

ثالثا ـ أن لا يلتجىء الى سلطة الحكومة الجائرة للمحافظة على ممتلكاته وحمايته وحماية أقاربه بل يجب عليه أن يمتلك الارض وجميع حاصلاته اؤكد غيره مادام لايدعى ملكيتها شخص آخر *

الا أن الناس يقولون « ان هذا أمر مستحيل فنا نبذ الاشتراك فى أعمال الحكومة الانبذ للحياة » لان من يأبى الخدمة فى الجندية يسجن ومن لايدفع الضرائب يعاقب ثم تجبى الضرائب من أملاكه قهراً عنه ومن يأبى

الاشتغال فى الحكومة وليس لديه أى مورد آخر للرزق يموت هو وأسرته جوعاً وكذلك رفض الانسان حماية الحكومة لاملاكه وشخصه وامتناعه من الانتفاع بكل ماتفرض الضرائب عليه أمر مستحيل اذ أغلب الاشياء مفروض عليها الضرائب ويستحيل عليه أيضاً الاستغناء عن كل أعمال الحكومة كالبريد والطرق الخ نعم يصعب على الانسان فى الوقت الحاضر أن يتحاشى عن كل اشتراك فى أعمال الحكومة لكن كون كل فرد لا يمكنه تدبير معيشته بحيث لا يشترك فى الحكومة لا يدل أصلا على استحالة تحرير الانسان نفسه بقدر الطاقة *

ليس فى استطاعة كل انسان أن يمتنع من التنجيد (وان كان يوجد كثيرون يستطيعون ذلك) لكن فى وسع كل فرد أن يمتنع من التطوع فى خدمة الجيش والبوليس أو القضاء أو الايرادات *

ليس فى قدرة كل انسان أن يتخلى عن ضياعه (وان كان من الناس من تخلى عنها) لكن فى وسع

كل انسان أن يقلل من امتلاك الاراضى الواسعة متى فهم مافى ذلك من الجور *

ليس فى استطاعة كل فرد أن يتنازل عن رأس ماله أو عن استعمال أمتعته وأدواته المحمية بالقوة لكن كل انسان يقدر أن يقلل من حاجاته الكثيرة التى تثير حسد الناس *

ليس كل مستخدم يمكنه أن يرفض مرتبه الذى يتقاضاه من الحكومة (وان كان من الناس من يؤثر الجوع على استخدام غير شريف فى الحكومة) لكن كل انسان يقدر أن يؤثر مرتبا صغيرا على مرتب كبير ليكون بعيدا عن المظالم *

لا يستطيع كل فرد الاستغناء عن مدارس الحكومة (وان كان من الناس من فعل ذلك) لكن كل انسان يقدر أن يقلل من الانتفاع بالاشياء المفروضة عليها الضرائب ونظامات الحكومة *

المسافة شاسعة جداً بين النظام الحالى المؤسس على القوة الغشومة والنظام الاجتماعى الكمالى المؤسس

على الاتفاق المعقول الراسخ بحكم العادات وبقدر ابتعاد الناس عن الاشتراك فى الجور والاستفادة منه وتعوده يكون قربهم من الكمال الذى يسلكون سبيله *

لسنا ندرى ولا يمكننا التنبؤ بالطريقة التى بها تضعف سلطة الحكومات تدريجا وكذلك لا ندرى كيفية معيشة الانسان عند ما يترقى الى تحرير نفسه الا اننا واثقون من حصول تغيير فى معيشة الذين أدركوا جرم الحكومات وضررها وسعوا الى اجتناب الاشتراك فيها والانتفاع بها فانها ستكون أكثر ملاءمة لقانون الحياة ولضمائرنا من الوقت الحاضر الذى يزعم الناس فيه بالرغم من اشتراكهم فى جور الحكومة والانتفاع به انهم يقاومونه ويعملون على استئصاله نعم ثم يعملون على استئصال المظالم القديمة باحلال أخرى حديثة محلها *

أهم مافى الامر أن الحياة الآن سيئة والعبودية موجودة والسبب فى ذلك هو الشدة التى تتخذها الحكومات وليس هناك طريقة لابطال شدة

الحكومة الاطريقة واحدة لاسبيل الى تحرير الناس سواها وهى الامتناع من الاشتراك فى هذه الشدة سواء كان الامتناع عسيرا أم يسيرا . تأخرت ظهور نتائجه الحسنة أم لم تتأخر لان هذه كلها مسائل لا طائل تحتها *

أما القدر أو الزمن الذى يحل فيه الاتفاق الاختيارى المؤسس على العادة محل الجور فى كل مجتمع وفى الدنيا بأسرها فتوقف على قوة ضمائر الناس وصفائها وعدد الافراد الذين تكون لديهم هذه الضمائر القوية الصافية

كل واحد منا شخص قائم بنفسه وكما يستطيع أن يشترك فى المجهود الانسانى العام بقدر اعتقاده بالغرض الذى وضعناه نصب أعيننا كذلك يستطيع أن يكون مقاوما للاصلاح ولكل الخيار فى معارضة الارادة الآلهية ببناء أسس مزعزعة الاركان لحياته الخيالية القصيرة أو فى الانضمام الى جانب الحياة الحقيقية السرمدية الموافقة للارادة الالهية *

انى قد أكون مخطئا فيما أقول اذ قد لا يستنتج من تاريخ

العالم هذه الاستنتاجات ولا يسير النوع الانسانى فى طريق تحريره من العبودية * وقد يمكن اقامة الادلة على أن الشدة عامل ضرورى للرقى وان الحكومة مع ماهى متصفة به من الشدة نظام ضرورى للحياة وان حالة الناس تصير الى أسوأ ماهى عليه الا ن اذا ألغيت الحكومات وألغى معها الدفاع عن الناس وعن ممتلكاتهم

فلنفرض ان ذلك كذلك وان جميع البراهين السابقة خطأ لكن بغض الطرف عن الاعتبارات العمومية الخاصة بالحياة الانسانية ينبغى لكل انسان أن ينعم النظر فى حياته الخصوصية فلا يعمل مايعتقد ضرره أو خطأه . نعم ربما كانت الادلة على ضرورة الحكومة لارتقاء الافراد وعلى ضرورة الشدة للمصلحة العامة مستنبطة من التاريخ وربما كان جميعها صادقا . لكن كل شريف مخلص فى زماننا هذا يجيب بان القتل جريمة اذا سئل عنه وانى بوفائي بمطالب الحكومة من التجنيد أو دفع الاموال لشراء المعدات الحربية والمدافع وانشاء المدرعات أكون شريكا فى

جريمة القتل وهذا ما لا أستطيعه ولا أبتغيه *

لاأريد أن أستفيد من الاموال التى جبيت من المتضورين جوعاً بطريق الانذار بالقتل ولا من الاراضى والنقود التى لايذاد عنها الا بالقتل *

ربما ارتكبت هذه الاعمال قبل أن أفقه جرمها أما وقد فقهتها فلايسعنى الاقدام عليها * اننى أعلم شدة ارتباطنا بالحكومة ولذا يتعسر علينا الاعراض عنها كلية الا انى سأفرغ جهدى لاجتناب الاشتراك فيها والاستفادة من كل ما يأتى بطريق القتل *

الحياة الدنيا واحدة فلماذا أخالف ضميرى وأكون شريك المجرم فى جرمه ؟ لا أدرى ماذا ينجم عن ذلك لكن أظن أن لا ضرر يعود على من العمل بما يمليه علىّ ضميرى *

هذا مايجدر بكل رجل شريف مخلص فى زماننا أن يجيب به على الادلة على ضرورة الحكومات وشدتها وكل دعوة الى الاشتراك فيها اذ ينبغى أن تكون النتيجة التى يستخلصها كل انسان هى التى يقرها ذلك

الحكم العدل الا وهو صوت الضمير *

* كلمة ختامية *

سيقول كثير من المفكرين الصادقين عند مطالعة ما كتبت « ان كلامك هذا لايتعدى المواعظ القديمة الحاثة على هدم معالم النظام الحالى وعدم الاشتراك فيه بدون وضع نظام جديد يحل محله . ان عمل الحكومة سيء وكذلك عمل الملاك والمملولين والاشتراكيين والثوار والفوضويين أعنى أن جميع المجهودات العملية سيئة لكن استثني منها الاعمال الادبية والدينية ونحوها فانها حسنة » *

ان ما يزعج الناس من فكرة الغاء الشدة هو فقد ان حماية الملكية اذيستطيع كل انسان أن يغتصب ما يحتاجه أو ما يحبه دون أن ينال عقابا فالذين اعتادوا حماية أملاكهم واشخاصهم بالشدة يحسبون انه لولا تلك الحماية لانتشرت الفوضى وعم الاختلال والتشاجر

لا اريد العودة الى ما اشرت اليه سابقاً فى بيان ان حماية الملكية بالشدة لا يقلل هذا الاختلال بل

يزيده لكن قد يحدث الخلل فى حالة فقدان الحماية
فأى طريق يسلكه الذين أدركوا مصدر آلامهم وعلة
مصائبهم ؟ *

اذا علم امرؤ أن مرضه متسبب عن الخمر وجب
عليه اجتنابها وعدم احتسائها ولو باعتدال وان ينبذ
الأدوية التى يصفها له قصير والنظر من الاطباء *

هذا هو الحال فى أمراضنا الاجتماعية فاذا علمنا
أن مرضنا ناجم عن أن بعض الناس يقسو على البعض
الآخر لم نستطع اصلاح المجتمع بالاستمرار على مؤازرة
الحكومة فى قسوتها أو بايجاد نوع جديد من القسوة
الثورية أو الاشتراكية وقد يحصل ذلك اذا كنا جاهلين
السبب الجوهرى فى تعس الناس لكن اذا ظهر للعيان
ان تألمهم متسبب عن القسوة استحال علاجهم
بالاستمرار فى طريق القسوة القديمة أو باحداث نوع
آخر منها * وكما أن المريض بالكحول لا يشفيه الا
الامتناع من الخمر التى هى سبب مرضه كذلك المتألمون
من سيئات النظام الاجتماعي لا يخلصهم منها الا الامتناع

من القسوة واذاعتها وكل ما يفضى الى تبريرها لانها
سبب التألم وليست هذه هى الطريقة الوحيدة لشفاء
الناس من أمراضهم فقط بل هى الطريقة المثلى لملاءمتها
للوجدان الحى ولضمير كل انسان فى عصرنا *

اذا فهم الانسان ان كل دفاع بالشدة عن الملكية
أو الافراد لا يكتسب الا بالقتل أو بالتهديد به كف
عن الانتفاع بما يكتسب بهذه الطريقة والاشتراك
فيها . فما كان ضروريا لخلاص الناس من شقائهم كان
ضروريا كذلك لراحة ضمائرهم فيجب اذا على كل فرد ان

لا يشترك فى الشدة ولا يبررها ولا يستفيد
منها احتفاظا بالمصلحة العمومية
ومصلحته الخصوصية *

﴿ الحكومة ﴾

(١)

﴿ الى المصلحين الاجتماعيين ﴾

« ان أشنع خطأ ارتكب فى العالم هو فصل علم
السياسة عن الاخلاق » - (شللى)

وضحت فى خطابى الى العمال انهم اذا أرادوا انقاذ أنفسهم من المظالم تحتم عليهم العدول عن معيشتهم الحالية التى تلجئهم الى مشاجرة جيرانهم لمصالحهم الخصوصية والسير بمقتضى الانجيل القائل افعل لغيرك ماتحب أن يفعله الغير لك *

ان النظرية التى اقترحتها صادفت كما كنت أتوقع انتقاد الذين لا يرون رأيى فقد قالوا انها خيالية غير عملية فرجاؤك تحرير المتألمين من المظالم والعسف بعد تحليهم جميعاً بجميل الصفات الا أن معنى هذا هو القضاء عليهم بالتزام السكينة والبطالة مع اقرارهم بالمساوى الشائعة ولهذا أريد أن أقول بعض كلمات كى أبين أن الفكرة التى أتمسك بها ليست غير عملية كما يزعم هؤلاء المنتقدون بل هى نظرية أجدر بانعام النظر من النظريات التى اقترحها العلماء لاصلاح النظام الاجتماعى .

أريد أن أقول هذه الكلمات للمخلصين الذين يرغبون بالفعل (لا بالقول) فى خدمة جيرانهم . أمثال هؤلاء هم الذين أوجه اليهم خطابى الآن *

* ١ *

ان أمانى الحياة الاجتماعية التى تسير الناس تتغير وتتغير معها الحياة الانسانية وقد انقضى زمن كانت فيه أمانى الحياة الحرية الحيوانية المطلقة فكان القوى يفترس الضعيف بكل ما استطاع من قوة . ثم أتى زمن صارت فيه الامنية الاجتماعية سلطة الفرد الواحد فكان الناس اذ ذاك يعبدون حكامهم وقد خضعت مصر والروم لسلاطينهم وأخلصوا فى تقديسهم وبعد ذا اعتبر الناس أمنيتهم نظام الحياة فأذعنوا لسلطة القائمين به لا لمجرد سلطتهم بل لاصلاح حالهم وسعوا الى تحقيق هذه الامنية بواسطة الحكومة الملكية حينا من الدهر ثم رأوا حصر السلطة فى الكنيسة ثم نشأت فكرة الحكومة النيابية بتعميم الانتخاب تارة وبتقييده أخرى أما فى زماننا هذا فهم يرجون تحقيق أمنيتهم بنظام اقتصادى تصبح بفضله آلات العمل كافة ملكا للامة كلها لا لافراد معينين *

ومهما تفاوتت هذه الاماني فان نفاذها بالقوة

مسلم به وأعنى بالقوة القوة التى تجبر الناس على إطاعة القوانين كما هو الحاصل الآن . انهم يظنون انه لا يتأتى تحقيق أعظم اصلاح الا بواسطة فئة من الناس (وهم بحسب التعاليم الصينية من خيرة الرجال وأفضلهم وبحسب التعاليم الاروبية قوم يختارهم الشعب) تخول لهم السلطة وبذا يؤسسون النظام ويتعهدونه فيستتب الامن ويسعد الحال ولا يعتدى أحد على أحد فى عمله وحريته وحياته ليس الاعتراف بضرورة نظام الحكومة الحالى قاصراً على فئة دون أخرى بل الثوريون والاشتراكيون وان كانوا يعتبرون هذا النظام عرضة للتغيير يعترفون بضرورة وجود قوة بها تستطيع الطبقة الحاكمة اجبار الناس على اطاعة القوانين المسنونة هذا الاعتقاد كان ساريا فى الايام الماضية ولا يزال ساريا للآن لكن الذين كانوا يجبرون بالقوة على اطاعة بعض القوانين لم يقروا بفضلها دائما ولذا كانوا يثورون على من بأيديهم السلطة ويعزلونهم ويسنون قوانين جديدة بدلا من القديمة يرون انها أعود بالفائدة للمصلحة

العامة ومع ذلك اذا صارت السلطة بأيدى سواهم أساؤا استعمالها واتخذوها ذريعة للوصول الى أغراضهم الشخصية وغفلوا عن مصلحة الرعية فليس هناك فرق بين السلطة القديمة والجديدة وقد تكون الثانية أشد جورا من الاولى . هذا اذا تغلب الثوار على الحكومة أما اذا ظلت الحكومة صاحبة القوة وعجز الثوار عن التغلب عليها أكثرت من وسائل الدفاع عن نفسها وضيقت الخناق على الاهلين . ذلك ماحصل فى الازمان الماضية وما يحصل الآن وقد تهيأت الافكار فى أوربا فى القرن التاسع عشر لقبول تعاليم خاصة ففى النصف الاول منه نجحت الثورات على العموم الا أن أولى الامر الذين انتقلت اليهم السلطة أمثال نابليون الاول وشارل العاشر ونابليون الثالث لم يزيدوا حرية الاهالى وفى النصف الثانى منه أعنى بعد عام ١٨٤٨ أخفقت الثورات لان الحكومات أخمدت نيرانها وبالنظر الى وقوع الثورات قبل ذلك أخذت الحكومات عدتها وتأهبت كل التأهب للدفاع عن

نفسها ولتعزيز سلطتها زيادة عما اكتسبته بفضل الاختراعات الصناعية الاخيرة التى اكسبت الناس قوى للتغلب على الطبيعة وعلى بعضهم البعض فتعذر على الثائرين مناوأتها *

لم تقتصر الحكومات على الاستيلاء على الثروة الطائلة التى كانت تجبيها من الاهالى ولا على تجنيد الجيوش وتنظيمها بل استولت على جميع وسائل التأثير فى نفوس الناس فتولت ادارة الجرائد ونشر التعليم الدينى والعلمى وقد بلغ نظام هذه الوسائل وقوتها حداً لم تقم معه قائمة للثورات فى أوربا منذ عام ١٨٤٨

٢

هذا مظهر من المظاهر الحديثة التى امتاز بها زماننا عن زمان نيرون وجنكيزخان وشارلمان فانهم مع ما كان لهم من السطوة والقوة الفائقة لم يستطيعوا اخماد الفتن على تخوم ممالكهم والتأثير فى نفوس رعاياهم

بواسطة نشر التعليم والتهذيب والدين بخلاف الحكومات الآن لانها قد استولت على كل وسائل التأثير *

لما رصفت شوراع باريس بالاحجار (المكدام) استحال إقامة المتاريس فى الشوارع للالتجاء اليها أثناء الثورات وتأكدت استحالة ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر فى جميع فروع الحكومة فالجواسيس والجرائد المأجورة والسكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات والفوتوغراف والسجون والحصون والاموال الطائلة وتعليم النشء الجديد والجند ـ كل هذه فى قبضة الحكومات * وهى منظمة نظاما محكما بحيث يتيسر لاعجز الحكام وأغبائهم منع كل شروع فى فتنة واخماد أى ثوره يدبرها من آن لآخر أغبياء الثوار الذين يزيدون فى سطوة الحكومات بقيامهم ضدها *

الوسيلة الوحيدة للتغلب على الحكومات فى الوقت الحاضر متوقفة على امتناع الجيش من معاونتها متى علم بجورها وقسوتها ولا يخفى أن الحكومات

تعلم أن سلطتها مستمدة من جندها ولذا وضعت نظاما للتجنيد بحيث لا يؤدى نشر أى دعوة بين الناس الى انتزاع الجيش من قبضة الحكومة *

الجندى مهما كانت عقيدته السياسية لا يستطيع الامتناع من اطاعة الاوامر العسكرية مادام خاضعا للنظام كما ان العين لا تستطيع أن لا تغمض اذا صوبت اليها ضربة . أما الشبان الذين بلغوا سن العشرين ونشؤا على التعاليم الاكليريكية الفاسدة والتعاليم الملحدة وتشبعوا فوق ذلك بالروح الوطنية فلا يمكنهم الامتناع بطبيعة الحال من الخدمة فى الجندية * ومثلهم فى ذلك مثل طلبة المدارس الذين لا يستطيعون شق عصا الطاعة ومتى انخرط أمثال هؤلاء الشبان فى سلك الجندية أصبحوا بعد مضى عام خاضعين كل الخضوع للحكومات مهما كانت عقائدهم وذلك بفضل النظام الفنى الذى انضجته الاجيال حتى بلغ غاية الاتقان وان وجد واحد من عشرة آلاف يأبى الخدمة فى الجندية نراه من المتعصبين لفكرة دينية

لا تعترف بها الحكومات *

وعليه اذا ارادت الحكومات فى أوربا الآن الاحتفاظ بسلطتها (وهى لا تريد غير ذلك لان القضاء على السلطة قضاء على الحكام وفيه سقوطهم) لم تجد أمامها ثورة منظمة تناهضها وعلى فرض قيام أى ثورة من هذا القبيل فمن السهل اخمادها دون الحصول على نتيجة ما. اللهم الا هلاك الثوار وازدياد سلطة الحكومة ان هذا الرأى لا يراه الثوار والاشتراكيون لانهم يعتقدون بتعاليم خاصة لا يتعدونها الا أن جميع المتتبعين للحوادث التاريخية من غير تحيز يعترفون معنا بذلك الرأى *

﴿ ٣ ﴾

ان النزاع بين الحكومات والامم منذ القدم قد أدى فى بادىء الامر الى ابدال سلطة بسلطة اخرى ولكن من منتصف القرن الاخير صار من المستحيل فى أوربا مكافحة الحكومات بفضل الاصلاحات الفنية الحديثة التى أكسبتها قوة فائقة للدفاع عن نفسها *

كلما قويت شوكة الحكومة كان ذلك دليلا على تقلبها وعدم ثباتها * وقد صار التناقض ظاهراً فى الجمع بين فكرة العدل والجور ومما هو بين أن السلطة التى يحتاج اليها لاقامة العدل ينبغي أن تكون بأيدى قوم أخيار لكن الواقع انها تعطي على الدوام لشر الناس لان الاخيار لا يريدون اكتساب قوة ولذا لم يحصلوا عليها *

هذا التناقض ظاهر يكاد يكون محسوسا وقد يخيل للانسان ان كل واحد لابد أن يراه ومع ذلك قد ظل الناس مخدوعين بالسلطة ومظاهرها ومتخوفين منها ومتمسكين باعتقاداتهم القديمة وقد مرت عليهم أجيال بل ألوف من السنين دون أن يدركوا خطأهم

أخذ الناس يدركون فى الايام الاخيرة ان السلطة بالرغم من الهيبة التى تسدل الستر عليها تتضمن الوعيد بفقد الملكية والحرية والحياة وتنفيذ هذا الوعيد وان الملوك والقياصرة والوزراء والقضاة وغيرهم ممن يقفون حياتهم لهذا الغرض لا لسواه رغبة منهم فى استبقاء مراكزهم ليسوا غير صالحين فقط بل من أسوإ الناس

أيضاً ولهذا لا يستطيعون احراز النفع العام بل يمثلون أعظم الاسباب الداعية الى نكبة الانسانية فالسلطة التى كانت فى الازمان الغابرة تتجلى فى غيرة الناس وعبادتهم لملوكهم اصبحت الآن داعية الى عدم اكتراث السواد الاعظم والى الاحتقار والبغض أيضاً *

ان أرباب العقول النيرة يعرفون الآن أن جميع مظاهر الهيبة والجلال التى تكتنف السلطة باطلة ومثلها مثل صدرى الجلاد الاحمر وسروا له المخملى اللذين يميزانه عن سائر المجرمين اذ قد أخذ على عاتقه اقتراف أشنع الجرائم وأشدها مقتا . الا وهو القتل وحيث وصمت السلطة بهذه الوصمة ولم تعد بعد الآن تستند الى تلك الاسس الواهية كالحق الموهوم والانتخاب وفضائل الحكام الغريزية اعتمدت الحكومات على القهر دون سواه فى نيل مآربها فعمدت الى الضغط على الامم والقضاء على مجهوداتها فتضعضعت ثقة الناس بها واشتد سخطهم عليها واكثروا التذمر من خطتها *

﴿ ٤ ﴾

أصبحت السلطة لا تقاوم وصارت غير مرتكزة على الاسس الوطنية الراقية كالحقوق الموهومة والانتخابات بل على مجرد الشدة فزال اعتقاد الناس بها واحترامهم لها وما خضوعهم لها الا لعجزهم عن مناهضتها ولزوال ما كان لها من الاعتبار فى عيون الاهالى * ظهر منذ أواسط القرن الأخير قوم يبثون فى النفوس مبادىء الحرية الحقة القاضية بان يعيش كل انسان بحسب فكره فان شاء دفع الضرائب وان شاء امتنع من دفعها وان شاء التحق بالجيش وان شاء امتنع من الالتحاق به كما ان له الخيار فى محالفة الامم المتاخمة ومعاداتها وهذه المبادىء منافية للسلطة التى ينتحلها بعض الناس لانفسهم ومناقضة للحرية الكاذبة التى يزيعها أنصار السلطة والشدة الذين يزعمون أن الحرية هى فى اطاعة الاوامر خوفا من طائلة العقاب *

السلطة فى نظر الداعين الى الحرية الحقيقية ليست كما كان يظن بها فيما مضى شيئا الهيا مقدسا . ولا ضروريا

للحياة الاجتماعية بل هى نتيجة قسوة بعض الناس على بعض وسواء كانت هذه السلطة بايدى لويس السادس عشر أو لجنة الدفاع الوطنى أو الادارة أو القنصلية أو نابليون أو لويس الثامن عشر أو السلطان أو رئيس الجمهورية أو حاكم الصين أو كبير الوزراء فان السيطرة لا تزال موجودة والحرية لا تزال مفقودة فلزوال السيطرة وايجاد الحرية يجب الغاء السلطة ولكن كيف السبيل الى الغائها وكيف تنتظم الامور بفقدها ؟ الا يعود الناس الى الهمجية ويتعدى بعضهم على بعض ؟ *

اتفق جميع الفوضويين على أن الغاء السلطة لا ينبغى أن يكون بالقوة بل بادراك الناس ضررها وعدم جدواها ولكنهم قد اختلفوا فى كيفية تنظيم المجتمع فى حالة الغائها . هذا (جودوين) الانجليزى الذى عاش فى أواخر القرن الثامن عشر وأدرك أوائل القرن التاسع عشر و(پرودون) الفرنسى فانهما يريان أن يكتفى فى الغاء الحكومات بادراك الناس ضررها ولكن

يرى (جودوين) أن السلطة قد أضرت بالمصلحة العامة و(پرودون) انها قد أضرت بالعدالة فاذا سادا الاعتقاد بان المصلحة العامة أو العدالة تتحقق بلا سلطة اختفت السلطة من نفسها وأصبحت أثراً بعد عين * أما الطريقة التى ينتظم بها المجتمع الجديد بعد فقدان السلطة فقال (جودوين وپرودون) ان الناس سيهتدون بانفسهم طبعا الى نظامات عادلة معقولة *

وهناك فئة أخرى من الفوضويين أمثال (باكونين وكروپوتكين) يعترفون ايضا بان ادراك ضرر السلطة ومنافاتها للرقى الانسانى نافع فى الغاء الحكومات الا انهم يعتبرون الثورات ضرورية لهذا الغرض ولذلك يحثون الناس على التأهب لاشعال نيرانها ثم انهم يؤكدون ان نظام المجتمع سيلتئم بما يناسب حالة الحياة من حيث الحرية والمنفعة العامة عند ما تلغى الحكومات والملكية

ويرى (ماكس ستيرنر) الالمانى و(تكر) الامريكى نفس الرأى المتقدم فى الغاء السلطة لانهما يعتقدان أن كل فرد اذا علم أن مصلحته الشخصية هى التى

تدفعه الى العمل وان السلطة هى التى تعوق ظهور هذا الدافع الانسانى علم أن السلطة تتدثر من تلقاء نفسها لما تصادفه من العصيان أو عدم الاشتراك فيها كما يقول (تكر) وكلاهما يرى أن الناس اذا تحرروا من الخزعبلات ومن السلطة ونظروا فى مصالحهم الشخصية فانهم يتفقون على نظامات تناسبهم وتعود على كل منهم بالمنفعة

جميع هذه التعاليم صحيحة من جهة ان السلطة لا يصح الغاؤها بالقوة أصلا خشية حلول سلطة محل أخرى وان هذا الالغاء لا يمكن أن يتم الا بشعور الناس بضرر السلطة وعدم فائدتها فينبغى الامتناع من اطاعتها والاشتراك فيها أما كون السلطة يمكن الغاؤها بشعور الناس فقط فهذه حقيقة لامراء فيها ولكن ما الذى يتضمنه هذا الشعور؟ يعتقد الفوضويون انه ينبغى ان يكون مؤسسا على مراعاة المصلحة العامة أو العدالة أو الرقى أو المصلحة الشخصية الا انه بغض الطرف عن ان جميع هذه العوامل غير متفق عليها فان الناس مختلفون فى فهم المصلحة العامة أو العدالة

أو الرق أو المصلحة الشخصية فيستحيل اذن ان نظن ان قوما مختلفين فيما بينهم ومختلفين فى فهم الاساس الذى يبنون عليه معارضة السلطة يستطيعون الغاء سلطة متينة الدعائم تدافع عنها قوة هائلة والظن بان مراعاة المصلحة العامة أو العدالة أو قانون الرق تكفل لمن تحرروا من القهر اتفاقا عادلا لا يمس حريتهم فى حين أنه لا باعث يحملهم على ايثار المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ـ ظن لا أساس له أصلا *

ان نظرية الفائدة الذاتية التى يقول بها (ماكس ستر نر وتكر) اللذان يؤكدان ان التمسك بالفائدة الشخصية يؤدى الى وجود علاقات عادلة بين الناس كافة ليست نظرية مطلقة فقط بل مناقضة للواقع أيضاً *

فالتعاليم الفوضوية مع صحة اقرارها بوجوب اتخاذ الاسلحة الروحية دون سواها لالغاء السلطة نراها تعتمد على رأى مادى مخالف للدين وقد تقتصر على أوهام وتخيلات يتخذها أنصار السلطة ذريعة الى

نكران أسسها الحقة نظرا الى قصور الوسيلة المعروضة لتنفيذ هذه التعاليم *

هذا السلاح الروحى هو السلاح الوحيد المعروف قديما ولطالما قوض دعائم السلطة وأكسب المتمسكين به حرية تامة ثابتة وما هو الا أن يعتقد الانسان اعتقادا دينيا بان الحياة الدنيا ما هى الا جزء من الحياة الكاملة وان هناك اتصالا بين حياته هذه والحياة الابدية وان الخير كل الخير فى اتباع الشرائع الآلهية التى يجب عليه ان يرعاها أكثر من رعايته للقوانين الوضعية مهما كان شأنها *

مثل هذه العقيدة الدينية الجامعة لشمل الناس فى فهم الحياة والمضادة للانقياد للسلطة والتداخل فيما هى التى تقضى عليها وتمهد لهم السبيل وتجمعهم على نظامات للحياة معقولة عادلة * ومن الغريب أن الناس لم تتجل لهم تلك الحقيقة الناصعة « وهى أن السلطة وما ينجم عنها من الآفات والمساوى لم تكن الا نتائج سوء سلوكهم وانها انما يقضى عليها وعلى ما ينجم عنها بتقويم

أودهم وتهذيب نفوسهم » الا بعد أن بلغت السلطة من المنعة مبلغا لا يمكن معه التغلب عليها بالقوة *

شرع الناس يفهمون هذه الحقيقة الآن ويدركون ان ليس هناك سوى وسيلة واحدة للحياة الطيبة وهى الاعتقاد والعمل بتعليم ديني طبيعي واضح للاغلبية العظمى من البشر لانه هو الذى يبلغهم درجة الكمال الذى يشعرون به الآن ويستنفدون وسعهم للوصول اليه . أما ماعدا ذلك من المساعى التى ترمى الى الغاء السطة والى تنظيم حياة صالحة بدون قوة

فلا يجديهم نفعا ولا يدنيهم من
أغراضهم بل يبعدهم عنها *

٥

هذا ما أبغى أن أقوله لكم أيها المخلصون الذين لا تقنعون بالحياة الانانية بل ترغبون فى خدمة اخوانكم فان بدا لكم ان الاشتراك فى أعمال الحكومة وسيلة لخدمة اخوانكم فاعلموا انه لا توجد حكومة لا تقترف الجور والسرقة والقتل ولا تتأهب لها وتعتمد عليها *

كتب كاتب أمريكى قليل الشهرة اسمه (ثورو) مقالة عن السبب فى عصيان الناس للحكومة شرح فيها كيف انه أبى أن يدفع لحكومة الولايات المتحدة ضريبة ريال لانه يخشى أن يكون بدفعه هذا الريال مشتركا فى أعمال حكومة تجيز استعباد أهالى أمريكا السود أفلا يجب أن يشعر مثل هذا الشعور نحو الحكومة كل روسى بل كل وطني فى أعظم حكومة راقية كالولايات المتحدة بمالها من الاعمال المعروفة فى كوبا والفيليبين وعلاقاتها بالسود وطردها الصينيين وكانجلترا واتجارها بالافيون فى الهند وحربها مع البوير وفرنسا بفظائعها الحربية ؟ *

فالرجل المخلص المحب لخدمة اخوانه اذا أدرك كنه الحكومات لم يشترك فيها الا اذا رأى ان الغاية تبرر الواسطة لكن هذا الاشتراك ظالما أضر بمصلحة المباشرين له والملتجئين اليه *

المسألة واضحة جدا . أنتم تقصدون من الخضوع للحكومة والانتفاع بقوانينها ان تكسبوا منها حرية

وحقوقا للناس لم تكن لهم بيد ان نسبة حرية الناس
وحقوقهم معكوسة لدى السلطة والطبقات الحاكمة
على العموم اذ كلما زاد شيء منها نقصت سلطتها وقد
عرفت الحكومات ذلك ولما كانت السلطة بأيديها
سمحت للاحرار بالكلام من غير طائل فى مسائل
الاصلاح لكنها سرعان ما ضغطت على ميولهم التى
تمس مصالح الحكام وتهدد وجودهم فجميع مساعيكم
التى توجهونها الى خدمة الناس من طريق السلطة أو
البرلمانات لاتؤدى الا الى توسيع نطاق سلطة الطبقات
الحاكمة ثم تشتركون فى هذه السلطة بحسب اخلاصكم
وقدر ادراككم . هذا ما يتعلق بالذين يريدون خدمة
المجموع بواسطة نظامات الحكومة فى الوقت الحاضر

أما الذين يخدمون الشعب بالطرق الثورية
الاشتراكية (بغض الطرف عن قصور ذلك الغرض
المادى الذى يسعون اليه ولا يقنع أحداً) فالواجب
عليهم التفكير فيما لديهم من الوسائل التى تبلغهم أغراضهم
هذه الوسائل فاسدة تنطوى على الكذب والغش

والجور والقتل وهى فضلا عن ذلك لاتبلغهم اغراضهم
أصلا وقد بلغت الحكومات من القوة والتحفظ
للدفاع عن نفسها مبلغا عظيما بحيث لايتيسر اسقاطها
فى زماننا هذا بالمكيدة أو الحيلة أو أى عمل من
الاعمال الفظيعة بل لايمكن زعزعتها وكل المجهودات
الثورية انما توجد مبررا جديدا للحكومات لاستعمال
الشدة وازدياد السلطة *

واذا فرضنا فوز الثورة فى زماننا هذا فلما ذا
ننتظر (بخلاف ما كان يحصل دائما) ان السلطة الغالبة
تمنح الحرية للشعب وتسعده اكثر من سابقتها ؟ وعلى
فرض تحقق هذا الغرض المخالف المعقول والتجارب
لاسبب يدعو الى الظن بان الذين يعيشون عيشة انانية
ينظمون شؤون بعضهم خيراً من السلطات السابقة *

هب ان ملكة الداهومى أسست أعظم نظام
دستورى حر لشعبها وحققت آراء الاشتراكيين فى
جعل آلات العمل مشتركة فهل هذا يخلصهم من جميع
أرزائهم ؟ كلا بل لاتزال تعوزهم فئة بيدها السلطة لتنفيذ

هذا النظام الدستورى ومنع استبداد بعضهم باستعمال آلات العمل دون البعض الآخر هذا وما دام أهالى الداهومى داهوميين بمالهم من الطباع والاخلاق فسيستعبد فريق بآخر سواء أوجد الدستور أم لم يوجد تحققت آراء الاشتراكية فى جعل آلات العمل مشتركة أم لم تتحقق * والواجب على الداهوميين قبل تنفيذ النظام الاشتراكى أن يتخلوا عن ارتكاب المظالم وسفك الدماء * وهذا بعينه مايجب على الاوربيين *

ليس الناس فى حاجة الى نظام عماده القوة كى يعيشوا عيشة راضية لا يتعدى بعضهم على بعض بل هم فى حاجة الى اخلاق قويمة واعتقاد يحمل كلا منهم على أن يعمل لغيره ما يحب ان يعمله الغير له من غير أن يكون الدافع له القهر وأمثال هؤلاء الناس موجودون فى الطوائف الدينية المسيحية فى أمريكا وروسيا وكندا وهم لا يخضعون لقوانين عمادها الرهبة والقوة بل يعيشون عيشة مشتركة دون ان يتعدى بعضهم على بعض *

المسعى الوحيد المعقول فى مجتمعنا المسيحى فى زماننا هذا هو نشر التعاليم المسيحية الراقية قولا وفعلا لا غيرها * وهي التى تخضع لنظام الحياة الحالية وتدعو الى اداء الفرائض الظاهرية فقط أو تكتفى بيث العقيدة ووعظ الناس بالتوبة للخلاص الابدى ان التعاليم المسيحية الحية التى أبغي نشرها هى التى توجب على الناس عدم الاشتراك فى أعمال الحكومة والكف عن القيام بمطالبها لان الضرائب وعوائد الاملاك وقوانين المحاكم والجند منافية للمسيحية الحقة *

يتضح مما تقدم انه ينبغى أن لا توجه مساعى الراغبين فى خدمة اخوانهم الى انشاء نظامات حديثة بل الى تغيير اخلاقهم وتهذيب نفوسهم ونفوس غيرهم والذين يسلكون غير هذا السبيل يحسبون أن أشكال الحياة وأخلاق الناس وآراءهم فى الحياة تتحسن فى آن واحد *

ان التغيير فى أخلاق الناس وآرائهم فى الحياة سيتبعه بالضرورة تغيير فى تلك النظامات التى عاشوا

بها على أن تغيير النظام لا يعين على تغيير الاخلاق والآراء بل يعوقه لاتجاه الافكار والمجهودات نحو مأزق فاسد وما مثل تغيير نظام الحياة رجاء تغيير أخلاق الناس وأفكارهم الا كمثل وضع خشب غض فى موقد بأمل انه قد يوجد فى الموقد موضع ملائم لاحتراق مثل هذا الخشب الغض بخلاف الخشب الجاف فانه يحترق بمجرد وضعه فى الموقد من غير نظر الى موضع منه دون آخر *

هذا خطأ واضح جدا حتى ان بعض الناس لا يسلمون به مالم يكن لديهم مسوغ معقول لذلك وقد دفع بعضهم هذا الخطأ بقوله ان التغيير فى أخلاق الناس لا يتحقق الا بان يجاهد كل امرىء نفسه ويقوم ما اعوج منها * وفى ذلك من المشقة ما فيه فى حين ان تغيير نظام حياة الغير يسهل الوصول اليه من غير مجاهدة النفس وهو بحسب الظاهر أمر عظيم ومجهود كبير *

انى أحذركم أيها المخلصون الراغبون فى بذل النفس

والنفيس فى خدمة اخوانكم من الوقوع فى هذا الخطأ الذى هو مصدر أعظم سيئة فى العالم *

﴿ ٦ ﴾

يقول قوم - « اننا لا نقدر أن ننشر التعاليم المسيحية آمنين مطمئنين والناس حولنا يتألمون ولكننا مستعدون لبذل كل شىء حتى أنفسنا ابتغاء خدمة المجموع بهمة * وانا أقول من أين جاءكم انكم مطالبون بخدمة الناس بنفس الطريقة التى تحسبون أنها خير الطرق العملية ؟ ان قولكم هذا يدل على أن خدمة الانسانية لا تستطاع بالتعاليم المسيحية بل بالمساعى السياسية التى تميلون اليها وانها خير ما ينبغى اتباعه *

وهذا هو رأى جميع السياسيين الا أن لهم مذاهب شتى يباين بعضها البعض فلذا لا يتأتى أن تكون كلها صحيحة وحبذا لو خدم كل امرىء الناس كما يهوى ولكن الامر ليس كذلك فليس هناك سوى طريق واحد لخدمتهم واصلاح شأنهم وهو نشر الدعوة لمجاهدة كل نفسه وتكميل خلقه وهذا يدعو المتدين أن يعاشر

الناس لا أن يتجنبهم وان يرتبط بهم بروابط الالفة والمحبة كى تتحسن حالتهم العامة وان بقى هذا التحسن غامضا على الانسان *

نعم قد يمكننا تحديد النتائج التى نريد الحصول عليها من طريق الاشتراك فى الحكومات والبرلمانات والثورات لكى نجنى ثمار الحياة ومسراتها ونبلغ منزلة سامية وشهرة واسعة لدى الناس ونكتسب رضاءهم وربما نال الذين يجاهدون فى سبيل السياسة أحيانا شيئاً من الآلام الا أنها آلام تعترى كل من يكافح بأمل التفوق والظفر * ولايخفى ان الاعمال الحربية تعرض الجندى للعناء والمتاعب بل للموت فى الغالب ومع ذلك لا يؤثرها الا أحط الناس خلقا وأشدهم عجبا بنفسه

أما المجهودات الدينية فلا تبين لنا النتائج التى تبلغها ولا تكسب شهرة واسعة ولا منزلة عالية بل تقضى بانكار النجاح الظاهرى وتحط بقدر الناس من الوجهة الاجتماعية وتجعلهم عرضة للازدراء والتعنيف وأشد الآلام وقد تفضى بهم الى الموت * والدين لا

يسمح بالتجنيد العام المتبع فى هذا الزمان بل يحتم على كل من يدعى لخدمة الجيش واراقة الدماء الاباء واحتمال عقاب الحكومة فلذلك كان المجهود الدينى شاقا غير انه هو الذى يكفل للانسان الحرية التامة ويهديه الى سواء السبيل *

وبجمل القول ان المجهود الدينى هو المجهود المثمر حقيقة وهو الذى يبلغنا بأعدل الطرق وأسهلها تلك النتائج التى يستنفد المصلحون الاجتماعيون جهدهم بالاساليب المصطنعة للوصول اليها * فالوسيلة لخدمة الناس واحدة وهى مجاهدة الانسان نفسه ليحيا حياة طيبة وليست هذه الوسيلة خيالية كما يعدها الذين لا يرون فيها فائدة لانفسهم بل جميع ماعداها من الوسائل التى يغرر بها زعماء الشعوب هو الخيالى الفاسد الذى يبعد الناس عن الطريق القويم *

﴿ ٧ ﴾

يقول الذين يرومون تحقيق أمانيهم بسرعة « اذا كان الامر كذلك فمتى نراه محققاً ؟ » فنقول حبذا

لو استطاع الانسان القيام بهذا العمل سريعاً وحبذا لو كان فى الامكان زرع غابة فى الحال ولكن لابد من الانتظار ريثما تنبت البذور وتنمو الاشجار وتورق الاغصان . نعم ان فى الامكان غرس فروع الشجر فى الارض فتشابه غابة فى شكلها زمنا قصيراً ولكنها لا تلبث أن تزول وهذا هو الحال فى الاسراع فى انشاء نظام اجتماعى قويم فقد يستطيع الانسان انشاء شبه نظام قويم كما تفعل الحكومات الا أن ذلك يحول دون ايجاد نظام حقيقى (أولا) بسبب خدع الناس وايهامهم بنظام نافع لا وجود له فى الحقيقة (ثانيا) لان هذا النظام تقليدى لا يتوصل اليه الا بالسلطة والسلطة تفسد الناس والحكام ولذلك يصير النظام الحقيقى قليل الاحتمال

وعليه السرعة فى تحقيق أمنية الاصلاح لا تحققه بل تعيقه . أما مسألة وضع نظام للمجتمع بلا شدة عاجلا أو آجلا يتفق مع رغبات الجنس البشرى فتتوقفة على أن يدرك زعماء الشعوب الذين يرغبون حقيقة فى نفع الناس ان لا شىء يقصيهم عن تحقيق أمانيهم غير اقتفاء

أثر الخطة الحالية وهى المثابرة على التمسك بالخزعبلات القديمة أو على جحد الاديان ولفت أنظار الناس ومجهوداتهم الى خدمة الحكومة والثورة والاشتراكية

لو أدرك هؤلاء الذين يحبون خدمة جيرانهم باخلاص ان وسائل الاصلاح التى يعرضها أنصار الحكومة والثوار عقيمة وان الوسيلة الوحيدة لانقاذ الناس من شقائهم متوقفة على عدولهم عن المعيشة الانانية والوثنية الى المعيشة الدينية الصالحة وعن اقرارهم كما هو الحاصل الآن بمشروعية الاعتداء على الجار لاغراض شخصية واتبعوا القانون الاساسى الراقى القاضى على الانسان بان يحب لغيره مايحب لنفسه لتغيرت سريعاً تلك النظامات الجائرة المضادة للعقل التى نسير عليها الآن ووجدت نظامات أخرى ملائمة لشعور الانسان فى هذا الزمان *

فكروا فى تلك القوى العقلية العظيمة التى تسخر لخدمة الحكومة وفى ذلك الوقت الذى يضيع فى حمايتها من الثورات وكم من مجهودات الشبان وحميتهم يذهب

سدى فى محاولة اثارة الفتن والمشاجرة مع الحكومة من غير طائل وفى تحقيق أحلام الاشتراكية فان ذلك كله لا يؤخر النفع العام الذى يكد الناس طراً لتحقيقه فقط بل يجعله مستحيلا الا تكون الفائدة عظيمة اذا كان جميع هؤلاء الذين يسخرون قواهم عبثا وفيما يضر اخوانهم غالبا يوجهون عنايتهم ويبذلون وسعهم فيما يؤدى الى حياة اجتماعية صالحة بتكميل أخلاقهم وتهذيب نفوسهم ؟ *

لو استخدم الانسان ذلك المجهود العظيم الذى يبذله اقامة لدعائم بيت قديم فى تشييد بيت جديد بمواد صلبة جديدة لبناه مرات عديدة * نعم ان اسباب الراحة قد لا تكون متوفرة لفئة خاصة فى البيت الجديد بادىء بدء الا انه يكون بلا ريب أمتن بنيانا وأكثر قبولا الاصلاحات الضرورية لا لفئة خاصة بل للناس كافة *

يستنتج من كل ما تقدم هذه الحقيقة السهلة المفهومة التى لا تدحض وهي انه لابد فى صلاح الحياة وطيبها ان

يكون الناس صالحين ولا سبيل الى ذلك الا ان يصلح كل امرىء نفسه ويهذبها ويعمل بما جاء فى الانجيل

(فكونوا انتم كاملين كما أن اباكم الذى
في السموات هو كامل)

(٢)

(الوطنية والحكومة)

(١)

صرحت مراراً ان عاطفة الوطنية فى زماننا هذا عاطفة غير طبيعية بل خارجة عن الصواب ومضرة وهى علة أكثر أمراضنا الاجتماعية التى يئن منها النوع البشرى فلذا لا ينبغي ان تعلم كما هو الحاصل الآن بل يجب منعها واستئصال شأفتها بكل الوسائل الفعلية التى تبدو لاولى النهي *

ومن المدهش أن تكون الوطنية هى سبب التسليح العام والحروب المهلكة للانسان والادلة التى أقمتها لبيان فساد هذه العاطفة وضررها وعدم ارتباطها بالتاريخ لم تصادف الا سكوتا واعراضاً أو سوء فهم

متعمد ونوع بعضهم الوطنية الى وطنية باطلة ووطنية
حقة وجعل الوطنية الباطلة هى المضرة أما الوطنية
الحقة فقد جعلها شعورا أدبيا ساميا وذمها والطعن عليها
اثما لا يغتفر ولكن اذا سألناهم عن كنه الوطنية
الحقة ألفيناهم يتحاشون الشرح والبيان ويجيبوننا
بعبارات ضخمة فخمة الا انها لا تفيد المراد ولا ترتبط
بالوطنية المعروفة التى يتألم الناس من عواقبها *

يقولون ان الوطنية الحقة هى الرغبة فى فائدة
الشعب أو الحكومة التى ينتمى اليها الفرد من غير ان
ينكث عهد الامم الاخرى ويعكر صفوها وقد حادثت
فى هذه الايام انجليزيا بشأن حرب البوير فقلت له
ان السبب الجوهرى في اشتعال نيران الحرب لم يكن
الطمع حسب زعمكم بل هو الوطنية كما يلوح ذلك
من سجايا الامة الانجليزية بأسرها فعارضنى وقال لو كان
الامر كذلك لكانت الوطنية الانجليزية باطلة ولكن
الوطنية القويمة الراسخة في نفسى هي التى تدعو
مواطنى الانجليز الى فعل الخير فقلت له أتود ان يفعل

الانجليز الخير دون سواهم فقال كلا بل أود أن يفعل
الخير الناس وطرا فدل بهذا دلالة صريحة على طبيعة
الفائدة الحقيقية التى تعم الناس قاطبة سواء أكانت أدبية
أم مادية علمية ام عملية والرغبة فى فائدة الانسان أيا كان
ليست وطنية بل مناقضة للوطنية وكذلك خصائص
كل أمة ليست وطنية وان كان أنصار الوطنية يجعلونها
مرادفة لها ويزعمون انها من ضروريات تقدم العالم فلهذا
يقولون المحافظة على تلك الخصائص محافظة على الوطنية
الحسنة والسعى اليها شعور نافع ولكن اليس من البين
ان خصائص أمة كالعادات والاعتقادات واللغات
التى كانت ضرورية للحياة الانسانية فى زمن مضى قد
أصبحت فى زماننا عقبة فى سبيل أمنية العالم الصالحة
وهى تآخى الشعوب *

فمحافظة الروسيين والالمانيين والفرنسيين
والانجليز السكسونيين على وطنيتهم والدفاع عنها تدعو
المجريين والبولنديين والارلنديين والبسكيين
والبروفنسال والمورد فنيانيين والشوفاس وغيرهم الى

التمسك بوطنيتهم والدفاع عنها أيضاً فالوطنية لاتوفق بين الناس بل توجد النفرة وتشتت الشمل وتؤلم الانسانية غاية الالم وليست هي الرغبة فى فائدة الشعب الروحية (لان هذه الرغبة يستحيل قصرها على شعب دون غيره) بل هي شعور يقضى بايثار شعب من ادعاها أو حكومته على سائر الشعوب والحكومات ورغبة فى حصول هذا الشعب أو الحكومة على أعظم فائدة وأقوى سلطة ممكنة وهذا لا يتأتى الا بخسارة أمم وحكومات أخرى فيتضح ان الوطنية عاطفة فاسدة مضرة ومبدأ سخيف لان كل أمة وحكومة

تعتبر نفسها خير الامم والحكومات

وهذا هو الضلال المبين *

(٢)

كنا نأمل ان تتجلى للناس مضرة الوطنية وخرقها ولكن من المدهش ان ذلك قد خفى على المهذبين والمتعلمين فلم يفطنوا له وأغرب من ذلك اننا نراهم يمجدون الوطنية ويثنون عليها ويثابرون على ذلك ويعارضون بحدة كل

ما يكشف القناع عن ضررها وشناعتها بدون أدلة معقولة

فماوجه ذلك ؟ لا أجد وجها لذلك سوى أمر واحد وهو ان تاريخ العالم كله منذ القدم الى الآن عبارة عن حركة افكار الافراد والجماعات المتجانسة من أدناها الى أرقاها والطريق الذى سلكته الافراد والجماعات أشبه شيء بدرجات بعضها فوق بعض أحطها مستوى الحياة البهيمية وأرقاها غاية ما وصل اليه فكر الانسان فى زمن من الازمان وكل فرد ككل جماعة أو أمة أو حكومة فى صعود دائم فى هذه الدرجات الفكرية الا أن بعض الناس متقدم فى الصعود وبعضهم متأخر والاغلبية وسط بين بين ولكن الجميع على كل حال فى رقى دائم * ثم تلك الافكار منها افكار قديمة أكل عليها الدهر وشرب فأصبحت غريبة لا يستطيع أحد الرجوع اليها كأكل الاحوم البشرية والسلب و غتصاب الزوجات وغير ذلك من العادات التى لم يبق منها الآن غير أثر ضعيف. ومنها أفكار حديثة

تلقنها الناس بالتعليم والقدوة والمشاهدة كالافكار الذائعة في وقتنا هذا الخاصة بالملكية ونظام الحكومة واستثمار دواجن البيوت الخ * ومنها أفكار مستقبلة لم تتحقق ولكن يوشك أن يحققها بعضهم فيتغير شكل الحياة الحالية وتندثر معالم السبل القديمة كتحرير العمل ومنح المساواة للنساء وعدم أكل اللحوم الخ * ولا يزال بعضهم متمسكا باشكال الحياة القديمة فلم يشرع في تغييرها مع اعترافه بوجوب ذلك كاستئصال الحكومات وايجاد نظام اشتراكي للملكية وتوحيد الديانات والتآخي العام بين الناس * وهذه هي التي نسميها بالامانى *

فكل انسان وجماعة متجانسة مهما كانت صفة المستوى الذى يقفون عليه لديهم ذكرى الماضى البالية وأماني المستقبل فهم لذلك في نزاع دائم بين الافكار الحالية المشرفة على الموت والافكار المستقبلة وقد يتفق عادة ان الفكرة التى كانت تعتبر نافعة وضرورية فيما مضى تصبح عديمة الجدوى * وتحل محلها فكرة أخرى

حديثة بعد جهاد طويل أو قصير وتعتبر من أفكار الوقت الحاضر بعد أن كانت أمنية المستقبل بيد انه قد يحدث ان الفكرة القديمة التى حلت محلها فكرة سامية فى النفوس يكون الاحتفاظ بها فى مصلحة بعض الذين لهم أعظم تأثير فى مجتمعهم فتظل هذه الفكرة القديمة مؤثرة فى الناس ومتسلطة عليهم فى أعمالهم مع مخالفتها لمظاهر الحياة الآخذة في التغيير *

ان الاحتفاظ بالافكار القديمة ذائع في الاوساط الدينية وذلك لان القسيسين هم الذين يدعون الناس الى التمسك بالافكار الدينية القديمة لانتفاعهم من ورائها * وهذا ما يحدث بعينه فى عالم السياسة فيما يتعلق بالوطنية التى عليها مدار السيادة *

فالذين يعود عليهم النفع يحتفظون بهذه الفكرة بوسائل مصطنعة وان كان ينقصها الآن العلم والفائدة وحيث كان هؤلاء يمتلكون أقوى وسائل التأثير فى الجمهور فهم قادرون على تنفيذ أغراضهم * وهذا على ما أرى تفسير التباين الغريب بين الفكرة الوطنية

وجميع الافكار التى استحدثت فى العالم المسيحى *

﴿٣﴾

الوطنية من حيث انها شعور الفرد بمحبة وطنه فقط ومن حيث انها مبدأ يقضى باهتمام الانسان وبذل أملاكه ونفسه فى سبيل حماية الضعفاء من ابناء وطنه من القتل وانتهاك الحرم ودفع عادية الاعداء هي أرقى فكرة فى العصور الخالية وقت ان كانت كل أمة تعد الاغارة على غيرها وسفك الدماء واقتراف الفظائع لمصلحتها الشخصية أمراً هينا عادلا الا ان الامم منذ ألفى عام أخذوا يدركون فكرة الاخاء الانسانى التى دعا اليها أعظم مظهر لحكمتها البالغة فتدرجت هذه الفكرة فى الارتقاء بمرور الزمان الى ان بلغت ما بلغته الآن وأصبحت تتحقق من وجوه شتى *

الناس فى زماننا هذا مرتبطون ببعضهم ارتباطا شديداً بفضل سهولة طرق المواصلات ووحدة الصناعة والتجارة والفنون والعلوم وقد أدى ذلك الى زوال الخطر من شن الغارات والمذابح والفظائع التى كانت

ترتكبها الامم المتجاورة فأصبحت الشعوب (لا الحكومات) متآخية ومرتبطة بروابط الصداقة والتجارة والصناعة والعلم كارهة كل ما يعكر صفوها ويفصم عراها فكان ينبغى لذلك ان عاطفة الوطنية القديمة العديمة الجدوى الآن والتى لا تلائم ما وصل اليه تآخي الناس على اختلاف أممهم تضمحل سريعاً بل تنعدم كلية الا ان الحاصل خلاف ذلك اذ الوطنية بالرغم من بقائها فى عالم الوجود تزداد شدتها وتتقد نيرانها

اننا نرى الشعوب بلا دليل معقول وبدون نظر لمصلحتها ورأيها تتحمس لحكوماتها اذا ما هاجمت أمما اخرى واستولت عليها ودافعت بالقوة عما اغتصبته منها بل نراها تحرض حكوماتها على ذلك كله وتسر من عملها هذا وتفتخر به فتضطر الامم الصغيرة التى وقعت فريسة الحكومات العظيمة كالبولونيين والارلنديين والبوهيميين والفنلنديين والارمن أن ينهضوا لمعارضة وطنية الفاتحين التى هي سبب البغى عليهم بما يسرى فيهم من عدواها التى اصبحت ضارة

ولا معنى لها ويتعلقون بوطنيتهم ايضاً تعلقاً شديداً وتراهم مع تألمهم من وطنية الامم القوية يتحفزون لارتكاب ما يتألمون منه * وهذا راجع الى ان الطبقات الحاكمة (التى تشمل الحكام وموظفيهم وجميع المتمتعين بمراكز عالية كالمولين والصحفيين والفنيين والعلماء) تستبقى مراكزها المثمرة بالنسبة الى طبقات العمال بواسطة نظام الحكومة المعتمد على الوطنية * ولما كان هؤلاء لديهم اقوى وسائل التأثير فى الناس تراهم ينمون شعور الوطنية فى انفسهم وغيرهم بجد وهمة ولاسيما الشعور المؤيد لسلطة الحكومة لانتفاعهم منها انتفاعا عظيما وبقدر وطنية الموظف يكون نجاحه وترقيه فى وظيفته وكذلك يرتقى الجندى فى زمن الحرب اذ الحرب متسببة عن الوطنية *

الوطنية والحرب المتسببة عنها تكسب الصحافة وكثيراً من فروع التجارة أموالاً طائلة وكل محرر ومدرس آمن فى منصبه مادام يخطب فى موضوع الوطنية ويحبذها وكل امبراطور وملك ينال من

الشهرة وبعد الصيت بقدر شغفه بها وانهماكه فيها

الطبقات الحاكمة بيدها الجيوش والاموال والمدارس والكنائس والمطابع وفى المدارس يضرمون نيران الوطنية فى افئدة التلاميذ بطريق القصص التاريخية التى تضيف كل مفخرة الى شعبهم وتزعم انه خير الشعوب وان الحق فى جانبه دواماً أما الرجال فيلقنونهم الوطنية بالتمثيل والاعياد والآثار القديمة والصحافة ويتحككون بالشعوب الاخرى ويرتكبون كل ما من شأنه اثارة العداوة والبغضاء فى النفوس ثم يحرضون شعبهم ضدها * وقد بلغ ذلك الشعور المزعج بالوطنية مبلغا عظيما فى الشعوب الاوربية وازدادت حدته ازدياداً شديدا فى زماننا بحيث لا يتصور مجاوزتها أصلاً *

﴿ ٤ ﴾

قد وقعت حادثة لا نزال نذكرها لحداثة عهدها وهى تظهر بوضوح مقدار النشوة الغريبة التى سرت فى العالم المسيحى من جراء الوطنية وهى ان الطبقات

الحاكمة فى المانيا أثارت الحمية الوطنية فى نفوس الاهلين بدرجة عظيمة حتى أفضى ذلك الى عرض قانون للتجنيد العام فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يقضى بتجنيد كل الابناء والآباء والازواج والعلماء ورجال الدين وتدريبهم على اساليب القتل وخضوعهم لاكابر الجيش وقتل من يؤمرون بقتله من الامم المظلومة هذا وشعبهم ينتصر لهم حتى اباؤهم واخوانهم والذى أصدر هذا القانون هو أشد الملوك جرأة الا وهو غليوم الثانى فامتثل الشعب الالمانى بعامل الوطنية هذا العمل الشنيع المهين للاحساس الشريف بلاتذمر فأدى ذلك الى تغلبهم على الفرنسيين فازدادت الحمية الوطنية فى المانيا ودب دبيبها فى فرنسا وروسيا وسائر دول اوربا فخضعت جميعها بلا معارضة ماعدا الجزر البريطانية لقانون الخدمة العسكرية الاجبارية اعنى انها خضعت لرق أخبث من الرق القديم * ثم لم تقف وقاحة الحكومات وقسوتها وجنونها عند هذا الحد بل تنازعت لاغتصاب ممالك آسيا وأفريقيا وأمريكا

مسوقة بعوامل الهوى والصلف والجشع وأعقب ذلك تفاقم سوء الظن والعداوة بينها وصاروا يعتبرون ما ينال الامم المقهورة من الخراب والدمار أمراً عادياً ويهتمون بالبحث عن شىء واحد فقط وهى أى حكومة لها أن تستولى على أرض الغير وتبيد سكانه *

ان جميع الحكومات لاتسىء الى الامم المقهورة وتظلمها فقط بل يتعدى بعضها على بعض وترتكب جرائم الغش والغدر والرشوة والخداع والتجسس والسرقة والقتل ومع هذا ترى الاهالى يشجعونها على ذلك كله ويبتهجون اذا كانت حكومتهم لاغيرها هى المرتكبة لامثال هاتيك الجرائم * وقد بلغت العداوة بين مختلفى الشعوب والحكومات فى الايام الاخيرة مبلغا عظيما جدا حتى علم كل انسان ان الحكومات طراً تقف بلا سبب معقول ناشبة أظفارها مكشرة انيابها رجاء ان تخور قوى احداهن فتفترسها الاخرى وتمزقها شر ممزق بلا كبير عناء ومخاطرة *

وقد انحطت الامم المسيحية بالوطنية الى اسفل

مدارك الوحشية فأصبح سكان أوربا وأمريكا حتى
غير المجبرين على الحرب يودون المذابح ويسرون للقتل
ومع انهم مقيمون فى ديارهم آمنون فى أوطانهم بعيدون
عن كل خطر شأنهم عند نشوب كل حرب (بفضل
سهولة المواصلات والجرائد شأن الرومانيين المتفرجين
على المصارعة الذين كانوا يبتهجون للذبح ويصيحون
صيحة الظمآن لسفك الدماء مشيرين بالاجهاز على
المهزوم وليس الرجال هم الذين يسرون فقط بل الاطفال
الطاهرون الابرياء من الآثام يسرون أيضاً تبعاً
لجنسيتهم عندما يبلغهم ان عدد المصابين بالقنابل
الف انجليزى أو ترنسفالى لا سبعمائة وانى أعلم من
الآباء من يحض ابناءه على مثل هذه الوحشية * وليت
ذلك كل ما فى الامر اذ الزيادة فى جيش اى أمة بداعى
الخوف من الخطر يدعو الاخرى الى زيادة جيشها
واثارة روح الوطنية فى نفوس أهلها وهذا يؤدى الى
زيادة أخرى فى جيش الامة الاولى وهكذا ويحدث
ذلك أيضاً فى الحصون والاساطيل فاذا أنشأت احدى

الحكومات عشر مدرعات أنشأت جارتها احدى
عشرة مدرعة فتضطر الاولى الى انشاء اثنتى عشرة
وهكذا الى مالا نهاية له *

يتوعد الاشقياء من الاطفال أو السكارى أو
الحيوانات بعضهم بعضاً عند المشاجرة بالقرص
والضرب على الرأس والطعن بالخنجر والضرب بالهراوة
والرصاص وهذا مايحدث بين نواب أرقى
الحكومات الدستورية الذين أخذوا
على عاتقهم تعليم الامة وتهذيبها

* ٥ *

ان الحالة تزداد سوأ والعالم سائر الى هوة سحيقة
وقد اخفقت الطريقة التى حسبها بعض السذج انها
نافعة لخلاص الناس مما هم فيه وأعنى بها مؤتمر لاهاى
اذ قد اعقبته الحرب بين الانجليز والترنسفال واذا
كان قصار النظر الذين يحكمون على الاشياء بظواهرها
يعتقدون ان محاكم التحكيم الدولية تبطل الحروب
وتضع حدا للزيادة المطردة فى التسليح فان مؤتمر

لاهاى وحرب الترنسفال التى اعقبته ـ لدليل ساطع على فساد اعتقادهم واستحالة حل المشكلة بهذه الطريقة وقد تبين بعد مؤتمر لاهاى انه مادامت الحكومة وجيوشها موجودة يستحيل ابطال التسليح والحروب فلا يمكن أن يكون الاتفاق نافذ المفعول الا اذا وثقت الدول بعضها ببعض ولا توجد الثقة الا اذا ألقت السلاح كما يفعل النواب عند ما يتقابلون فى المؤتمر ومادامت الثقة معدومة من الدول فلا ينحل الجيش ولا ينقص بل يتزايد على الدوام وتترقب كل دولة حركات جيوش الامم المتاخمة بما لها من الجواسيس خشية أن ينتهز غيرها الفرص السانحة لمهاجمتها فعلى ذلك كل اتفاق محال وكل مؤتمر اما ان يكون صادرا عن غباوة وحماقة أو مضيعة للوقت أو خداعاً أو فضولا واما ان يكون شاملا للجميع *

كان الاخلق بروسيا دون سائر الحكومات ان تكون خارجة عن مؤتمر لاهاى اذ ليس فيها من يجترىء على رد جميع مظاهرها وقراراتها الكاذبة

وقد ساءت حال الحكومة الروسية جدا فأعوزت الاهالى وأثقلت كواهلهم بالضرائب للتسليح وضيقت الخناق على بولندا ونهبت التركستان والصين وبينما هى مهتمة بمضايقة فنلندا اذ رأيناها تقترح على الحكومات نزع السلاح بكل جسارة كى يوثق بقولها ومن الغرابة والوقاحة صدور هذا الاقتراح فى نفس الوقت الذى صدرت فيه الاوامر بزيادة جيش روسيا ولم يكد يذع هذا الاقتراح حتى قبلته الحكومات الاخرى حيث لم يكن فى وسعهم رفض المفاوضة فيه لظهورهم بمظهر المسالم وان كان فى ذلك من الرياء والخداع مافيه فتلاقى المندوبون وهم يعلمون سابقا ان لا نتيجة لعملهم وظلوا عدة أسابيع يتقاضون فيها مرتبات ضخمة ومع انهم كانوا يضحكون سراً ويستهزئون كانوا يزعمون انهم بذلوا الجهد لتوطيد دعائم السلم بين الامم *

ومع ان مؤتمر لاهاى أعقبه نشوب الحرب الترنسفالية العبوس التى جرت فيها الدماء أنهاراً دون أن يحاول أحد إخمادها فقد أفادنا فائدة وان لم تكن

مقصودة من انعقاد المؤتمر فانها أظهرت للناس ظهوراً تاماً ان الآفات التى يكابدها العالم لا يرجى شفاؤها على يد الحكومات وانها لو ارادت نزع السلاح أو ابطال الحروب لما استطاعت الى ذلك سبيلا *

ان الذى يبرر وجود الحكومات هو الدفاع عن الشعوب ولكن لا شعب يبغى التعدى على غيره والحكومات لا تصبو الى السلم لانها تستنفد وسعها لاثارة غضب الامم عليها ثم تستفز وطنية شعبها وتؤكد لهم أن الخطر محدق بهم * وان لا مناص عن حمايتهم وحيث كانت السلطة فى قبضتها كانت قادرة على أن توغر صدور غيرها من الامم وتبث روح الوطنية فى شعبها وليس فى وسعها غير ذلك لتوقف وجودها على سلوك هذا السبيل *

كانت الحكومات فى الايام الغابرة قائمة بحماية رعاياها من المغيرين أما الآن فهى تتفنن فى تعكير صفو السلام وبذر بذور العداوة بين الامم ليقوى سلطانها ويدوم حكمها * ألا ترى ان الحرث ضرورى

للبذر ولكن الحكمة تقضى أن يكون قبل البذر لا بعده اذ لو كان بعده لكان مضراً وهذا نفس ما تفعله

الحكومات فى تعديها على اتحاد الشعوب الذى لا هادم له سواها *

﴿ ٦ ﴾

ما هى الحكومات التى لولاها لم يعش الناس *

ربما أتى على الناس زمن كانت الحكومات فيه ضرورية وكانت معونتها واجبة عليهم لدفع غارات الامم الاخرى ولكن الحكومات أصبحت الآن غير ضرورية بل أشد خطراً من جميع المخاوف التى تروع بها الاهالى *

ليس فى وسع الحكومات لا الحربية فقط بل الحكومات على العموم ان تكون على الاقل غير ضارة (ولا أقول نافعة) ان هى تألفت من قوم طاهرين متدينين كما هو ثابت فى معتقدات الصينيين فى الوجهة النظرية لان طبيعة اعمال الحكومات تدعوها الى اتخاذ الشدة والعنف لانها تتألف دائما

من عناصر مناقضة للطهارة - من أناس غاية فى العتو والفساد فالحكومة ولا سيما التى تعتمد على سلطتها الحربية هى أشد النظامات خطراً (١)

اذا أطلقت كلمة الحكومة واندرج فيها أصحاب رؤوس الاموال والجرائد لم تخرج عن كونها نظاما يجعل السواد الاعظم من الناس تحت سيطرة فئة قليلة وهذه الفئة خاضعة لفئة أقل منها وهكذا حتى يؤول الامر الى أفراد معدودين أو الى فرد واحد يتحكم فى الناس بالقوة العسكرية فهذا النظام بأجمعه يشبه مخروطا جميع أجزائه تحت سيطرة اولئك الافراد أو ذلك الفرد المتعلى الذروة * ان قمة المخروط فى قبضة اولئك الافراد أو ذلك الفرد وهم أشد مكراً وقحة وصلابة من سائر الناس وقد يغلى ذلك المركز وارث لاولئك الذين كانوا متصفين بهذه الصفات *

قد يكون المستولى اليوم (بوريس جودنوف)

---

(١) لاشك ان الحكومات العادلة ضرورية ونافعة لنظام البشر ويجب اطاعتها (مترجم)

وغداً (جريجورى أوتريبيف) - اليوم كاترين الفاسدة التى قتلت زوجها هى وعشاقها وغداً بوجاتشف وبولص المجنون ونيقولا الاول واسكندر الثالث - اليوم نابليون وغداً واحد من أسرة بوربون أو أورلين أو بولانجير أو شركة بناما - اليوم غلادستون وغدا سالسبورى أو شمبرلين أو رودس . وتعطى لمثل هذه الحكومات السلطة الواسعة لا على الملكية والارواح فقط بل على الاصلاح الخلقى والدينى والتعليم وارشاد كل انسان *

الناس هم الذين ينشئون هذه الآلة الرهيبة ويخولون السلطة للقابض عليها ويخضعون له خضوع العبد لمولاه (وبالصدفة لا يكون القابضون عليها الا أسوأ الناس خلقا) ثم مع ذلك يستغربون صدور السيئات منهم ويخشون الفوضويين والقنابل ولا يخشون هذا النظام الفظيع الذى ينذرهم على الدوام بأشد المحن والرزايا *

رأى الناس فيما مضى ان الارتباط خير لهم لمقاومة أعدائهم كما قيد الشراكسة أرجلهم عندما حاصرهم عدوهم

بيد أن الناس لا يزالون موثقين بعضهم حتى بعد زوال كل خطر عنهم . انهم يقيدون انفسهم كى يتسنى لانسان واحد ان يجعلهم تحت رحمته ثم يلقون طرف الحبل الذى يتقيدون به فيقبض عليه بعض السفهاء أو المجانين ويتصرف بهم كيف شاء ويضربهم كما أراد . حقا هذا ما يفعله الناس عند خضوعهم واحتفاظهم بالحكومة النظامية والحربية *

(٧)

لا يلزم لانقاذ الناس من آفات التسليح والحروب الفظيعة الآخذة فى الازدياد عقد المؤتمرات أو المفاوضات الرسمية أو المحالفات أو محاكم التحكيم بل يكفى لذلك هدم آلات الجور المسماة بالحكومة التى ينجم عنها أعظم الآفات الانسانية وللقضاء على جور الحكومة يجب على الناس أن يفهموا أن العاطفة الوطنية التى تشد أزر الجور عاطفة خشنة مخزية مضرة مفسدة للآداب أما انها خشنة فلانها لا تلائم غير طبيعة أحط الناس خلقا وهم الذين يتوقعون ان تقترف

الامم من الفظائع مثل ما يتحفزون لاقترافه واما انها مخزية فلانها تصير المرء عبدا بل تجعله كالديك المضارب أو الثور أو المصارع الذى يبذل جهده ويضيع عمره فيما لا يعنيه بل يعنى حكومته * واما انها مضرة فلانها تفصم عرى السلم فى الامم وتعكر صفوها وتضر بمصالحها وينشأ عنها ذلك النظام الذى يديره شر الناس * أما انها مفسدة للآداب فلا نهابد لا من أن تجعله يعتقد بانه عبد الله أو حر يسير بحسب رأيه تحمله على الاعتراف بانه ابن وطنه وعبد حكومته وعلى ارتكاب ما يخالف رأيه ويناقض ضميره ووجدانه *

اذا فهم الناس هذا انحل من تلقاء نفسه بلا نزاع وجهاد ذلك الرباط الذى يقيدنا جميعا الا وهو الحكومة وزالت الآفات والمساوىء التى تنشأ عنها وقد شرع الناس أخيراً يدركون ذلك فكتب أمريكى ما نصه : *

« اننا معاشر المزارعين والمهندسين والتجار والصناع والمدرسين لا نبغي سوى الانتفاع من وراء أعمالنا . ان أوطاننا ملك لنا ونحب اصدقاءنا وأهلنا

ولا تتداخل فى شؤون الامم الاجنبية . ان لنا عملا
نؤديه ونبغى السعي والكد فاتركونا وحدنا بيد أن
هؤلاء الساسة لايدعوننا وشأننا . انهم يصرون على
تولى امورنا ويتعيشون من كدنا ويفرضون الضرائب
علينا ويأكلون من مواردنا ويجندوننا ويأخذون
أولادنا الى حروبهم . ان ألوف الناس الذين يتعيشون
من الحكومة يعتمدون على الضرائب ولكى تفلح
الحكومة فى جبايتها منا تحافظ على الجيوش وتزعم
ان الحاجة داعية اليها لحماية المملكة وماذلك الامجرد
خداع وزعم باطل لان الحكومة الفرنسية توقع
الرعب في نفوس الفرنسيين مدعية ان الالمان متحفزون
للانقضاض عليهم ويدعى الروسيون انهم يخافون
الانجليز والانجليز انهم يخشون كل انسان وقد قيل لنا
الا ن في امريكا انه يجب علينا ان نقوى أسطولنا
ونزيد جيشنا اذ قد يأتى زمن تتحزب فيه اوربا علينا
فهذا خداع ومين . ان المخلصين فى فرنسا والمانيا
وانجلترا يمقتون الحرب فاتركونا وشأننا وكذلك

الازواج والزوجات والابناء والاباء والشبان والكهول
لايريدون الذهاب الى الحرب ولا القتال . اننا مسالمون
ونخشى الحرب ونكرهها ونحب اطاعة الاوامر
الالهية *

ان الحرب تنشأ عن وجود رجال مسلحين
والمملكة التى تحتفظ بجيش عرمرم لابد أن تحارب يوما
ما كما ان الرجل الذى يباهى بالضرب واللكم لابد
أن يلقى يوما من يرى نفسه متفوقا عنه فى القوة
الجسمية فيتصارعان ويتلاكمان . فكل ماتروم ألمانيا
وفرنسا ان ترى كل منهما ايتهما اشد شكيمة من
الاخرى وقد تحاربت الدولتان مرارا وسيتحاربان
ثانيا لا لان الاهالى يريدون ذلك بل لان الطبقة
العليا تخيفهم وتثير غضبهم وتحملهم على الاعتقاد بضرورة
الحرب لحماية أوطانهم *

ان الذين يحبون اتباع تعاليم المسيح لايجوزون
ارتكاب مثل هذا العمل الا أن الحكومة تجبى الضرائب
منهم وتمتهنهم وتخدعهم . المسيح يحثنا على الاتصاف

بالتواضع والحلم والعفو عن الاعداء ويعد القتل جرما والانجيل ينهى عن الحلف لكن الطبقة العليا تحلفنا بالانجيل الذى لا تصدق به *

فكيف الخلاص من هؤلاء الشرهين العاطلين الذين يرتدون الجوخ الازرق ويتحلون بالازرار النحاسية والاسلحة الحربية الثمينة ويتعيشون من مواردنا ونفاح الارض لاجلهم ؟ هل نقاتلهم ؟ اننا نبغض سفك الدماء ومع ذلك لديهم المدافع والاموال وهم أكثر منا صبراً على القتال . لكن ممن يتألف هذا الجيش الذى يؤمر باطلاق النار علينا ؟ ان جيراننا اخواننا مخدوعون فهم يظنون انهم بالدفاع عن أوطانهم وحمايتها من الاعداء انما يؤدون فرضا دينيا والحقيقة ان مملكتنا لا أعداء لها غير الطبقة العليا التى تزعم انها تهتم بمصالحنا اذا نحن أطعناها ورضينا بجباية الضرائب وبذلك يمتصون مواردنا ويسخرون اخواننا لاخضاعنا واذلالنا *

انك لا تستطيع ان ترسل تلغرافا الى زوجتك أو طرداً الى صديقك أو تحويلا الى البقال الا اذا دفعت

الضريبة للمحافظة على الجنود الذين يستخدمون فى الحال لقتلك أو حبسك ان امتنعت من دفعها *

لا منقذ للناس الا التعليم . علموهم أن القتل خطيئة . علموهم الحكمة الالهية البالغة اهزأوا بالطبقة العليا وانتم ساكنون . لا تكترثوا لرصاصهم ولا تعضدوا الخطباء الداعين الى الحرب والوطنية وادعوهم الى العمل مثلنا . اننا نعتقد بالمسيح وهم لا يعتقدون به وقد فاه المسيح بما يعتقدون هم لا يفوهون الا بما يرضى الطبقة العليا . اننا لا نتجند ولا نطلق الرصاص حسب أمرهم ولا نطعن الظرفاء والمتأدبين بالحراب ولا نحارب الرعاة والمزارعين الاولى يذودون عن حياضهم بناء على ايعاز سسل رودس * ان صياحكم الكاذب « الذئب ! الذئب ! » لم نعد نخشاه بعد اننا ندفع الضرائب لا نتاجبرون على دفعها ولكنا لا ندفع أكثر مما دفعناه . لا ندفع الضرائب الخاصة بالعاطلين فى الكنيسة ولا العشور ولا الصدقات الصورية الكاذبة وسنصرح بافكارنا كلما سنحت لنا الفرصة ونعلم الناس فيؤثر فيهم صمتنا

وسكوتنا الى ان تفتر عزائم الجنود أنفسهم ويعرضوا
عن الحرب وسنلقن الناس تعاليم المسيح التى تؤثر
السلم والخير على الخصام وسفك الدماء والحرب.
لا يستتب السلم فى الارض الا اذا صرف الناس الجنود
وأبطلوا الحرب وأحبوا لغيرهم ما يحبونه لانفسهم »

هذا ما كتبه كاتب أمريكى فى الولايات المتحدة
وقد كتب كثير غيره بأساليب شتى فى ممالك أخرى
واليك ما كتبه جندى ألمانى : *

« شهدت غزوتين مع الحرس البروسى فى عامى
١٨٦٦ ، ١٨٧٠ فمقت الحرب من صميم فؤادى لانها
كانت سببا فى تعسى وسوء حالى . إننا معاشر الجرحى
لا نحصل الا على مكافأة حقيرة حتى ليستحى الواحد
منا أن يذكر أنه كان وطنيا يوما ما فانى مثلا اتقاضى
تسعة بنسات فى اليوم نظير ما أصابنى فى ذراعى اليمنى
فى موقعة سانت پريفا فى ١٨ أغسطس سنة ١٨٧٠
مع أن كلاب الصيد ينالهم أكثر من هذا الاجر وقد
تالمت عدة سنوات من ذراعى التى جرحت مرتين

وفى عام ١٨٦٦ اشتركت فى الحرب ضد النمسا
وقاتلت فى تروتنو وكوينجراتز فرأيت من المخاوف
والاهوال ما رأيت ثم استدعيت للحرب مرة أخرى
فى عام ١٨٧٠ فجرحت كما قلت فى غزوة سانت پريفا
وأصبت فى ذراعى اليمنى مرتين بالطول فاضطررت الى
ترك عملى فى أحد معامل الجعة ثم لم استطع الاشتغال فيه
ثانيا اذ كنت قد عجزت عن المشى على قدمى فزالت
سكرة الوطنية ولم يبق لذلك المجروح شىء فى الدنيا
سوى المحافظة على حياتى والمعيشة عيشة المتسول الذى
يستحق الشفقة والاحسان سداً لرمقه *

لست ابالى فى هذه الدنيا التى يتسابق الناس فيها
كالحيوانات المروضة طلباً للغنى أن يقال عنى اننى
أحرف الكلام عن مواضعه * اننى أشعر بحب السلام
الذى عبر عنه المسيح أبلغ تعبير فى موعظته على الجبل
واعتقد اعتقاداً جازما بان الحرب تجارة واسعة النطاق
تجارة تبذل فيها سعادة الناس من أجل الطمع والقوة
أى أهوال لم نتكبدها من الحرب * اننى لن أنس تلك

التأوهات الشديدة المؤلمة التى سمعتها* الناس فى الحرب يفترس بعضهم بعضا كالحيوانات المتوحشة بلا ضغن قديم وعداء سابق ويدعون الله كى يشد أزرهم كأنه حليف لهم فى فعالهم *

قد أصيب جندى كان يحارب بجوارى برصاصة فى فكه فكسرته فأطار الألم لبه وجرى كالمجنون وكانت الشمس وقتئذ محرقة فلم يجد ماء يسكن به حرارة جرحه البليغ وكتب قائدنا ولى العهد الذى صار الامبراطور فردريك فيما بعد فى مذكراته (الحرب ازدراء بالاناجيل) « من ذلك ترى أن الناس أخذوا

يدركون معنى الوطنية الخادعة التى
تبذل الحكومات جهدها
للمحافظة عليها *

﴿ ٨ ﴾

يتساءل الناس عادة ما الذى يقوم مقام الحكومات بعد الغائها ؟ » فنقول لاشىء ان أمراً تبين عدم جدواه وضرره منذ زمن طويل يجب إبطاله كما يجب استئصال

عضو أصبح ضاراً ولا ترجى فائدته *

لكنهم يقولون « لولا الحكومات لتقاتل الناس واعتدى بعضهم على بعض » ولم ذلك ؟ لماذا ينشأ التعدى والقتل عن الغاء نظام قام على دعائم الشدة والعنف وتناقله الناس من جيل الى جيل لاقتراف المظالم وأصبح اليوم عديم الفائدة ؟ . انى أرى بالعكس ان الغاء آلة الشدة ينشأ عنه امتناع العالم من استعمال العنف وارتكاب القتل . أما الآن فمن الناس من يتعلم تعليما خاصاً بقصد ارتكاب القتل والجور ومنهم من يظن ان له الحق فى استعمال العنف ويتخذ النظام الحالى سلماً لذلك الغرض ومع ذلك تعد هذه الاعمال خيرية وفاضلة فى نظرهم *

فاذا الغى هذا النظام الغي ذلك التعليم أيضاً ولم يوجد أحد ينتحل لنفسه حق ارتكاب المظالم وحيث كان الناس فى عصرنا هذا يعدون ارتكاب الجور والقتل إثماً فلا تميز اذن بين فرد وآخر فى ارتكابه ولئن كان اقتراف الجور سيظل باقياً بعد الغاء

الحكومات فانه بلا شك سينقص عما هو الآن اذ النظام قائم بالاخص على اقتراف الشدة ثم توجد أمور شتى تبرر الجور والقتل وتعده من الفضائل والاعمال النافعة *

ان الغاء الحكومات يخلصنا من نظام لاحاجة اليه توارثناه منذ عهد بعيد لاجتراح المظالم وتبريرها لكن الذين يرومون خلط الاعمال الاجتماعية بمظالم الحكومة يقولون انك بذلك تبطل القوانين والملكية ومحاكم العدل ورجال الشرطة والتعليم العام فنقول ان الغاء نظام الحكومة المؤسس على الشدة لايبطل من الاعمال ماهو معقول ونافع وغير مؤسس على الشدة كقوانين المحاكم والملكية ونظامات البوليس والتدبيرات المالية والتعليم العام بل اننا نرى بالعكس ان الغاء سلطة الحكومة الغشومة التي لا حاجة اليها الا لمعونتها وشد ازرها يمهد السبيل الى ايجاد نظام عادل معقول لايلتجأ فيه الى العنف * وحيث كانت هذه الاعمال ضرورية للناس فانها تبقى على ان تزول

منها السيئات الحالية ولذا لاينمحي سوى ما كان سيئا ومانعا لحرية التعبير عن الضمير * ولو فرضنا حصول قلاقل ومنازعات أهلية فان حالة الناس على العموم ستكون أحسن مما هي عليه الآن اذ من الصعب أن يتصور الانسان حالة أردأ من تلك *

قد هلك الناس وأصبحوا عبيداً يسخرون للحروب ينتظرون الاوامر من يوم لآخر للذهاب الى ساحة الوغى كي يقتلوا أو يقتلوا *

هل هؤلاء التعساء يموتون جوعا ؟ نعم فان المجاعات أخذت تتفشى في روسيا وايطاليا والهند . وهل تتجند النساء كالرجال ؟ نعم فقد بدأ ذلك في الترنسفال ولهذا اذا فهم بعضهم من فقد ان الحكومة الفوضى مع انه فهم بعيد عن الصواب وعن المعنى المراد فان الفوضى نفسها لاتكون أسوأ من حالة الحكومات التي تورد الناس موارد الحتف والدمار فلامشاحة في أن تحرير العالم من الوطنية واستبداد الحكومة لايكون الا في مصلحة الانسانية *

﴿ ٩ ﴾

تنبهوا أيها الناس وتدبروا ما أنتم فاعلون حباً فى مصلحتكم المادية والادبية واكراماً لاخوتكم واخوانكم ، انعموا النظر ملياً يتجل لكم أن أعداءكم ليسوا بالترنسفاليين أو الانجليز أو الفرنسيين أو الالمان أو الفنلنديين أو الروسيين بل أنتم أعداء أنفسكم واعلموا انكم بتمسككم بالوطنية تحافظون على الحكومات التى تبغي عليكم وتجرعكم كؤوس الشقاء *

أخذت الحكومات على عاتقها حمايتكم من الخطر ولكن قد بلغ بها أمر تلك الحماية الكاذبة مبلغاً عظيما حتى استخدمتكم جنوداً وعبيداً فحاق بكم الهلاك والدمار وينتظر من آن لآخر انقطاع العلائق وحدوث مذبحة هائلة يقتل فيها الآباء والابناء ومهما عظم شأن تلك المذبحة وكيفما كانت عاقبتها فان الحالة ستظل على ما هي عليه وتجند الحكومات الجيوش بالكيفية السابقة نفسها بل قد تبالغ فى التجنيد وتضللكم وتضلل أبناءكم ثم لا يوجد من يعاونكم على توقيف ذلك العمل ومنعه

مالم تعاونوا أنفسكم *

الطريقة الوحيدة لتقديم المعونة لانفسكم تتوقف على حل ذلك الارتباط الجائر المخروطي الشكل الذى يمكن الفرد أو الافراد الفائزين بالاستيلاء على ناصيته من التسلط على سائر الناس بمنتهى القسوة والقسوة والتوحش كما شاهدنا ذلك فى نابليون ونيقولا الاول وبسمارك وشمبرلين ورودس وقياصرة الروس والطريقة لحل هذا الارتباط هى محو تأثير الوطنية *

واعلموا ان جميع الآفات التى تقاسونها تنجم عن انقيادكم الى أفكار القياصرة والملوك وأعضاء البرلمان والحكام والضباط والمهولين والقسيسين والمؤلفين وأرباب الفنون وجميع الذين يحتاجون الى تغريركم بالوطنية للاستفادة من وراء ذلك واعلموا أيضاً سواء أكنتم فرنسيين أم روسيين أم بولنديين أم انجليز أم ارلنديين أم بوهيميين أن جميع مسراتكم ولذاتكم ومصالحكم الحقيقية زراعية كانت أو صناعية أو تجارية أو فنية أو علمية لا تناقض مصالح غيركم من الشعوب

وانكم مرتبطون معهم بالتعاون والمنافع والمحبة الاخوية
وتبادل البضائع والافكار والعواطف وان استيلاء
حكومتكم أوغيرها على واى هاى واى أو پورت أثر
أو كوبا أمر لا يعنيكم فضلا عن ان مثل هذا الاستيلاء
الذى تباشره حكومتكم يضربكم لانه يؤدى حتما إلى
ازدياد الضغط عليكم بسبب اجباركم على الاشتراك فى
السرقة والشدة اللتين لا يتم فتح البلاد أو المحافظة عليها
بعد الفتح الا بهما وافهموا انكم لا تكونون أحسن
حالا اذا بقيت الالزاس ألمانية أوصارت فرنسية أو
اذا تحررت ارلندا أو بولندا أو لم تتحرر وسواء كان
المستولى عليها هذا أم ذاك فان لكم الخيار فى أن تعيشوا
أنى شئتم حتى لو كنتم الزاسيين أو ارلنديين أو بولنديين
وانكم بيث عاطفة الوطنية واثارتها فى النفوس انما تزيدون
الحالة سوأ لان ما أصاب الامم من الخضوع منشؤه
تنازع الوطنيات فكل مظهر من مظاهرها فى احدى
الامم يوجد ما ينازعه فى الامم الاخرى وعلى ذلك
لا يتأتى انقاذكم من المصائب والآفات الا بالاعراض

عن فكرة الوطنية والكف عن اطاعة الحكومات
التى تعتمد على هذه الفكرة وبتمسككم بذلك المبدأ
السامى الا وهو الرابطة الاخوية التى تطالبكم بالتعلق
بها منذ القدم * فاذا فهم الناس انهم ليسوا أبناء هذا الوطن
ولا غيره بل هم ابناء الله وعملوا بمقتضى ذلك بطل الرق
وانمحت العداوة وألغيت تلك النظامات المختلفة التافهة
البالية المؤذية وزال الظلم والخضوع
وارتكاب الجرائم

(٣)

* الاشتراكية الحكومية والمسيحية *

يجب الارعواء عن الترف اذ رؤوس الاموال
والاختراعات والسيطرة مادامت موجهة نحو مالا
تمس الضرورة اليه لا يمكن نجاز عمل من الاعمال ولكى
يتيسر لنا ان نقف على ماهو ضرورى للجمهور يجب
علينا أن نسبر غور كل شىء ونتأهب لنبذ جميع ما أحدثته
مدنيتنا من التحسينات فان ذلك خير لنا من اقتفاء تلك
المظالم التى هى علة مصائبنا *

انى اذا كنت مخلصاً فى حب أخى لا أتردد فى حرمان نفسى من قاعة استقبالى لآويه عند ما يصبح بلا مأوى غير اننا مع رغبتنا فى ايواء أخينا نشترط مع ذلك ان تبقى قاعة الاستقبال مفتوحة للزائرين فيجب علينا أن نقرر أحد أمرين إما أن نخدم الله وإما أن نخدم المال اذ لا يتأتى خدمتهما جميعا فاذا خدمنا الله وجب علينا أن نأخذ أهبتنا لاجتناب الترف والمدنية فى هذه الايام ونستعملهما فى المستقبل استعمالا عادلا للمصلحة العامة *

ان أنفع نظام اجتماعى (اقتصادى أو غير اقتصادى) هو ذلك الذى يجعل كل انسان يفكر فى المصلحة العامة ويبذل جهده لخير الناس كافة فاذا انتهج الجميع هذه المحجة نالوا أعظم نفع وأجل خير . وأضر نظام للجمهور (اقتصادى أو غير اقتصادى) هو ذلك الذى لا يكد الانسان فيه الا لنفسه ولا يثق الا بها ولا يتوكل الا عليها فلو تفشت هذه الحالة وتقطعت روابط الاسر واستقل كل عضو من اعضائها بنفسه

لتعذرت المعيشة على الناس فيما أظن وما دام الناس لا يتوقون الى المصلحة العامة كان كل واحد منهم يسعى وراء مصلحته الشخصية بما يضر غيره ولكن هذه الحالة باطلة لان القوى سرعان ما تخور من النزاع والخصام وقد يتغلب بطبيعة الحال رجل على فئة من الناس ويسخرهم لخدمته فتكون النتيجة الانتفاع من متاعب الغير وهضم حقوق الفرد لكن أمثال هذه الجماعات يتجلى فيها عدم المساواة والبغى لذلك يسعى الناس للحصول على المساواة (بواسطة تأليف جمعيات التعاون والاشتراكية مثلا) وعلى الحرية (بالمطالبة بالحقوق السياسية مثلا) *

المساواة تؤدى على الدوام الى تعطيل العمل فاذا اتبعت فى اعطاء الاجور صار أرقى العمال مساويا لاحطهم واذا قسمت الاشياء التى يستعملها الانسان على هذا النمط لم ينل أحد شيئاً أكثر أو أحسن من سواه كذلك الحال فى تجزئة الاراضى بالتساوى اذ كانت سببا فى تقسيمها الى قطع صغيرة وهذا يعود على الناس

بالخسارة والضرر والمطالبة بالحقوق السياسية للخلاص من المظالم تؤدى الى الهيجان والعدوان ولهذا لم تفلح جميع المساعي التى بذلت للحصول على المساواة والخلاص من الجور مع ان توحيد الناس واخضاعهم بحكم الفرد آخذ فى الازدياد تدريجا *

ان تجمع العمل نافع جدا لكن عدم المساواة يؤدى الى الاعتصاب والثورة . فما العمل اذا ؟ العمل الفردى غير مجد وعمل المجتمع نافع جدا والجور وعدم المساواة فى غاية الفظاعة فالاشتراكيون يرومون منع الظلم والحيف بتقسيم رؤوس الاموال على الجنس البشرى وبذلك تصير ملكا مشاعا لكن الناس لا يرون الضرورة ماسة لذلك الآن ، هذا من جهة ومن جهة اخرى يتعسر وجود ناس يخلصون فى خدمة المصلحة العامة ويقسمون رؤوس الاموال على العالم من غير أن ينتفعوا بسلطتهم المعطاة لهم ويرتكبوا الظلم والحيف *

هذه مشكلة تعترض العالم فى سبيله وليس له

ازاءها الا أحد أمرين إما أن يأبى التقدم من طريق الاعانة فى العمل فيصيبه من التأخر اكثر مما يصيبه من الحيف والظلم واما أن يسلم ان لا مناص عن الظلم ولا مفر من بذل النفوس عند التنازع كما لا مفر من تطاير الشظايا عند تكسير الخشب وان التنازع سنة البشر *

والحقيقة ان هذا الرأى تعضده فئة من الذين يرونه ويتمسكون به لكن يوجد ما يعارضه وهو رأى الساخطين المظلومين الذين يرفعون أصواتهم ناقمين محتجين داعين الى اتباع المسيح وعمل الخير ومراعاة الصدق وهذا غير معترف به لدينا اللهم الا فى الرسميات

الطفل يدرك أن الخير الجزيل يعود على الناس طراً اذا اهتم كل فرد بالمصلحة العامة وعد نفسه عضواً من جسم المجتمع الانسانى لكن حيث كان لا يمكن اخراج هذا من حيز الفكر الى حيز العمل لامتناع الاطلاع على السرائر والتسلط على الضمائر وهداية الناس كافة فضلا عن ان ذلك يستلزم وقتاً طويلاً

فليس هناك سوى طريق آخر وهو المعاونة فى العمل
الناشىء عن اذلال الاقلية للاكثرية وكتم الحيف عن
الذين أجحفوا بحقوقهم واتقاء حملتهم واحتجاجهم ومديد
المعونة المظلومين وهذا هو مايحصل الآن لكن تجمع
رؤوس الاموال آخذ فى الازدياد كما أن الحيف آخذ
فى الاشتداد هذا ومدارك الناس في ارتقاء مستمر
بانتشار التعليم وقد أصبح الحيف وعدم المساواة أكثر
وضوحاً مما سلف للمظلومين والظالمين *

فالاستمرار في هذا الطريق أصبح مستحيلا
فالذين لاينعمون الفكر ولاينظرون الى النتيجة المنطقية
يقترحون علاجات خيالية تتضمن تفهيم الناس ضرورة
النقابات لنيل أعظم فائدة ممكنة وهذا محال اذ لو
كان الغرض مجرد الفائدة العظمي لبذل كل جهده
للحصول عليها لشخصه بحسب نظامات المولين فلا
ثمرة لهذه المساعى غير الكلام بلا طائل *

ان خير نظام يعود على الناس بالفائدة لايتحقق
اذا جعل كل فرد مصلحته المادية نصب عينيه بل يتحقق

اذا كان غرض الجميع النفع بغض الطرف عن السعادة
الدنيوية وقال كل انسان فى نفسه بارك الله في الفقراء
بارك الله فى الباكين والمظلومين وسعى للفائدة الادبية
لا المادية وتنازل عن سعادته . وهاك مثل واضح .
قوم يسكنون معاً فهم لو نظموا شؤونهم ونظفوا
نفوسهم لما اشتغل كل منهم الا قليلا للمحافظة على
النظافة العامة لكن ما الذى يعمله شخص يبغى المحافظة
على نظافة المكان اذا اتكل كل على غيره ؟ لابد ان
يشتغل للجميع ويلوث نفسه بالاقذار فان لم يفعل ذلك
وراعى نظافة نفسه فقط لم ينل بغيته . نعم ان من السهل
أن يأمر المرء غيره لكن أين من فى قدرته ذلك ؟

فلم يبق والحالة هذه الا طريق واحد وهو أن
يعمل الانسان للمصلحة العامة * وفى الحقيقة حيث كان
الناس جميعاً فى هذه الدنيا يعملون لانفسهم فلا يجدى
الانسان أن يخصص جزأ قليلا من عمله بل يجب أن
يهب نفسه للخدمة العامة وهذا نفس مايوده المهتدون
بهدى المسيح * العدالة الالهية فى الارض لا يمكن

تحقيقها بواسطة سطوة الحكومات الحالية أو بالثورة والاشتراكية الحكومية أو بالوسائل التى ينشرها خطباء الاشتراكية المسيحية ايقاظاً للهمم وتعميماً لدعوتهم ان الانسان مادام قاصراً همه على مصلحته الشخصية لا يستطيع أحد أن يمنع نفسه من بذل الجهد لشخصه تلبية لنداء الداعين الى النفع العام فى حين انه يحصل على نصيبه * لا أحد يفعل ذلك (أولا) لانه يستحيل وجود نقطة العدل التام اذ الناس دائما يبالغون فى مطالبهم (وثانياً) لانا ان فرضنا امكان وجود المطالب العادلة نرى ان الانسان لا يقدم الطلب العادل فقط لعلمه بانه لن يحصل عليه بل يحصل على ما هو أقل منه كثيراً ان مطالب الذين حوله منتظمة بواسطة الفائدة الشخصية لا بالعدالة فمن الواضح ان الاولى لكل فرد على حدته أن يحصل على الفائدة المادية بطريق المناقشة والمنازعة كما هو الواقع الآن بدلا من أن يحصل عليها بالمطالب العادلة *

فلكى يبلغ الناس مطالبهم العادلة مع كدهم وراء

مصالحهم الشخصية ينبغى وجود قوم قادرين على تعيين الارزاق الدنيوية لينال كل نصيبه العادل وتكون لهم سلطة يستطيعون بها منع أى انسان من الانتفاع باكثر من نصيبه *

نعم قد وجد فى كل زمان قوم أخذوا على عاتقهم القيام بهذين الواجبين وهم الحكام الا انه لم يوجد الى وقتنا هذا رجال فى الممالك أو الجمهوريات لم يتعدوا حدود القانون ويؤثروا أنفسهم وأعوانهم على غيرهم فى تعيين الارزاق وتوزيعها وبذلك أفسدوا العمل الذى عهد اليهم القيام به ولهذا أقر الناس جميعاً ببطلان هذه الوسيلة وشرع قوم فى هذه الايام يقولون بضرورة الغاء هذه الحكومات وتأسيس حكومات أخرى تعترف بان الارض والاموال مشاعة بين الناس وتدبير المسائل الاقتصادية خصوصا وتقدر الاتعاب وتوزع الفائدة الناتجة من الارض على الناس بحسب كدهم أو كما يقول البعض بحسب حاجاتهم بيد ان جميع المساعى الموجهة الى تحقيق هذا النوع من النظام قد أخفقت

ومع هذا يستطيع الانسان أن يجزم من غير الالتجاء الى المساعى والتجارب بان هذا النظام لا يمكن تحقيقه مادام الناس يكدون وراء مصالحهم الشخصية اذ الذين سيتولون ادارة الاعمال الاقتصادية هم افراد من هؤلاء يعملون لمصالحهم الشخصية ويتعاملون مع قوم على شاكلتهم فلابد ان يراعو مصالحهم عند وضع وتنفيذ النظام الاقتصادى الحديث كسلفهم وبذا يفسد العمل الذى عهد اليهم اداؤه *

سيقول بعضهم « تخيروا العقلاء والمخلصين » لكن لا يختار العقلاء والمخلصين الا العقلاء والمخلصون ولو كان الناس كافة كذلك لما بقيت حاجة الى نظام ما ومن ثم يتضح للجميع استحالة مذهب الاشتراكيين الثوريين وهم أنفسهم قد يعلمون ذلك * وهذا هو السبب فى ان مذهبهم لم يصادف نجاحا للآن *

ولنبحث الآن فى نوع ثالث من التعاليم وهو الاشتراكية المسيحية التى تعتمد على نشر الدعوة لتهذيب النفوس والتأثير فى الناس لكن لا فلاح

لهذه التعاليم الا اذا كان الناس جميعا سواء فى اعتقادهم بفوائد الاشتراك فى العمل وهذا غير متأت فالنظام الاقتصادى المؤسس على التضامن لا على التنافس والتنازع لا يمكن تحقيقه أصلا ومادام الناس لا يسعون الا وراء مصالحهم الشخصية لا يوجد نظام يليق بهم خير من النظام الحالى *

الخطأ الذى يرتكبه الداعون الى الاشتراكية المسيحية هو أنهم يأخذون من الاناجيل خلاصة عملية فى النفع العام وهذا ليس هو الغرض الذى ترمى اليه الاناجيل لانها انما ترمى الى التثبت من صحة الوسائل . الاناجيل ترينا طريق الحياة حتى اذا تقدمنا فى هذا الطريق فقد نبلغ الفائدة المادية ولا جرم انها تنال ولكنها ليست هي المقصودة بالذات اذ لو كان الغرض من تعاليم الانجيل الاقتصار على درك الفائدة المادية لاستحال ادراكها *

ان الغرض أسمى من ذلك وهو نجاة الروح وسعادتها وأعنى بالروح ذلك العنصر الالهى المودع

في الانسان * وسعادة هـذا العنصر لا تنال الا بنبذ المصلحة الذاتية والفائدة المادية وهذا انما يكون بالسعى وراء مصلحة الاخوان بالمحبة فبهذه الوسيلة يرفل الجميع فى حلل السعادة فاذا سعى الانسان للمصلحة الشخصية فقط ضاعت المصلحتان الشخصية والعامة واذا انكر المصلحة الذاتية نال المصلحتين كلتيهما *

النظامات الاجتماعية التى يتصور تشييدها ثلاثة (أولها) أن تقوم فئة من خير الناس بسن قانون يكفل للجميع أعظم قسط من السعادة ويعهد الى الحكومة بتنفيذه ولكن قد جرب هذا النظام فكانت نتيجته ان الذين تولوا تنفيذ القوانين أساؤهم وأعوانهم استعمال السلطة التى بأيديهم وجاروا فى احكامهم . (ثانيها) أن يستغنى عن السلطة ويترك كل انسان يسعى لمصلحته الشخصية وبذا تتحقق العدالة الا أن هـذا النظام لا يفلح لسببين الاول ان السلطة لم تلغ بعد والناس يرون استحالة الغائها لان الحكومة اذا لم تستعمل سلطتها فلم تلق القبض على السارق الذى لا

يكف عن السرقة اقترفت المظالم وارتكبت الجرائم واذا استعملت سلطتها كان الناس متفاوتين لان بعضهم أقوى من بعض بل بعضهم يتخذ السلطة سلاحاً يستعين به على التغلب على الغير *

السبب الثانى ان نال أحد أقل نفع والناس فى كفاحهم الدائم لمصلحتهم الشخصية فان هـذا النفع يعود عليه مضاعفاً فتنعدم المساواة حتماً *

(ثالثها) أن يدرك الناس فائدة العمل للمصلحة العامة ويسعوا جميعا لتحقيقها وهذا هو الملائم للدين وليست هناك عقبات فى سبيل تحقيق هذه النظرية سواء وجدت الحكومة ورأس المال والنظام الحالى بأسره أو لم توجد فلابد من بلوغ الغرض اذا ارتقى نظر الناس فى الحياة ثم لا حاجة الى نص بعينه للشروع فى تحقيق هذا الغرض لان كل من يسعى الى الفائدة المادية يكون عوناً لها فاذا سار الحال على هذا المنوال عرفنا شيئاً عن حياة الناس * يقول الاشتراكيون « لا ضرورة تقضى علينا نحن المتنعمين الرافلين فى بحبوحة المدنية والعمران

بان نحرم من هذه النعم ونهوى الى حضيض العوام
مع انه ينبغي رفع مستوى المحرومين من الفوائد المادية
كى يبلغوا شأونا ويشاركونا فى المدنية ولا سبيل الى
بلوغ هذا الغرض الا العلم الذى يرشدنا الى استخدام
الطبيعة وتذليلها والانتفاع بها انتفاعا عظيما فقد يمكن
استخدام الكهرباء للانتفاع بشلالات نياجارا أو بالانهار
أو الرياح ويمكن استخدام الشمس وغيرها فتكثر
المنافع وتعم الناس كافة. أما الآن فلا يستفيد من خيرات
المدنية الا قليل من الناس والسواد الاعظم محروم منها
انكم لو أكثرتم الخيرات لاكتفى الناس جميعاً »

فنقول ان الاغنياء وذوى النفوذ يستهلكون
كل ماحصلوه لزمهم أو لم يلزمهم فاكثار المنافع اذن
لايجدى لاستيلاء الطبقة العالية عليهم *

ان الانسان لا يتجاوز حدا معينا فى استهلاك
ما يحتاج اليه من الضروريات ولكن لاحد للكماليات
مثال ذلك اعطاء ألوف من بوشلات الخبز للخيل
والكلاب وتخصيص ملايين الافدنة للبساتين وما

شا كل ذلك مما هو حاصل الآن . فكل انتاج أوغنى
مهما زادت قيمته يعد قليلا بجانب مطالب الطبقة
الفقيرة مادامت الطبقة العالية تنفق مازاد على حاجاتها
الضرورية فى الكماليات على ان زيادة الانتاج والقدرة
على تذليل قوى الطبيعة مما يقوى سلطة الطبقات العالية
على العمال *

كل مجهود يرمى الى حمل الاغنياء على تقسيم
ثروتهم للطبقات الدنيا بواسطة الثورات والاعتصابات
يسبب الشقاق والخصام وضياع الاموال من غير
طائل وكل واحد من الفئات المعارضة يقول « الاولى
ان لاينال أحد شيئا مادمت لاأملك شيئا » *

ان تذليل الطبيعة والاكثار من مواد الثروة
حتى تفيض على بنى آدم وينال كل امرىء قسطه عمل
غير مطابق المعقل وهو كالاكثار من الخشب فى الموقد
بقصد زيادة الحرارة فى منزل ليس فى مواقده لوالب
لمنع الهواء فانك مهما زدت الوقود فان الهواء البارد
الذى يسخن يتصاعد ويحل محله هواء بارد غيره فعلى

هـذا لا يدفأ البيت بل يبقى الحال على هذا المنوال مادام الهواء البارد متواصلا وبقى للحرارة مخرج *

يصعب علينا أن نقول أى علاج من الثلاثة التى أصفها أشد سخفا من غيره الا أن جميعها سخيف *

﴿العلاج الاول﴾ وهو علاج الثوريين يتضمن القضاء على الطبقات العالية التى تستهلك الثروة كلها هذا كرجل يكسر مدخنة تخرج منها الحرارة ظنا منه أن كسرها يحفظ الحرارة وفاته انها تخرج من الثقب كما كانت تخرج من المدخنة نفسها ما دام التيار هو هو وهكذا شأن الثروة فانها تنتقل الى ذوى السلطة مادام للسلطة وجود

﴿العلاج الثانى﴾ وهو الذى يروم غليوم الثانى اجراءه فى هذه الايام أن يؤخذ من الطبقات العالية ذوى الثروة والسلطة جزء صغير من المال ويلقى به فى هاوية الفاقة التى لا قرار لها وهذا كمن يضع على فمة المدخنة التى تمر منها الحرارة مراوح تدفعها للنزول الى الطبقات الباردة وهـذا العمل عسير غير مجـد اذ مهما حاول الانسان طرد الحرارة الى الداخل فانه لا يستطيع منعها

كلية من الصعود وبذا يذهب الجهد سدى *

﴿العلاج الثالث﴾ وهو آخـذ فى الانتشار الآن خصوصا فى أمريكا ان تستبدل الاصول المبنية على التنافس والفردية بجمعيات التعاون . والقائلون بهذا العلاج القاضى بنشر التعاون قولا وفعلا يؤكدون لنا ان التنافس والفردية والمباراة توهن القوى وتضر الثروة ضررا بليغا وان النفع كل النفع فى اتباع مبدأ التعاون أى أن كل فرد يعمل لفائدة المجموع ثم ينال نصيبه من الثروة العامة وهذا يعود بأجزل نفع على كل انسان

كل هذا فى غاية الحسن الاان الانسان يعلم مقدار ما يناله عند تقسيم المال على الجميع بالتساوى ثم مهما كان نصيب الفرد عظيما فانه يلوح صغيرا للذين اعتادوا المعيشة فى الحالة الحاضرة *

« سيصبح الجميع فى سعة ويتمتع كل بما يتمتع به غيره » لكنى لا أبغى أن أعيش كسائر الناس بل أبغى أن أكون أسعد حالا منهم وقد كنت خيرا من سواى واعتدت هذه الحالة منذ نشأتى » — « أما أنا فقد

طال شقائى وأرجو أن أعيش كغيرى ؟ *

هذا الحل هو أسوأ الجميع اذ لا يتصور تطبيقه فى زمن أصبح فيه كل انسان يعمل مافى وسعه لفائدته الشخصية . ان فى الامكان منع ذرات الهواء من الارتفاع بالنسبة الى الحرارة فالوسيلة الوحيدة هي ان يقف الناس على سعادتهم الحقيقية ويبين لهم ان الثروة ليست نقمة فقط بل حائلة دون السعادة أيضا فهذا وحده هو الذى يوزع الحرارة توزيعا متساويا لكنه يخالف آراء الاشتراكيين وأقوالهم لانهم يحاولون زيادة الانتاج والثروة العامة *

(٤)

* الفوضى *

القائلون بالفوضى مصيبون فى كل شىء . مصيبون فى انكارهم النظام الحالى وفى التأكيد بانه لا يتأتى وجود جور أشد مما هو موجود الآن فى عهد السلطات الحالية لكنهم مخطئون فى ظنهم ان الفوضى لا تقوم الا على الثورة مع أن وجودها يتحقق بكثرة

عدد الراغبين عن حماية الحكومة بمالها من السلطة وهم الذين يخجلون من تطبيق هذه السلطة *

« ان أعمال الممولين ونظمهم ستنتقل الى أيدى العمال فيرتفع عنهم الجور والحيف فى توزيع المكاسب »

« لكن من يقوم بالاعمال ومن يدير العمال ؟ »

« ستسير من نفسها وينظم العمال كل شىء بأنفسهم »

لكن نظام الممولين تأسس بسبب الحاجة الى أفراد يديرون الاعمال بمالهم من السلطة * وحيث وجدت السلطة وجد من يسىء استعمالها وهو ما تسعون لازالته *

يقولون كيف يكون الحال بلا حكومة ومحاكم وجيوش الخ ؟ وهذا سؤال لا يمكن الاجابة عليه لما فيه من الخطأ فى الوضع وليست المسألة كيفية تنظيم بعد هذا النمط الحالى أو بعد نمط جديد . ان الاجابة على هذا ليس من شأنى ولا من شأن غيرى . لكننا نجيب حتما على ما يأتى : *

ماذا أعمل ازاء المشكلة التى تعرض لى ؟ هل انقاد

لضميرى فيما يحدث حولى ؟ هل أذيع موافقتى للحكومة التى تشنق المخطئين وترسل الجيوش لقتل الشعوب وافساد آدابها وأخلاقها بالافيون والمسكرات وما شاكل ذلك أوأجعل أعمالى وفق ضميرى فلا أشترك فى اجراءات الحكومة التى تناقض أفكارى أماماذا تكون نتيجة ذلك وأى نوع من الحكومات يتشكل فلا أعلم منه شيئا وذلك ليس لانى لا أريد أن أعلم بل لان هذا ليس فى وسعى *

انى اعرف انه لاينجم أى ضرر عن اتباع الحكمة والمحبة أومحبة الحكمة الراسخة فى نفسى كما انى اعرف انه لاينجم أى ضرر عن تأدية النحلة لعملها بمقتضى الطبيعية بان تنطلق من الخلية طائرة مع سرب بها . غريزتها هذا ما أكسب تعاليم المسيح قوة لالانه إله أو رجل عظيم بل لان تعاليمه لا تدحض والفضل فى ذلك راجع الى انه جعل الشك والوهم يقينا

« أنت تعلم أيها الانسان ان العقل والشفقة من خير مناقبك وانك ستموت وتقبر عاجلا أو آجلا

فاذا كان في الوجود اله فانك لا محالة راحل اليه وسيحاسبك على أعمالك ويسألك هل اتبعت أوامره واجتنبت نواهيه وعملت بما غرسه فيك من حميد الصفات أولا وان لم يكن هناك اله وجب عليك أن تعتبر العقل والمحبة خير صفاتك وتجعل أهواءك طوعاً لهما ولاتسخرهما لشهواتك ولحطام الدنيا *

انى أكرر أن المسألة ليست هل خير للناس وآمن لهم أن تحميهم الاساحة والمدافع والمشانق أو أن يظلوا بلا هذه الحماية بل المسألة الوحيدة التى لا غناء للناس عنها هى : *

« أتشترك أيها الانسان الفانى فى قتل المخطئين أو قتل أبناء الامم الاخرى ؟ أم تعمل على ابادة الامم التى يسمونها متوحشة ؟ هل تشترك فى اضعاف النسل بالافيون والمسكرات بقصد الفائدة ؟ هل تشترك فى جميع هذه الاعمال أو توافق على من يأذنون بها أو تنأى عنها » ؟

ان الذين تعرض عليهم هذه الاسئلة لا يجيبون

عنها الاجوابا واحدا فقط . أما ماذا تكون نتيجة ذلك فلا علم لى به وليس من شأنى أن أعلمه لكنى أعلم يقينا ما ينبغي فعله فان سألتنى عما يحدث أجبتك لا يحدث الا كل خير لاننى أسير بمقتضى العقل والمحبة والشرائع السامية *

ان مركز السواد الاعظم من المهذبين المهتدين بهدى الاخاء الصحيح فى غاية الحرج بالنظر الى دهاء الغاصبين وحيلهم التى يديرونها وليس لهم الا مخرجان أولهما القضاء على الجور بالجور والارهاب والديناميت والخناجر كما يقدم على ارتكابه النيهيليست والفوضويون عندنا للقضاء على مؤامرات الحكومات ضد الشعوب وثانيهما الاتفاق مع الحكومات والاذعان لها والاشتراك فى أعمالها للتوصل بذلك الى حل الاشراك التى قيدت الناس واطلاق سراحهم الاان كلا المخرجين مغلق أما المخرج الاول فلان التجارب قد دلتنا على ان استعمال الديناميت والخناجر يحدث رد فعل ويعود على أعظم قوة بالدمار والتلف فليس لدينا غير الرأى العام

وأما المخرج الثانى فلان الحكومات عرفت الى أى حد تسمح للمصلحين بالتداخل والاشتراك فى شؤونها فلا تقبل الا اصلاحات عرضية وتتأثر من كل ما يهدد كيانها تأثراً شديدا *

ورجال الحكومات انما يقبلون الذين لا يعارضونهم فى آرائهم ويرومون اصلاحا لفائدة الحكومة وفائدتهم الشخصية *

ان هؤلاء المصلحين خطر على الحكومة اذا ظلوا خارجها وشقوا عصا الطاعة على رجالها واستعانوا بالرأى العام الذى تتخذه الحكومات آلة لمآربها ولكون الحكومات تخشى الرأى العام نراها تسعى لاجتذاب المصلحين اليها وتستخدمهم كى تأمن جانبهم وتنفذ أغراضها وأعنى بتنفيذ أغراضها اذلال المجموع وامتهانه وحيث كان المخرجان مغلقين باحكام فما الذي نفعله اذن ؟

ان استعمال الشدة ينشأ عنه رد فعل والانضمام الى الحكومة يستحيل ان يأتى بالفائدة لان الانسان

يكون آلة لها فاذن لم يبق غير طريق واحد وهو محاربة الحكومة بالافكار والاقوال والافعال والحمية من غير خضوع لها وانضمام اليها كى لا تزيد قوتها . هذا هو العمل الذى لابد أن يكلل بالنجاح وهو المطابق لارادة الله تعالي ولتعاليم المسيح *

قلنا ان العاقل الخير لا يستطيع الاشتراك فى الحكومة فاذا كان فى انجلترا لا يوافق على الملكية ولا على ما يقترفه أصحاب المعامل والممولون ولا يقبل نظام حكومة الهند ولا الجلد بالسياط والاتجار بالافيون واستئصال شعوب افريقيا والحروب والتأهب لها *

لو قال الانسان « لا علم لى بكنه الحكومات وسبب وجودها ولا أريد أن أعلم شيئا من ذلك » لكان قوله مقبولا ولا يعترض عليه ويجب على الناس فى زماننا التمسك بهذه الخير الانسانية وتقدمها *

« انى أعلم ما يمليه عليه ضميرى أما أنتم معاشر المشتغلين فى الحكومة فحسنوا نظامها بقدر ما

يمكنكم حتى تلائم ضمائر الناس فى زماننا » *

لكن الناس يعدلون عن هذا الطريق القويم ويلجأون الى اصلاح أعمال الحكومة فيفقدون مالهم من قوة ويعترفون بضرورة الحكومة وهذا يؤدى الى أضعاف مركزهم المنيع *

﴿ ٥ ﴾

﴿ ثلاث طرق للاصلاح ﴾

يوجد ثلاث طرق لتحسين حالة العمال وتوطيد دعائم الاخاء بين الناس *

الاول ـ ان لا يشتغل الناس لكم وان لا يطلب منهم ذلك بحال من الاحوال وأن تكفوا عن طلب كل ما يستلزم عملا زائدا عن حاجتكم كالكماليات *

الثانى ـ أن تؤدوا لانفسكم وان استطعتم لغيركم من الاعمال ما كان شاقا ومملا *

الثالث ـ أن تدرسوا قوانين الطبيعة وتخترعوا اساليب لتسهيل العمل ـ الآلات . البخار . الكهرباء ويجب أن يخترع الانسان الضرورى فقط لا الكمالى

بقصد تسهيل العمل على الغير أو العمل الذى يباشره
الانسان بنفسه غير أن الناس يشتغلون فى الوقت الحاضر
بالوسيلة الثالثة فقط وهم مع ذلك يخطئون فيها لانهم
ينأون عن الثانية ولا يريدون اتباع الاولى بل يصمون
آذانهم عند سماع النداء اليها *

ان تهذيب الاخلاق هو الانقلاب الذى يعول
عليه ولا يعلم أحد كيف يحدث هذا الانقلاب فى العالم
وان كان كل منا يشعر به فى نفسه ومع هذا نجد كل
انسان يفكر فى تغيير الجنس البشرى واصلاحه ولا
يفكر فى اصلاح نفسه فترى الناس يلغون العبودية
وحق امتلاك العبيد لكنهم يثابرون على تغيير إزيائهم
من غير داع ويسكنون فى منازل واسعة تشمل
عشرة غرف ويتخذون خمسة ألوان من
الطعام فى العشاء ويركبون العربات الخ
فهل يمكن التمتع بهذا كله لولا
وجود العبيد ؟ هذا محال
ولكن الناس لا يعلمون

﴿ الدين ﴾

(١)

﴿ نبذ فى الدين ﴾

﴿ ١ ﴾

ان الآفة التى يتألم الناس منها ناشئة عن ان السواد
الاعظم قد ترك الدين الهادى الى سواء السبيل ولست
اعنى بالدين ما اشتمل على الاعتقاد بالمذاهب واقامة الشعائر
الى غير ذلك بل أعنى به ذلك الذى يوجد الرابطة بين
المرء وبارئه تعالى ويهدى الناس طراً وينير بصائرهم
فى أعمالهم والذى لولاه لاصبح الناس فى مصاف
العجماوات بل أحط منها مرتبة *

هذه الآفة هى التى تقود الناس حتما الى مهاوى
الهلاك قد نجات فى زماننا بنوع من القوة وذلك لانهم
لما أضاعوا الهداية وقصروا جميع مجهوداتهم على
الاكتشافات والاصلاحات ولاسيما الصناعية تمكنوا
من اكتساب قوة فائقة على تذليل الطبيعة لاستخدامها
فى شهواتهم البهيمية وما مثل التاركين للدين القادرين

على تذليل قوى الطبيعة الا كمثل أطفال اعطوا بارود اً
أو غازا منفجراً للهو به فاذا فكرنا فى هذه القوى التى
أحرزها الناس فى عصرنا وفى طريقة استخدامها
شعرنا بانه لاحق لهم فى الانتفاع بالسكك الحديدية
والبخار والكهرباء والتليفونات والفتوغراف
والتلغرافات اللاسلكية بالنظر الى المنزلة التى وصلوا
اليها فى الاخلاق والآداب بل لاحق لهم فى استعمال
الفنون السهلة لصنع الحديد والصلب لان جميع هذه
الاصلاحات والفنون تستخدم لشهواتهم ومسراتهم
وفجورهم وابادة بعضهم بعضا . فما العمل اذن ؟ هل
ننبذ هذه الاصلاحات كلها ونهمل القوة التى
أحرزها العالم ؟ هل ننسى ما تعلمناه ؟ ان هذا محال اذ
مهما ساء استعمال هذه المواهب الكسبية فانها لاتزال
مقتنيات لايمكن نسيانها هل نغير الروابط التى ارتبطت
بها الامم منذ أجيال انقضت ونوجد روابط أخرى
جديدة ؟ هل ننشىء نظامات حديثة تمنع الاقلية من
خداع الاكثرية وتسخيرها هل ننشر العلم ؟ اننا لم

ندخر وسعا فى اختبار هذه الاصلاحات الا انها اصلاحات
خيالية مضطربة تصرف المرء عن ان يأخذ الحيطة عما
فيه هلاكه وخسرانه فقد تغيرت حدود الممالك وتبدلت
النظامات وانتشرت المعارف ولكن مع هذا كله لايزال
الناس كالوحوش متأهبة لتمزيق بضعها إرباً إرباً أو
كالعبيد كما كانوا لانهم لا يسترشدون بالدين بل
بالاهواء والنظريات والمؤثرات الخارجية *

الانسان إما ان يكون عبداً لأخس الناس خلقا
أو خادماً لله عز وجل ولاسبيل للخلاص الا اذا وافقت
ارادة الانسان ارادة الله تعالى . والتاركون للدين
الصحيح بعضهم ينكر الدين نفسه وبعضهم
يتخذ الامور الخارجية الباطلة ديناً له فيتبع
دواعى الشهوة والقوانين الوضعية
والتنويم المتبادل ولا منقذ لهؤلاء
مما هم فيه غير الدين الصحيح
واكثر الناس فى زماننا
بمعزل عنه *

﴿٢﴾

ان البلية التى يعانيها العالم المسيحى هي أنهم أضاعوا الدين حتى قدر بعض الذين نظروا فى وجوه الاختلاف بين الدين وماوصل اليه العالم فى زماننا من الرقى العقلى والعلمى أن لاضرورة تقضى بالتمسك بأى دين * هؤلاء يعيشون بلا دين ويظهرون للناس عدم فائدة الاديان على العموم وهناك طائفة يتمسكون ببعض مبادىء الدين السطحية التى لاتصلح للهداية ويعلمونها للناس وهؤلاء لادين لهم أيضاً ومع ذلك الدين الصالح لكل مطالب الحياة الحاضرة مشهور ولا يزال محفوظا فى قلوب العالم المسيحى فينبغى لاظهار هذا الدين ونشره أن يعترف المتعلمون وزعماء الجماعات بضرورته وعدم نيل الناس السعادة فى الحياة بدونه وعدم قيام مايسمونه علما مقامه أبداً ويجب على الذين يحثون الناس باتباع المبادىء القديمة الباطلة أن يفقهوا أن تلك المبادىء ليست من الدين فى شىء بل هي عقبة فى سبيل التمسك بالدين الصحيح الذى يخلصهم من المصائب والمحن فالوسيلة

الوحيدة التى تضمن خلاص العالم هي نزع كل مايحول فى صدورهم مما يحجب الدين الصحيح *

﴿٣﴾

يجب على أولئك الذين ينشرون الترهات والاباطيل تحت ستار المسيحية أن يعلموا أن جميع هذه العقائد وتناول الاسرار التى يؤيدونها ويذيعونها ليست غير مضرة كما يظنون بل مفسدة جداً لانها تخفى عن الناس لب الدين والعمل بمقتضى الارادة الآلهية والسعى لخير البرية وأن يدركوا أن القانون القائل أن يعمل الانسان لغيره مايحب أن يعمله الغير له ليس أحد فروض الدين المسيحى بل هو الدين العملى بأسره كما هو مذكور فى الاناجيل *

ولكي يقدر الناس فى زماننا معنى الحياة ويدركوا كنهها يجب على الذين يعتبرون أنفسهم مهذبين متعلمين أن لا يعلموا الابناء أن التدين ما هو الا وراثة قديمة واحياء لعهد الوحشية السالفة وان لا شىء يوصلهم الى السعادة غير نشر العلم ومسائله المختلفة وعلى الذين

يشغلون الناس قصدا أو عفوا بخرافات الكنيسة أن يكفوا عن ذلك ويقروا أن التعميد والقربان المقدس وتلقين العقائد ليست أمورا جوهرية فى الدين المسيحى وأن محبة الله ومحبة الجار والعمل بالقانون الالهى « اعمل لغيرك ماتحب أن يعمله الغير لك » هو ناموس الانبياء *

فاذا فهم المنتحلون للدين ورجال العلم هذه الحقائق السهلة الواضحة الضرورية وعلموها للاطفال والجهال كما يعلمون الآن نظرياتهم المعقدة المرتبكة التى لا حاجة اليها أدرك الناس معنى الحياة وعرفوا واجباتهم

﴿ ٤ ﴾

نعم ليس المجهود العظيم فى زماننا هو ما يبذل فى المناجم والقنابل والرصاص بل ما يبذل فى التهذيب الدينى الذى يسير الآن متردداً بين مدارك المتعلمين يرقب ظهور آثاره وبين الظلمة والاعباء الثقيلة التى تكتنف الناس وتضايقهم *

أليس من الواضح انه اذا كان هناك خلاص من

هذا المأزق لا يكون الا بالعمل بتعاليم المسيح ؟ انظروا أولا الى ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم »

هذا هو قانون الحياة فالانسان لا ينال المصلحة العملية اذا قصدها بالذات لانها عندئذ تتحول عنه بل ينالها اذا بذل جهده لاداء ما يعتقده حقاً أمام الله من غير أن يفكر فى المصلحة نفسها فهى اذا تنال عرضاً

الخلاص الوحيد للعالم هو أن يسلك كل فرد بمقتضى مشيئة الله ويحمل نفسه على الطاعة ويحث غيره على اقتفاء أثره وهذا هو العمل الذى يجب على كل انسان أن يوجه جميع مجهوداته نحوه *

(٢)

﴿ مطالب المحبة ﴾

(نبذة من مذكرات ليون تولستوى الخصوصية)

فكرت البارحة (٢٤ يونيه عام ١٨٩٣) : *

اذا فرضنا ان شخصين من المتيسرين (وبعبارة أوضح رجل وأمرأة وقد يكونان زوجا وزوجته أو أخا واخته او أبا وابنه أو أما وولدها) أقاما فى مدينة

وانغمسا فى رذيلة الدعة والترف وسط عمال فقراء مجدين فى العمل سعياً وراء الرزق ثم غادرا المدينة وتركا أموالهما وخصصا لانفسهما مبلغا من فائدة الاسهم والسندات يقدر بخمسة عشر جنيها سنويا وأقاما باحدى قرى روسيا مثلا يرتزقان من الاحتراف ببعض المهن كالنقش على الخزف الصينى أو ترجمة بعض الكتب النافعة فاستأجرا أو ابتاعا كوخا وزرعا قطعة أرض أو حديقة وتعهدا تربية النحل واشتغلا فوق ذلك بمداواة القرويين وتعليم الاطفال وتحرير الخطابات والعرائض للجيران بقدر معلوماتهما فقد يخيل للانسان ان هذه الحياة خير انواع الحياة لكنها مع ذلك تكون شقاء عليهما اذا تجنبا الرياء والكذب أعنى اذا أخلصا كل الأخلاص *

أن هذين الشخصين إذا كانا قد نبذا الفوائد والمسرات التى كانت تعود عليهما من سكنى المدينة والمال فانما فعلا ذلك لاعتبارهما الناس جميعا اخوانا متساوين أمام بارئهم وهم وان كانوا متفاوتين فى القوة

والكفاءة متساوون فى حقوقهم فى الحياة وثمراتها . وقد يرتاب الانسان فى تساوى الناس بالنظر الى اختلاف ماضيهم وتباين أفعالهم لكنه لا يرتاب إذا نظر اليهم نظره الى الاطفال *

لماذا نرى طفلا يعتنى بتربيته الجسمية والعقلية عناية فائقة وطفلا آخر جميل الصورة ويرجى له مستقبل زاهر قد قضى عليه بان ينشأ كسيحا مقعداً ضئيل الجسم قصير القامة لقلة اللبن والغذاء غير متعلم جافياً متأثراً بالخرافات لافرق بينه وبين الحيوان ؟

اذا ترك الناس سكنى المدينة وأقاموا بالقرية كالذين سلف ذكرهما فما ذلك إلا لاعتقادهم بالتآخي ورغبة منهم فى تحقيقه أو الشروع فى تحقيقه على الاقل فاذا أخلصوا فى عملهم فلا بد أن يصير مركزهم فى غاية الحرج *

فهذان اللذان هجرا المدينة مع ما شبا عليه من العادات التى ألفوها منذ عهد الطفولة أخذا يزيلان الحشرات التى كانت فى الكوخ بعد شرائه أو استئجاره

وربما غطياه بالورق ووضعا فيه بعض أمتعتهما الضرورية كسرير من حديد ودولاب ومكتبة وعلى هذا بدآ يعيشان هنالك إلا أن القرويين إجتنبوهما بادىء الامر ظانين انهما سيحذوان حذو غيرهما من الموسرين فى الدفاع عن مكاسبهما بالقوة فتحاشوا مطالبتهما والتوسل اليهما بأى شىء ولما وقفوا على ميولهما وسجاياهما وأظهرت لهم التجارب انهما يمدان يد المساعدة للمحتاجين من القرويين تطوعوا بخدمتهما وانهالت عليهما المطالب من كل جانب فشح ماليهما من القمح المخزون . ومع انهما كانا يعطيان ما عندهما للسائل والمحروم شعرا بسبب الاختلاط بالاهالى بضرورة إعطاء المعوزين كل مازاد عن حاجتهما ولما لم يكن فى الحقيقة حد لتعيين المتوسط الذى يبقى لهما كانا يبسطان أيديهما كلما سألهما سائل أو إشتكى اليهما فقير واذا ما بدالهما الاحتفاظ بشىء من اللبن جاءت امرأة والتمسته منهما لتغذية طفلين أحدهما رضيع لايجد فى ثديها لبناً ما والآخر يبلغ السنتين من عمره قد أشرف

على الموت جوعا وإذا كان لديهما وسادة وملاءة للنوم عليهما بعد الاشتغال طول النهار ألفيا مريضا فى حاجة اليهما ليتخلص من فراشه الممتلىء قملا ويتقى شر البرد القارص واذا كان عندهما شاى وطعام اضطرا الى اعطائه لغرباء طاعنين فى السن قد أنهكهم التعب فلما استمر الحال على ماتقدم لم يجدا خيرا من إخلاء الدار من كل شىء لكن صغار المتسولين كانوا يطرقونه فيأذنان لهم بالمبيت فيه وفى أثناء زيارتهما لاحد المرضى انتقل القمل اليهما فتولد وتكاثر *

فكيف وإلى أى حد يمتنع الانسان عن تقديم المعونة ؟ ان أولئك الذين يرون حدا للامتناع هم فى الحقيقة لا يشعرون بالاخاء الانسانى الذى حمل هذين الشخصين على سكنى القرية أو هم الذين اعتادوا الكذب حتى أصبحوا لا يميزون بينه وبين الصدق والحقيقة انه ليس هناك حد للامتناع فان وجد كان دليلا على أن الشعور الذى استفز هذين الشخصين الى العمل وهمى أو خيالى *

ولنعد الى ما كنا فيه و نتتبع حياة هذين الشخصين
في القرية فنقول انهما عادا بعد الاشتغال طول النهار
الى البيت ولما لم يبق لديهما فراش ولا وسادة افترشا
القش و ناما عليه بعد العشاء و بيناهما كذلك إذ هطل
مطر الخريف و تساقط الثلج فطرق الباب طارق فهل
يصرفانه ولا يفتحان الباب ؟ ان الطارق لا بد أن يكون
مبتلا محموما فماذا يعملان ؟ هل يعطيانه القش الجاف
ليس لديهما غير ما يفترشانه وعلى هذا إما أن يصرفا
الطارق وهو على هذه الحالة و يتركاه ينام على الارض
واما أن يعطياه نصف القش و يقتسما النصف الآخر
للتوم عليه *

لكن هذا ليس كل مافي الامر إذ قد يأتي سكير
فاجر اعتاد التوسل اليهما والسكر مما يأخذ منهما على
سبيل الاحسان وفكه يرتجف من شدة البرد فيطلب
ستة شلنات ليرد ما سرقه وسكربه والا سيق الى
السجن فان قالا له ليس لدينا غير ثمانية شلنات مطلوبة
منا في الصباح قال نعم انكما تتحدثان بفعل الخير

فاذا سئلتما كنتما كغيركما من الناس وها أنتما ذان
تؤثر ان هلاك أخيكما على احتمال بعض الآلام *

ما الذى تعمله أيها الانسان في هذه الاحوال؟
هل تدع المريض المحموم ينام على الارض المبتلة و تنام
أنت في مكان جاف ؟ انك اذا أذنت له بالرقاد بجانبك
وعلى فشك امتلأت قملا وأصبت بالتيفوس واذا اعطيت
السائل ستة شلنات لم تجد خبزا تأكله في الصباح
واذا امتنعت من ذلك كان امتناعك دليلا على ايثار
النفس واذا كنت تستطيع الوقوف عند هذا الحد
فلماذا لم تعجل بذلك ولماذا تعرضت لمعونة الناس
وتركت أملاكك وغادرت المدينة ؟

أين يعين الانسان الحد الفاصل ؟ لو كان حد
فاصل للعمل الذى تؤديه لما كان له معنى سوى الرياء
والنفاق . ان المواظبة على الاعطاء معناه فقد الحياة
والتعرض للقمل والجوع والموت . والتوقف معناه
الامتناع عن بذل الخير وهذا ليس فى الطاقة اذ
الاخاء ووجوب خدمة الناس ليس من مبتكرات

الانسان ولا من مبتكرات المسيح بل هو حقيقة ثابتة فاذا رسخت فى النفوس استحال انتزاعها . فما العمل اذن ؟ أفلا يوجد سبيل للخلاص ؟

لنفرض ان هذين الشخصين لم ترعهما ضرورة البذل التى أوردتهما موارد الموت فرأيا أن السبب فى حرج مركزهما ناشىء عن مساعدة القرويين بقليل من المال والمتاع اذ لو امتلكا مالا طائلا لاكثرا من فعل الخير وتحسن حالهما *

ولنفرض أنهما يجدان موارد للمال ويجمعان مبلغا عظيما لتقديم المساعدة للفقراء فانه لا تمضى عدة أسابيع حتى ينفد المال منهما وتعود الحالة الى ما كانت عليه *

فهل هناك طريقة ثالثة ؟ يزعم بعضهم ان هناك طريقة وهى تعليم المجموع وبه يزول التفاوت بين الناس الا أن هذه الفكرة أساسها الرياء والمداراة اذ لا يمكن تعليم قوم فى أشد الاحتياج الى القوت الضرورى وفضلا عن ذلك أن عدم اخلاص الناشرين

لهذه الفكرة واضح لان الذى يتوق الى تحقيق المساواة (ولو من طريق العلم) لا يستطيع أن يقضى حياة دعائمها الجور وعدم المساواة *

وهناك طريقة رابعة تخطر ببال جميع المخلصين الذين يحاولون طول حياتهم تحقيق فكرة التآخى وهى العمل على تلافى الاسباب التى نشأ عنها عدم المساواة أعنى القضاء على القوة التى أوجدته وذلك كأن يقول هذان اللذان ضربت المثل بهما :

« اننا اذا لم نستطع الاقامة بين القرويين بسبب حرج مركزنا من حيث التعرض للجوع والتأكل بالقمل والامراض الفتاكة ولا التنازل عن مبدئنا الادبى فى الحياة فما ذلك الا لان بعض الناس يخزن الاموال والبعض الآخر فى حاجة اليها وحيث كان عدم المساواة اساسه القوة وجب مكافحتها » *

وبالقضاء على القوة التى تنجم عنها العبودية يتيسر نفع الناس من غير أن يؤدى ذلك الى الموت حتما *

لكن كيف تقهر القوة ؟ وأين هى ؟ انها فى

الجنود وفى رجال الشرطة وفى موظفى الحكومة
وفى القفل الذى يوصد بابى فكيف أتغلب على القوة
وأين وفيم ؟ *

من هنا نشأ الثوريون وهم بالرغم من كونهم
يحافظون على حياتهم بمجرد القوة نراهم يكافحون هذه
القوة ويقاومون العنف بالعنف لكن المخلص يرى هذا
مستحيلا اذ مقاومة القوة بالقوة ما هو الا احلال
شدة حديثة محل شدة اخرى قديمة ومساعدة الفقراء
بتعليم قام على دعائم السلطة والقوة هى أيضا استبدال
شدة بأخرى وجمع المال المتحصل بالشدة وانفاقه لمساعدة
من كانت السطوة سببا فى فقرهم هو بمثابة دمل ما
اقترفته يد الشدة من الجراح بالشدة *

واذا عدنا الى الحالة التى فرضت فلم نأذن للمريض
بولوج الكوخ والنوم فى فراشنا وأبينا اعطاء السكير
ستة شلنات للاحتفاظ بها فان هذا أيضا استخدام للقوة *

فمقاومة القوة فى مجتمعنا تعرض محب الاخاء الى
بذل النفس والتأكل بالقمل ويجب فوق ذلك الاستمرار

على المقاومة بالحث على عدم استعمال الشدة وبالتنديد
على العنف واظهار المثل الصالح فى التضحية الى النهاية
فمركز المتمسك بالدين المسيحي من أحرج المراكز بالنظر
الى هذه الحياة المكتنفة بالعنف والشدة اذ ليس أمامه
سوى المكافحة والتضحية الى الابد فيجب على الانسان
ادراك البون الشاسع بين هؤلاء الملايين الذين يموتون
جوعا وأولئك الاغنياء المتلئة بطونهم المزدانة جسومهم
بالملابس الغالية ولابد لتقريب هذا البون من تضحية
كل مرتخص وغال وترك الرياء الذى به نخفى الحقائق
عن انفسنا . لا ننكر ان هذا العمل يستلزم قوة عظيمة
لكن الانسان لا يعدم وسيلة للحصول عليها متى بذل
نفسه فان أبينا ذلك فلنكن صادقين ولا نخدع أنفسنا
بادعاءات كاذبة ومع ذلك ليس القيام بهذا العمل فى
غاية الصعوبة اذ الاهوال التى نصادفها فى الحياة الدنيا
أصعب منه بمراحل والخطر الذى يصيبنا كالموت من
القمل والعدوى والعوز بعد مساعدة الناس بما بقى من
القوت الضرورى أقل ضرراً من القتل فى المناوشات

العسكرية والحراوب *

نعم يظهر أن القمل والخبز الاسود والفاقة بشعة مخيفة الا أن هذه الفاقة ليست سحيقة جدا ومثلنا فى الغالب مثل طفل بقي ممسكا بيديه طول الليل حافة بئر سقط فيها وقد أخذ الرعب منه كل مأخذ وتوهم انها بعيدة الغور كثيرة الماء مع أن المسافة بين رجليه وقاعها قدم واحد وليس للماء أثر فيها ومع ذلك لا يصح الاعتماد على ذلك القاع ويجب علينا أن نتأهب للسير في طريق الموت اذا الحب الصادق لا يعرف حداً للتضحية ولو أفضى الى الموت *

(٣)

﴿ لعقل والمحبة ﴾

يلزم من اتباع الاوامر الآلهية والعمل بمشيئته تعالى اجتماع أمرين . العقل والمحبة . الصدق والاستقامة ولابد أن يكون العقل هو المحبة أعنى مطمحه المحبة وتكون هي موافقة للعقل غير مخالفة له فمثال التخالف

فى الحالة الاولى الحركة العلمية الفكرية كالبحث عن المجرة ودقائق ماوراء الطبيعة والبحث عن الفن لمجرد الفن ومثال الحالة الثانية المحبة المنفردة كمحبة الانسان لامرأته أو محبته لاولاده أو وطنه لا لغرض روحى بل لغرض حيوانى *

أن ثمرة العقل الصدق وثمرة المحبة الاستقامة والصلاح ويشترط للحصول على الثمرة اتفاق العقل والمحبة جميعا *

فالاستقامة انما تنشأ عن محبة موافقة للعقل مؤيدة بالصدق والصدق ينشأ عن عقل محب مطمحه الاستقامة وليس هذا من مخترعاتى بل من تجاربى ومشاهداتى *

قال ميل « اذا جد كل فرد وراء سعادته الشخصية مع مراعاة القوانين والشروط الواجبة فى حق الغير نالت الانسانية قسطا من السعادة أوفر مما إذا جعل غايته الوحيدة المصلحة العامة » *

وهو قول حق اذا كان المراد بالمصلحة الشخصية

الفائدة الروحية أعنى إمتثال المشيئة الالهية أو بعبارة أسهل إرضاء مطالب الضمير (العقل والمحبة) فاذا كرس الانسان حياته ملتمساً ملكوت الله وبره نال الجميع أعظم فائدة بسعادة الانسان اذن تشمل مراعاة القوانين والشروط التى تكون عوناً على نيل المصلحة العامة أعنى أنه يحدث نفس الامر الذى ينكره ميل *

(٤)

* خوارق العادات *

شرعت البارحة أكتب لكم لماذا يلوح لى أن المعتقدين بالمادة يعتقدون بخوارق العادات وأن المعتقدين بالحياة الروحية وبالله لا يعتقدون بها ولكن لم أفرغ بعد من ذلك وقد خطر ببالى أثناء الكتابة ما يأتى : *

اننى أعتقد أو أعلم يقيناً أن العالم المادى نتيجة حواسى الخمس وان جميع قوانين المادة هى قوانين ارتباط الحواس الخمس بعضها ببعض *

فجميع علومنا ومعارفنا مستمدة من الروابط

الشتى التى بين حواسنا * مثال ذلك الثلج الذى هو جسم صلب بالنسبة الى حاسة اللمس يصير لطيفا وسائلا فى درجة حرارة معينة وأشعر به ومع هذا اذا ارتفعت درجة الحرارة صار بخارا لا يشعر به باللمس فجميع معلوماتنا مصدرها مباحث كهذه مختصة بارتباطات الحواس بعضها ببعض وقد درسنا هذه الارتباطات وعرفناها *

اننا نعلم أن كل أثر فى احدى الحواس تصحبه ظواهر مخصوصة فى سائرها فاذا سمعنا طرقا دلنا ذلك على وجود شىء صلب يلمس وهلم جرا . لكن ما الذى يدلنا على وجود الخارق للعادة اذا كنا نفهم العالم الخارجى بهذه الكيفية ؟ الذى يدلنا ذلك الارتباط بين الحواس الذى درسناه وهو قابل دائماً لتغيرات فجائية وهذا الارتباط قد يتغير لانى لم أحدده بالضبط ولذا ينبغى أن أعود الى البحث فى صحة ودوام إرتباط الحواس اذ قد يحدث انخداع أو فساد لاحداها وعلى أى حال لا وجود للخوارق فان شاهد انسان عجيبة من

العجائب الخارقة فان هذا دليل على انه كان غير سليم
وان حواسه كانت غير منتظمة فى عملها ويجب عليه
معالجة نفسه *

المنطقة الروحية لا يوجد فيها شىء خارق للعادة
لان الحياة الروحية ليست خاضعة لمثل هذه القوانين
فلا نعلم شيئا منها إذ ليس لها حيز أو زمان والقول بأن
المسيح إرتفع بجسمه دليل على أن حواس من ارتفع
امامهم كانت غير منتظمة فى عملها ومضاده لارتباطات
الحواس فلا يسع الانسان الا ابداء الاسف على حالة
هؤلاء الناس المرضية . أما القول بأن المسيح يحيا حياة
روحيه فى انسان واننا نحيا فى غيرنا وغيرنا يحيا فينا
فهذا عين الصواب وهذا ما يفهمه كل انسان ذى
روح . *

هذا ما أردت اضافته *

قد قررنا فيما تقدم ماله علاقة بالحواس وبالرغم
من أن ما نعلمه آت من طريق الحواس الخمس واننا
ندرك وجودنا من ملامسة الموجودات التى تحيط بنا

لابد اننا نعترف بوجود اشياء لاتدركها الحواس وهذا
صحيح ولكن الى حد محدود اذ لولا ذلك لما اعترفنا
بوجود الاثير مثلا ولا الاهتزازات المنبثة عن الضوء
والحرارة والكهرباء فهناك اذن اشياء لاتدركها حواسنا
ونعترف بوجودها لا لان الحواس قد تعدت قوانينها
المعروفة فادركتها بل لاننا قد توصلنا الى وجودها بواسطة
العقل وهذا لايبطل قوانين ارتباط الحواس
التى ذكرناها بل بالعكس يوجد علاقة أخرى
بين هذه الروابط اساسها العقل *

﴿ الحرب ﴾

« ١ »

﴿ أسباب الحرب الترنسفالية ﴾

لا أستطيع موافقة الذين يعزون سبب الحرب
الحاضرة الى تصرف هذا أو ذاك من زعماء السياسية
فانه اذا سكر رجلان فى حانة وتشاجرا أثناء المقامرة
لا يمكن أن أدين أحدهما وأبرىء الآخر مهما كانت
أدلة الآخر قوية لان السبب فى تصرفهما السىء غير

راجع بأى حال من الاحوال الى ان أحدهما مصيب والآخر مخطىء بل راجع الى انهما آثرا السكر والمقامرة على الاشتغال والاستراحة بهدوء وسكينة وكذلك لا أسلم أصلاً عند ما أسمع بنشوب حرب أن أحد الفريقين هو الملوم وحده . نعم ربما كان تصرف أحدهما أسوأ ولكن هذا لا يبرر اشتعال نار حرب فظيعة قاسية *

ان الاسباب الحقيقية التى دعت الى الحرب الترنسفالية الحالية وكل الحروب التى حدثت أخيرا واضحة كل الوضوح لمن له عينان يبصر بهما وهى تنحصر فى ثلاثة :

(الاول) عدم توزيع الملكية بالتساوى أى سلب بعض الناس البعض الآخر *

(الثانى) وجود فئة عسكرية متعلمة ومتدربة للقتال *

(الثالث) التعاليم الدينية الفاسدة والخادعة على الاكثر التى يتحتم على الطلبة دراستها . *

فلهذا أظن انه من العبث بل من الضرر أن نعزى أسباب الحرب الى تشمبرلين أو غليوم الثانى أو من شاكلهما لاننا بذلك نخفى عن أنفسنا الاسباب الحقيقية التى نشترك فيها . نعم ان فى وسعنا ان نسخط عليهما ونذمهما لكن هذا السخط والذم يسمان دمنا ولا يغيران مجرى الحوادث لان شمبرلين وغليوم آلتان صمآ ان لما وراءهما من القوى فهما مضطران فى عملهما ولا يستطيعان التحول عنه والتاريخ كله سلسلة حوادث من قبل السياسيين تشبه الحوادث التى سبقت الحرب الترنسفالية فمن العبث أن نحنق على أمثال هولاء ونتهمهم مع علمنا بالاسباب الحقيقة فى تصرفاتهم واشتراكنا من بعض الوجوه فى أعمالهم لارتباطنا بالأسباب الجوهرية الثلاثة التى تقدم ذكرها ومادمنا نخص انفسنا بالثروة ونذر الناس ينهكهم العمل ويشقيهم النصب فلا مناص عن اشتعال نيران الحروب لاجل الاسواق ومناجم الذهب الخ التى نحتاج اليها للمحافظة على ثروتنا وبقدر اشتراكنا فى النظام العسكرى وموافقتنا

على وجوده وامتناعنا من مكافحته تزيد دواعى الحروب وضرورتها *

اننا نخدم فى الجيش ونعترف بضرورته بل ونثنى عليه فاذا نشبت الحرب أمهمنا شمبرلين أو غيره ومع هذا ستبقى الحروب ما دمنا نصرح بل نرضى من غير غضب ولا سخط بما فى المسيحية أو الكنيسة من التحريف والاعوجاج ومادام هناك جيش يحارب حبا فى المسيح ومدافع مقدسة واعتراف بحرب مسيحيه مباركة *

اننا نعلم أبناءنا هذا الدين ونصرح به على رءوس الاشهاد ثم نزعم أن شمبرلين وكروجر وآخرين هم الذين تقع عليهم مسئولية سفك الدماء *

لهذه الاسباب لاأستطيع موافقتكم ولا ألوم آلات الجهل والسوء الصماء بل أرى أن سبب الحرب راجع الى اشتراكى أنا فى عمل السيئة أو زيادتها فالاشتراك فى تعادل الملكية الاخوى وأخذ أيسر نصيب لى من الارباح والامتناع كلية من الاشتراك فى المجهودات

الحربية لابطال ذلك العمل السحرى الذى يصير الناس قتلة مأجورين ويجعلهم مع ذلك يتصورون انهم يحسنون صنعا بخدمتهم فى الجيش وكذا الدعوة الى الاخذ بالتعاليم المسيحية الحقة وبذل الجهد للقضاء على تلك المسيحية الكاذبة الخادعة القاسية التى يتعلمها قهراً أبناء الاجيال القادمة *

اننى أرى أن هذه الاعمال الثلاثة واجبة على كل من يحب خدمة الحق وكل من يمقت الحرب الحاضرة الرهيبة *

« ٢ »

﴿ حربان ﴾

شهد العالم المسيحي فى هذه الايام حربين انتهت احداهما والاخرى لا تزال ناشبة وقد ظلتا زمنا ناشبتين معا والبون بينهما مما يوجب العناية والاهتمام. الاولى الحرب الاسبانية الامريكية وهي حرب قديمة باطلة خرقاء. حرب قاسية وثنية غير ملائمة للزمان والقصد منها قتل طائفة من الناس ليرى أى الطائفتين يكون له

الحكم والسيادة على الطائفة الاخرى والثانية التى لا
تزال ناشبة هى حرب حديثة تبذل فيها النفوس حرب
مقدسة أساسها الحب والعقل وقد كان الداعي اليها منذ
أمد بعيد (كما صرح بذلك فيكتور هيجو فى أحد
المؤتمرات) خير الطوائف المسيحية وأرقاها لقتال طائفة
متوحشة فظة وقد نجح فى إثارة هذه الحرب نفر من
المسيحيين الدوخوبوريين من أهالى القوقاز *

أتانى ذات يوم خطاب من أحد سكان كولورادو
ويطلب فيه أن أرسل اليه « . . . . . كلمات وجيزة أو
بعض أفكار أعبر فيها عن شعورى بعمل الامة
الامريكية الشريف وبسالة جنودها وبحارتها » هذا
السيد والسواد الاعظم فى أمريكا واثق تمام الثقة بان
العمل الذى قام به الامريكيون وهو قتل ألوف عديدة
من قوم عزل من السلاح (لانا اذا قارنا الاسبانيين
بالامريكيين وجدناهم عزلا من السلاح تقريبا) هو
عمل شريف بلا ريب وهو يحسب أن أغلب الذين
قتلوا العدد العظيم من اخوانهم فى الانسانية قد رجعوا

أصحاء آمنين ونالوا منزلة الابطال الفائزين *

ان مثل الحرب الاسبانية الامريكية فى اهمالها
المظالم التى اقترفها الاسبانيون فى جزيرة كوبا وكانت
سببا فى اثارتها مثل شيخ ضعيف دفعه عامل الشرف
الكاذب وسوء الظن الى طلب ملاكمة شاب قوى فلبى
الشاب طلبه وان كان شرف أصله يقضى عليه بالابتعاد
عن الملاكمة وما يدعو اليها وخرج اليه شاكى السلاح
فهشم اسنانه وحطم أضلعه ثم حكى أعماله بحماسة على
جمهور كبير من الشبان أمثاله فابتهجوا به ومدحوه
حيث مثل بالشيخ وقهره *

هذه هى صفة الحرب الاولى التى تلفت أنظار
العالم المسيحى بأسره أما الثانية فلا يتحدث عنها أحد
بشىء وقلما يعرفون عنها شيئا ويمكن وصفها بما يلى :

« انكم معاشر المحكومين فى خطر من هجوم
الامم الاخرى وتغلبها عليكم ولذا نطلب منكم الملايين
من الروبلات التى هى ثمرة أتعابكم لانفاقها فى شراء
الاسلحة والمدافع والبارود والمراكب للدفاع عنكم ونطلب

منكم أن تلتحقوا بالمعاهد التى ننظمها حيث تصيرون آلات صغيرة صماء لتلك الآلة الهائلة الاوهي الجيش الذى نشرف عليه تمام الاشراف وباندماجكم فى الجيش تفقدون ارادتكم فلا تعملون غير ما يطلب منكم عمله ثم اننا نريد قبل كل شيء استعمال السيطرة ولا سبيل اليها الا القتل ولذلك سندربكم عليه »

ومع ان ادعاءهم بان الناس مهددون بالخطر من هجوم الحكومات أو الامم الاخرى عليهم نرى تلك الحكومات أيضاً تؤكد انها مع شدة حبها للسلام ترى نفسها مهددة بالخطر عينه وبالرغم من الاهانة والعبودية التى تلحق الناس من اندماجهم فى الجيش وقسوة العمل المطلوب اداؤه منهم نراهم يذعنون لهذه الخديعة ويعطون أموالهم لتنفق فى اذلالهم ويقدمون يد المساعدة لاستعباد غيرهم *

إلا أن قولهم يقولون « أن إهتمامكم بحراستنا من الخطر الذى تقولون إنه يهددنا خديعة منكم . إن الدول جمعاء تؤكد لنا رغبتها فى السلام وان كانت فى الوقت

نفسه تتسلح إتقاء من الغير وفضلا عن ذلك إنكم تعترفون بقانون الاخاء الانسانى فلا ضرر من إنتماء أحدنا الى دولة من الدول أما ما تخيفوننا به من اننا فى خطر من مهاجمة احدى الدول فهذا أمر لانخشاه ولانهتم به إنما المهم هو ان القانون الالهي الذى تقرون به أنتم معاشر الذين تطلبون منا الاشتراك فى القتل يحرم القتل قطعا بل ويحرم إستعمال الشدة والعنف لذلك لانشاركم ولن نشاركم فى تأهبكم للقتل فلا نعطيكم أموالا لهذا الغرض ولانحضر الحفلات والاجتماعات التى تقيمونها بقصد افساد عقول الناس وضمائرهم وجعلهم آلات للشدة تذعن لاى انسان سيء يتولى قيادتها »*

هذا هو مزاج الحرب الثانية : وقد دبرها منذ زمن بعيد خيار الناس فى الدنيا واندلع لهيبها أخيراً بين الدخوبوريين والحكومة الروسية التى لم تدع سلاحا الاشهرته فى هذه الحرب فاتخذت البوليس لالقاء القبض على الناس والحجر عليهم لئلا ينتقلوا من مكان الى آخر

ومنع التجمهر والتقابل والمراسلات والترقب ونشر الاخبار الخاصة بالدخوبوريين فى الجرائد اللهم الأأخبار السوء كالرشوة والجلد والحبس والنفي وشقاء الاسر وهلاكها . أما الدخوبوريون فلم يتخذوا غير الدين سلاحا لهم فنشروا الاخبار الصادقة والتزموا الصبر والثبات وقالوا طاعة الرحمن خير من طاعة الانسان فهما فعلتم معنا فلا نطيع لكم أمراً *

الناس يمتدحون أبطال الحرب الاسبانية الامريكية الفظيعة الذين قتلوا عدداً كبيرا من اخوانهم فى الانسانية أوماتوا أثناء قتالهم رغبة منهم فى نيل المكافأة وانتشار الصيت فى جميع انحاء الدنيا لكنهم لايقولون ولايعلمون شيئاعن أبطال الحرب الكارهين لها الذين يموتون من التعذيب فى ظلمات السجون والنفى المؤلم وهم مع ذلك ثابتون الى آخر رمق من حياتهم على ماهم عليه من الطيبة والصدق *

اننى أعرف عشرات من هؤلاء قضوا نحبهم أخيراً من أجل تمسكهم بالحق ومئات تشتتوا في انحاء

العالم يقاسون الاهوال لاعترافهم بالصدق وأعرف معلماً قروياً اسمه دروجين حكم عليه بالتعذيب الى أن مات ورجلا آخر يدعى اسيو متشكو صديق دروجين حكم عليه بالنفي الى آخر طرف الدنيا وكذلك أعرف مزارعا اسمه أولكوفيكوف حكم عليه بالنفى وبينما هو على ظهر البارجة التى تقله الى منفاه استطاع هداية « سيريدا » الجندى الموكل بحراسته فلما أدرك « سيريدا » خطيئة الخدمة العسكرية ذهب الى رؤسائه وقال كمن سلفه من الشهداء « انى لاأحب أن أكون فى زمرة المعذبين فدعونى التحق بالشهداء » فحكم عليه المجلس العسكرى بالنفى الى ولاية ياكوتسك *

وقد أصيب بعض الدوخوبوريين بالعمى ومع ذلك لم يطيعوا الاوامر التى تخالف القانون الآلهى *

جاءنى منذ أيام خطاب من شاب دوخوبورى أرسل منفرداً الى فرقة معسكرة فى سمرقند يقول لى فيه أن الضباط طلبوا منه نفس المطالب وهددوه فكان يجيبهم نفس الاجابة السهلة « لاأقدر أن أخالف

اعتقادى فى الله » فقالوا له « اننا اذن سنعذبك الى أن تموت » فقال « هذه مهمتكم فأدوا عملكم وأنا أودى عملى » *

أن هذا الشاب الذى يبلغ العشرين من عمره قد تجرد عن كل شىء فى غربته وسط قوم أغنياء أشداء متعلمين يناصبونه العداء ويفرغون جهدهم لاخضاعه وحمله على الطاعة وهو مع ذلك كله مصر على رأيه لم يخضع ولم يتخل عن شهامته وشجاعته *

لكن الناس يقولون (هذه الضحايا عديمة الجدوى فان هؤلاء يموتون ونظام الحياة باق لا يتغير) وهذا عين ماقيل فى المسيح وجميع الذين ذهبوا شهداء الصدق *

الناس فى زماننا هذا ولاسيما العلماء قد غلظت قلوبهم فصاروا عاجزين عن ادراك معنى القوة الروحية وتأثيرها . انهم يعترفون بقوة قنبلة من الديناميت تساوى خمسين جنيها تنفجر وسط الاحياء المكتظة ولا يعترفون بقوة الفكر والصدق الذى ظهرت نتائجه

فى الحياة واستشهد بسببه قوم واصبح الملايين من الناس يرون الاستشهاد هينا ولعل الداعى الى عدم اعترافهم بقوة الفكر هو انه لايحدث أصواتا مزعجة ولايكسر عظاما ولايريق أنهارا من الدم *

يبذل العلماء الذين ضلوا سواء السبيل جهدهم للبرهنة على أن الجنس البشرى يعيش كالانعام وانه مسير باعتبارات اقتصادية فقط وانه ما وهب العقل الا للهو واللعب الا ان الحكومات تعلم حق العلم ما الذى يسود العالم ولذاتهتم بمالها من غريزة حب البقاء بمظاهر القوة الروحية التى يتوقف عليها وجودها أو اندثارها *

وهذا هو الذى حدا بالحكومة الروسية الى شل حركة الدوخوبوريين وتشتيتهم ونفيهم الى وراء التخوم وبالرغم من هذه المساعى قد أدى جهادهم الى فتق اذهان ملايين من البشر . وانى اعرف مئات من الشيوخ والشبان فى الجيش داخلهم الريب فى مساعى الحكومة لما رأوا اضطهاد الدوخوبوريين الوديعى الاخلاق

المجدين فى أعمالهم وأخذ قوم لاول مرة يفكرون فى الحياة ومعنى المسيحية بعد ما شاهدوا وسمعوا بالاضطهادات التى نالت هؤلاء الناس وصاروا عرضة لها والحكومة التى تبغى على ملايين من الناس تعلم ذلك وتشعر انها أصيبت فى قلبها *

هذا هو مزاج الحرب الثانية المشتعل لهيبها فى زماننا وهذه عواقبها التى شغلت بال الحكومة الروسية وبال كل حكومة مؤسسة على الشدة معتمدة على الجيوش لانها جرحت أيضاً بنفس السلاح *

قال المسيح « قد تغلبت على العالم » والحقيقة انه تغلب على العالم لو كانوا يعتقدون بقوة السلاح الذى تغلب به الا وهو انقياد كل انسان لعقله وضميره وهذا أمر فى غاية السهولة وواجب على الجميع *

يقول العاقل الذى لم يبع ذمته ولم يدنسها « انكم تريدون منى أن أكون شريكا فى القتل وتطلبون الدراهم لاعداد معدات الحرب وترغبون أن أندمج فى جمعية القتلة المنظمين لكننى أعترف بذلك القانون الذى

تعترفون به وهو يحرم القتل بل ويحرم كل عداء ولهذا لا أطيعكم » فبهذه الوسيلة السهلة تقهر الدنيا *

« ٣ »

« يجب هدم قرطجنة »

ان عقلاء المسيحيين الذين يعتقدون مبدأ المحبة والاخاء ويعدون القتل جريمة شنعاء ولا يجرأ أكثرهم على ذبح الحيوان يشتركون فى جريمة القتل اذا سميت حربا ويبيحون حينذاك الهدم والنهب والقتل ويقترفون هذه الجرائم بانفسهم ويباهون بها غيرهم وهذه المسألة بعينها تحدث فى كل مكان وزمان فان أغلب الناس وجميع العمال الذين يرتكبون هذه الجرائم فى الحروب لا يدبرونها ولا يتأهبون لها ولا يريدونها بل يشتركون فيها مرغمين بعامل التمريض وبدافع مراكزهم التى وجدوا فيها فيلوح لكل فرد منهم انه اذا أبى الاشتراك عرض نفسه للهلاك والذين يديرونها ويهيئون الناس لها بالرغم منهم هم الاقلية العائشون فى ترف ودعة بفضل كد العمال وقد مضى على هذه الخديعة زمن طويل وبلغت

وقاحة الخادعين أخيراً مبلغاً لا مزيد عليه حيث أوجبوا أن يؤخذ جزء عظيم من منتجات العمال وينفق على معدات القتل والسلب ويستدعى جميع العمال بلا استثناء في الممالك الاوربية الدستورية للاشتراك في هذا العمل فصارت العلاقات الدولية تزداد بهذا تعقيدا يبعث على نشوب الحرب . والممالك المسالمة تسلب بلا أقل سبب وجرائم النهب والقتل نقترف فى كل عام وصار الناس جميعا يعيشون فى حالة فزع وخوف وما ذلك الا من انخداع السواد الاعظم بالاقلية التى تستفيد من هذا الخداع فيجب اذن على الذين يودون تحرير الناس من المساوى الناشئة عن القتل والسلب أن يكشفوا اللثام عن ذلك الخداع الذى به يساق الجمهور الى العمل ويبينوا لهم كيفية ارتكابه والدعامة التى يستند اليها وطريقة التخلص منه *

المتعلمون فى أوربا لا يعلمون شيئا من ذلك الا انهم يقصدون المجتمعات من آن لآخر فى المدن الاوربية بحجة ترويج السلام فيتبوأون مقاعد المعدة

لهم ويتباحثون وعلامات الجد والاهتمام بادية على وجوههم فى خير الطرق لاستمالة أولئك اللصوص وقطاع الطرق الذين يتعيشون من وراء النهب كى يقلعوا عنه ويصبحوا وطنيين مسالمين ثم يضعون أسئلة عويصة كما يأتى *

أولا هل لا تزال الحرب مرغوباً فيها من الوجهة التاريخية والقانونية والعمرانية ؟ *

(كأن مثل هذه الاباطيل التى اختلقناها تتطلب منا العدول عن أساس قانون الآداب) *

ثانياً ماهى نتائج الحروب (كأن هناك شكا فى ان نتائج الحروب على الدوام هي الفواجع والمصائب) *

ثالثاً كيف التوصل الى حل مسألة الحروب ؟ (كأنه توجد عقبة فى سبيل تحرير العالم من الخديعة التى وضحناها جليا) *

ان هذا لشنيع ! اننا نرى مثلا كيف يبرح الاصحاء والسعداء الآمنون المطمئنون الى دور القمار فى (مونت كارلو) وغيرها كل عام ثم يغادرونها بعد أن

يغادروا الصحة والطمأنينة والشرف ولا يستفيد من رحلتهم سوى أرباب محال القمار فنتأسف عليهم لعلمنا ان الذى أغرامم وأوقعهم فى اشراك القمار هو أملهم فى الربح ولو مرة واحدة وعلمهم ان الفائز بالربح سيكون أسعد الباقين حظاً وإن كانوا واثقين بالخسارة على العموم فلكى نخلص الناس من مصائبهم تجدنا بدلا من أن نريهم طريق الغى ونوقفهم على مافى القمار من الخسارة المؤكدة وفساد الآداب من توقع شقاء الغير ونكبته ـ نعقد الاجتماعات ونهتم بحضورها ونبحث فى تدبير طريقة بها يغلق أصحاب محال القمار أنديتهم من تلقاء أنفسهم ونؤلف كتبا فى هذا الموضوع ونسائل أنفسنا هل التاريخ والقانون والرقى يقتضى وجود أندية القمار وما هى نتائج القمار الاقتصادية والعقلية والادبية الخ*

اذا قلت لرجل أدمن الخمر ان فى امكانك اجتنابها بنفسك ويجب عليك ان تجتنبها فانى آمل أن يصغى الى قولى ويعمل بنصحى ولكنى اذا قلت له ان ادمانه

مشكلة عويصة واننا معاشر العلماء جادون فى التوصل الى حل هذه المشكلة بالاجتماعات التى نعقدها فانه على الارجح يواصل احتساء الخمر الى ان يبت فى المسألة *

هذا هو شأن الوسائل العلمية الملفقة الجميلة الظاهر المراد بها ابطال الحرب كالقانون الدولى والمحاكم الدولية والتحكيم وما شاكل ذلك من الاباطيل فانها تسعى الى ابطال الحرب من غير ذكر أهم وسيلة ضرورية لتوقيفها ان الذين لا يريدون اشعال نيران الحروب لا يفيدهم القانون الدولى ولا التحكيم ولا المحاكم الدولية ولا حل المشاكل بل يهمهم جدا ايقاظ انفسهم وتحريرها من تلك الفتنة التى سحرت ألبابهم وعليهم أن يمتنعوا من الحرب ما داموا يعتبرون الاشتراك فيها جريمة وهذه الطريقة كان يذيعها من قديم الزمان الكتاب المسيحيون وقد بين خطيئة الخدمة العسكرية وضررها أتم بيان (ديموند وجاريسون) وكتب (بالو) فى هذا الموضوع منذ عشرين سنة وكتبت أنا أيضا فى ذلك *

الطريقة التى ذكرتها كانت متبعة فيما مضى وقد

التجأ اليها أخيراً بعض الافراد فى النمسا وبروسيا وهولندا وسويسرا وروسيا وبعض الجمعيات مثل الكويكريين والمينونيتيين والنزاريين والدوخوبوريين حديثا وهؤلاء يبلغ عددهم ١٥٠٠٠ فانهم قاوموا الحكومة الروسية القوية ثلاث سنوات ولم يذعنوا لمطالبها القاضية عليهم بالاشتراك فى جرائم الخدمة العسكرية رغما من كل المصائب التى حلت بهم والآلام التى قاسوها الا أن المتعلمين من محبى السلام لاينصحون باتباع هذه الطريقة بل ولا يطيقون أن تذكر أمامهم واذا ماذكرت أمامهم تجاهلوها فان لم يستطيعوا تجاهلها لشيوعها هزوا أكتافهم وأظهروا تألمهم من أولئك الجهال غير المتبصرين الذين يتمسكون بهذه الطريقة الخرقاء العقيمة مع وجود طريقة غيرها نافعة وهي ذر الملح على ذنب الطائر المراد القبض عليه أعنى استمالة الحكومات التى تحافظ على كيانها بالعنف والخداع كى تتخلى عنهما *

هم يقولون لنا ان المحاكم الدولية أو التحكيم ستفصل فى الخلاف الناجم عن الحكومات لكن بعض الحكومات لاتريد حسم الخلاف بل هى بالعكس توجده ان لم يكن موجودا ثم تتخذه ذريعة للاحتفاظ بالجيوش التى تستمد منها سلطتها . فالمتعلمون من محبى السلام يعملون على تحويل أفكار الفئات العاملة المتألمة عن الطريقة الوحيدة التى تخلصهم من العبودية التى نشأوا عليها منذ الصغر وتوجيهها أولا الى الوطنية ثانيا الى الاقسام التى يباشرها القسيسون المأجورون ثالثا الى الخوف من طائلة العقاب *

أما فى زماننا الذى وجدت فيه العلاقات السلمية بين الامم فان الخديعة التى يسمونها الوطنيه وهي التى ترمى الى تفوق الامة على سائر الامم التى لم تعد معتبرة فى نظر العقلاء حتى نحثهم على التخلى عنها وكذا الخديعة الدينية التى توجب الحلف الذى ينهى عنه الانجيل المعترف به لدى الحكومات فقد ضعف اعتقاد الناس بها والحمد لله فليس هناك مايمنع السواد الاعظم حقيقة

من رفض الاشتراك فى الخدمة العسكرية سوى خوفهم من العقاب وهذا هو السلاح الذى تلجأ اليه الحكومات فى حالة الرفض وهو مع ذلك نتيجة خداع الحكومة ولا أساس له غير التنويم

الحكومات قد تخشى جانب الذين يرفضون الخدمة العسكرية وينبغي لها أن تخشاهم لان كل رفض يقوّض أركان الخديعة التى بها تبقى الناس تحت سلطتها لكن الذين يرفضون لا شئ يدعوهم الى الخوف من حكومة تطالبهم بارتكاب الجرائم ولا شك أن الممتنع أقل تعرضا للخطر ممن يقبل الاندماج فى الجندية والامتناع وما ينشأ عنه من العقاب كالحبس والنفى ضمان للانسان اذ يدرأ عنه مخاطر الخدمة فى الجندية لان الجندى يخاطر بنفسه باشتراكه فى الحرب التى تهيؤه الحكومة للخوض فيها وقد يقتل فى ساحة الوغى فيكون كمن حكم عليه بالموت وسيق الى أضيق المآزق وأحرجها فهو اما أن يقتل أو يصبح مشوها كما شاهدت فى (سيباستوپول) عند ما سارت فرقة الى

قلعة كان قد هلك فيها فرقتان فظلت واقفة هنالك الى أن أبيدت عن آخرها *

الذى يندمج في الجندية قد لا يقتل ولكنه يمرض أو يموت من جراء سوء الحالة الصحية في الخدمة العسكرية ويشتمه رئيسه فان لم يحتمل شتمه ورد عليه معتدا فلا بد أن يكون هدفا لعقاب أشد من ذلك الذى يعرض له بسبب رفض الخدمة العسكرية والذى يندمج فى الجندية خوفا من التعرض للسجن والنفى يمضى ثلاث أو اربع سنوات فى بيئة فاسدة ويتدرب على صناعة القتال ويبقى طول هذه المدة أسيرا كأنه فى السجن خاضعا ذليلا لأولئك الشريرين

ان رفض الخدمة العسكرية مع ما فيه من الغرابة يجعل كل انسان يأمل الافلات من العقاب لان فى الرفض آخر فضيحة لخديعة الحكومات التى تتخذها لتنويم الناس فلا يبقى من يشترك فى توقيع العقاب على الذين يرفضون الاشتراك فى المظالم فالاذعان لمطالب الجندية انما هو اذعان لتنويم الجمهور *

وهناك سبب آخر غير ترجيح أخف الضررين يحمل كل متيقظ مدرك لأهمية أفعاله الى الامتناع من الجندية . فكل انسان ينبغي أن يكون لوجوده فى الدنيا غرض نافع وهو خدمة الله تعالى وخدمة الانسان وقد ينفق الانسان مع ذلك حياته من غير أن يوفق الى خدمة كهذه فالدعوة الى قبول الخدمة العسكرية تجعل مثل هذه الفرصة سانحة لكل انسان فى زماننا هذا لان الذى يرفض الاشتراك فى هذه الخدمة ويأبى دفع الضرائب للحكومة التى تنفقها فى الشؤون الحربية يخدم الله والناس أجل خدمة اذ هو بذلك يستخدم أنجع وسيلة تعين على تقدم الانسانية نحو النظام الاجتماعى المنشود الذى لابد من بلوغه فى نهاية الامر *

وفضلا عن فائدة رفض الاشتراك فى الجندية ووجوب اباء السواد الاعظم فى زماننا فانه يستحيل عليهم عدم الرفض اذا بطل تأثير ذلك التنويم الذى تتخذه الحكومة *

كل انسان يستحيل عليه بعض أفعال أدبية كما

يستحيل عليه بعض أفعال طبيعية فالوعد بالطاعة العمياء للاجانب والاشرار الذين يستسهلون القتل أمر يستحيل على أغلب الناس الاقدام عليه كما يستحيل عليهم بعض الافعال الادبية فليس رفض الاشتراك فى الخدمة العسكرية مفيداً فقط وواجباً على كل انسان بل يستحيل عليه ان لا يرفض اذا كان خاليا من التخدير والتنويم

« لكن ماذا عسى أن يحدث اذا أبى الناس الخدمة العسكرية وليس هناك من يمنع الاشرار من شن الغارات ولا من يدرأ عنا المتوحشين والجنس الاصفر الذين سيهاجموننا ويتغلبون علينا ؟ »

انى لا أقول شيئا عن هذا لكن حيث ان الاشرار هم المتغلبون منذ زمن طويل ولا يزالون متغلبين الى وقتنا هذا فليس ما يدعو الى الخوف مما هو حاصل الآن أما الخوف من الجنس الاصفر المتوحش الذى ندربه ونحرضه على القتال فانه تعلل وعذر فقط وقد يكفى جزء من مئة من الجيش الاوربى الموجود الآن لدفع هذا الخطر الموهوم ومع ذلك لا أقول شيئا عن

هذا كله لان التفكر فيما يعود على العالم من هذه الاعمال أو غيرها لا يهدينا الى سلوكنا وأعمالنا انما الذى يهدى الانسان هو ضميره وقيامه بالواجب عليه . أما التبصر فى الخطر الذى يهدد الذين يرفضون الخدمة العسكرية ومغبة هذا الرفض على العالم فهو ذرة صغيرة من ذلك الخداع الهائل الذى أوقع العالم المسيحى فى الشرك وتعض عليه الحكومات بالنواجذ استبقاء لسلطتها *

اذا عمل انسان بما يمليه عليه عقله وضميره واتبع الاوامر الالهية عاد ذلك عليه وعلى العالم بأعظم خير وأجزل نفع *

يشكو الناس سوء حالة الحياة في العالم المسيحى مع انه يستحيل أن تكون الحالة بخلاف ذلك لانا مع اعترافنا بالقانون الاساسى الالهى الذى أذيع منذ بعض ألوف من السنين وهو « لاتقتل » واعترافنا بقانون المحبة والاخاء قد أهمل كل أوربى العمل بهما وأطاع أوامر رئيس الجمهورية أو الامبراطور أو الوزير أو أمر نيقولا أو غليوم فارتدى ملابس مضحكة

وأخذ آلة القتل وقال « ها أنا ذا مستعد للأذى والدمار وقتل من أومر بقتله » ؟ فماذا يكون حال مجتمع هؤلاء أفراده ؟ ان مجتمعاً كهذا لابد أن يكون مخيفاً وانه لكذلك *

أفيقوا أيها الاخوان . لاتصغوا الى الاشرار الذين يبثون فيكم الروح الوطنية الخبيثة المنافية للانصاف والصدق التى يقصد منها سلب أموالكم وحريتكم وشرفكم وكذلك لا تصغوا الى الخادعين الذين يحضونكم على القتال باسم الاله المنتقم الجبار الذى تصوروه وباسم المسيحية الفاسدة الكاذبة ولا تعولوا أيضا على أقوال المحدثين الذين يزعمون الصدق ويرمون الى بقاء الحالة على ماهى عليه فيعقدون المجتمعات ويؤلفون الكتب ويلقون الخطب ويعدون بالاصلاح والنظام من غير أن يبذلوا أى مجهود فى ذلك فهؤلاء لا تصدقوهم بل صدقوا ضمائركم التى تنبئكم انكم لستم حيوانات ولا عبيداً بل أحرار مسئولون عن أعمالكم فلا تقترفوا القتل طوعاً لارادة الذين

يعيشون بسفك الدماء . أفيقوا كى تدركوا الفظائع والاعمال الجنونية التى ترتكبونها فاذا أدركتم ذلك كفوا عن السيآت التى تمقتونها وتسبب هلاككم فانكم اذا امتنعتم من اقتراف ماتمقتونه اختفى هؤلاء الخادعون الماكرون الذين يفسدونكم ويبغون عليكم كما تختفي البوم من ضوء النهار وبعدئذ تنشأ نظامات للحياة حديثة مؤسسة على الانسانية والاخاء طالما تاق اليها العالم المسيحى الذى كل وتألم من الخداع وتاه فى بيداء المسائل المتناقضة التى لاحل لها فاذا عمل كل انسان بما يمليه عليه ضميره من غير أن يخوض فى المجادلات العويصة السفسطائية أيقن بصدق ما جاء فى الانجيل (ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى) (يوحنا اصحاح ٧ : ١٧)

« ٤ »

﴿ نبذ فى الحرب ﴾

كلنا يعلم حق العلم ان الحروب مثيرة للشهوة

الحيوانية مفسدة للناس مغلظة لقلوبهم ولا يخفى على أحد بطلان الادلة التى تؤيد الحرب كالادلة التى أتى بها دومترومولتك وغيرهما لانها كلها سفسطة أومبنية على زعم باطل . ان من السهل أن يجد الانسان فى كل مصيبة عنصراً مفيداً وهم يقولون بما ان الحروب كانت موجودة فيما مضى من الزمان فلابد من وجودها فى المستقبل فكأن السيآت التى يقترفها الناس تبررها المنافع التى تعود عليهم أو يسوغها وجود الحرب منذ القدم*

ان من نسميهم المتعلمين يعلمون ذلك كله ولكن اذا نشبت الحرب نسوا فى الحال ما كانوا يعلمونه فتراهم بعد ان كانوا يقيمون الادلة على فظائع الحروب وضررها يفكرون ويتكلمون ويكتبون فى الحث على الاسراف فى القتل والهدم والتخريب وضياع المجهودات واثارة دواعى الحقد فى قلوب الآمنين المجدين ويدفعونهم الى اجتراح الفظائع المخالفة لضمائرهم ومصالحهم مع انهم هم الذين يطعمونهم ويكسونهم ويحافظون عليهم يذهب مئات الالوف من الرجال الى ساحة القتال

تحت تأثير الصلوات والمواعظ والنصائح والاحتفالات والصور والجرائد مرتدين ثيابا رسمية حاملين اسلحة قتالة مختلفة تاركين آباءهم ونساءهم وأولادهم وتكاد قلوبهم تتفطر أسى لولا تجلدهم وتظاهرهم بالعظمة الكاذبة(١)

(١) لو عاش تولستوى وشاهد الحرب العظمى الاخيرة التى أنذر هو بها وشاهد كيف تتطوع فيها الامم وكيف أزهقت بسببها ملايين من الرجال وأنفق عليها ما لا يعد ولا يحصى من الاموال — لرأينا ماذا كان يقول فى موقدى نيرانها وكيف كان ينتقد الحكومات المسببة لاشعال نارها . بل ويا ليته عاش الى الحرب العمومية القادمة التى تهيئ الدول الآن أسبابها وستكون أشد من الاولى *وهى التى أشار اليها أشعيا ضمن أخبار أخرى فى اصحاح (١٩) بقوله (فيحارب كل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة)

وأنذر بها زكريا أيضا ضمن حوادث أخرى فى اصحاح (١٣) بقوله (يقول الرب ان ثلثين منها «أى من الارض» يقطعان ويموتان والثلث يبقى فيها الخ) وفسر بعض العظماء فى سنة ١٩١٢ تلك النبوة فى جواب لسؤال مستر ريمى الامريكاني بوقوع حروب هائلة فى هذا القرن (٢٠) وزلازل عديدة ومجاعات شديدة وبراكين رهيبة حتى تمحى آثار تاريخية

وهنالك يخاطرون بحياتهم ويرتكبون أفظع عمل وهو قتل من لا يعرفونهم ومن لم يجنوا عليهم أصلا ويذهب فى اثرهم الاطباء والممرضات الذين يتوهمون انهم لا يستطيعون خدمة المرضى المسالمين فى أوطانهم بل يخدمون الذين يقاتلون بعضهم البعض. أما الذين يبقون فى أوطانهم فيسرون من أخبار القتال واذا علموا انه قتل من اليابانيين عدد عظيم شكروا الاله وهذا من دلائل الشعور الراقى لديهم واذا أحجم بعض الناس

فحينئذ يظهر مصداق نبوة زكريا انتهى

ثم يحصل السلام العام الذى بشر به الله على لسان الانبياء عليهم السلام *من تلك البشارات قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) اذ الاشراق بالنور لا يكون الا بعد مضى دور الشرور * ومنها قول يوحنا اللاهوتى فى أول اصحاح (٢١) (ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة الى قوله ويمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد الخ) ومنها الحديث الذى رواه الحلوانى بهذا المعنى راجع تفصيله فى كتابنا بشرى العالم بترك المحاربات واتفاق الامم. الناشر « فرج الله زكى »

عن ابداء مثل هذا الشعور وحاولوا الاصلاح عدوا خونة غادرين وتعرضوا للشتم والضرب ممن غلظت قلوبهم وأصبحوا لا يملكون سلاحاً يدافعون به عن الجنون والقسوة غير القوة الغشومة *

هذا هو مركز العالم المسيحي فى زماننا ومن الواضح اننا اذا ثابرنا على المعيشة بهذه الكيفية مسترشدين فى حياتنا الخصوصية وحكومتنا بمجرد الرغبة فى المصلحة التى تعود علينا وعلى حكومتنا بالفائدة وفكرنا كما تفكر الآن فى تحقيق هذه المصلحة بالعنف ساءت الحال وازدادت الشدة وتفاقم الخلاف وعندئذ يتحول مجهود الناس وثمرة متاعبهم الى التسليح ثم يقتل فى الحروب خير الرجال وأشدهم بأساً فتكون العاقبة زيادة الانحطاط وفساد الآداب ونزول الاخلاق

يقولون « لكن ما العمل الان وقد أخذ العدو يهاجمنا ويقتلنا ويهددنا ؟ » وقد يسألنى جندى أو ضابط أو قيصر أو شخص معين « هل نسمح لاعدائنا بتخريب أملاكنا والاستيلاء على ثمرة أعمالنا وأخذ

الاسرى وقتل الرجال فما العمل والامر جار الآن ؟ »

فأجيبه ان رأيى فيما يجب عمله الان بعد ان بدأت الحرب هو رأى رجل يدرك قصده بغض الطرف عن الظروف سواء ابتدأت الحرب أو لم تبتدئ . قتل ألوف من الروس واليابانيين أولا * أخذت پورت أرثر أو بطرسبرج أو موسكو أولا * وانى لا أستطيع مخالفة الاوامر الالهية فلا أقدر بصفتى انسانا أن أنظم الحرب أو أعين عليها أو استفز الهمم لها أو أشترك فيها بحال من الاحوال * أما ماذا ينجم حالا عن عدم القيام بما يخالف ارادة الله فلا علم لى به الا اننى موقن ان فى العمل بارادة الله تعالي كل خير يعود علىّ وعلى الناس قاطبة *

« لكن ما العمل مع الاعداء الذين يهاجموننا ؟ »

« أحبوا أعداءكم لا يكون لكم عدو » هذا ما ذكر فى تعليم التلاميذ الاثنى عشر وهو ليس جوابا لفظيا فقط كما يتوهم الذين يحسبون أن الوصية بحب الاعداء مبالغ فيها وانه لا يراد منها غير المعنى الظاهر بل شىء

آخر * ان هذا الجواب دليل على عمل واضح صريح وبيان لعواقبه *

ان حب المرء لاعدائه (اليابانيين والصينيين الصفر الوجوه الذين يحرضنا الاغنياء الآن على حقدهم) معناه اجتناب قتلهم فلا نقتلهم مثلا لاكتساب حق تسميمهم بالافيون كما فعل الانجليز أو للاستيلاء على أرضهم كما فعل الفرنسيون والروسيون والالمان ولا ندفنهم أحياء عقابا لهم على اتلافهم الطرق ولا نربطهم من شعورهم ولا نغرقهم فى نهر أمور كما فعل الروسيون

« التلميذ لا يفوق استاذه * *** حسب التلميذ ان يبلغ شأو استاذه »

ان محبة الصفر الذين ندعوهم أعداءنا يراد بها ان لا نعلمهم باسم المسيحية الاباطيل الخاصة بهبوط الانسان والفدية والبعث الخ ولا صناعة الخداع والقتل بل نعلمهم العدل والرأفة وترك الاثرة قولا وفعلا ونكون لهم قدوة حسنة فى معيشتنا فبذا يبرأ المخدوعون مما هم فيه ويقولون للقياصرة والوزراء والاساقفة والقسيسين

والقواد والمحررين الملحدين الذين لا قلوب لهم « اذهبوا وعرضوا أنفسكم لنيران القنابل والرصاص فاننا لا نريد الذهاب الى القتال . دعونا فى سلام نفلح الارض ونزرعها ونطعمكم أيها الطفيليون » وقولهم هذا أمر طبيعى *

لكنهم لا يقولون ذلك ويثابرون على الذهاب ولا يستطيعون الامتناع ما داموا يخشون هلاك أجسامهم ولا يخشون اجسامهم ونفوسهم معا *

* العلاقات الجنسية *

« نبذ من خطابات تولستوى ومذكراته اليومية

أبديت رأيى فى العلاقات الجنسية فى كرويتزر سوناتا ويتخلص فيما يلى :

يجب على الرجل فى كل الاحوال سواء كان متزوجا أو أعزب أن يكون عفيفا بقدر الطاقة كما بين ذلك المسيح وبولص من بعده فاذا رغب عن النساء كلية فان هذا خير ما يفعل واذا لم يقدر على كبح جماح الشهوة وجب عليه ان لا يستسلم لهذا الضعف

ولا يعد العلاقة الجنسية لذة وأظن انه لا يوجد رجل مخلص وقور يرى خلاف ذلك ولا يوافقنا على رأينا *

****

أتاني خطاب من مدير جريدة « ادلت » يسألني فيه عن رأيي فى الحب الحر ولو كان لدى متسع من الوقت لكتبت فى هذا الموضوع وربما أكتب فيه يوما * ان أهم مافى الامر أن نبين ان المسألة متوقفة على التثبت من أعظم لذة ممكنة من غير التفكر فى العواقب وفضلا عن ذلك انهم يدعون الى شيء شائع الا ن فى غاية القبح لكن ما السبب فى ان عدم قمع الشهوة يصلح الامور؟ انني بالطبع مخالف لجميع القواعد الشرعية وللحرية التامة انما المثل الاعلى هى العفة لا اللذة

****

ان جميع المصائب التى تنجم عن العلاقات الجنسية بالوقوع فى الحب سببها اننا نخلط اللذة الجسمية باللذة الروحية * ومن البلية أن نقول بالحب ولا نصرف عقولنا الى استهجان الشهوة وقمعها بل نزينها بريش

الطاوس الروحى *

****

الهوى منبع الآفات وأس النكبات لكننا لا نتأى عنه ولا نضيق الخناق عليه بل نثيره بكل ما أوتينا من قوة ثم نشكو منه ونتوجع ونتألم ونتفجع

****

التعليم المسيحى لا يُعين أشكال الحياة بيد انه يرشد الى الطريقة المثلى الواجب اتباعها فى علاقات الناس بعضهم ببعض * ومنها العلاقة الجنسية لكن المخالفين للمبادىء المسيحية يرومون تعيين الاشكال فزواج الكنيسة الذى ليس من المسيحية فى شيء قد ابتدع لاجلهم والانسان فيما يختص بالعلاقة الجنسية وغيرها كالعنف والغضب لا ينبغى له ان ينقص من درجة الكمال أو يحود عنه لكن القسس قد حادروا عن الطريق السوى فى الزواج

****

أشق الاشياء على الانسان مقاومة الشهوة اللهم الا فى زمن الطفولة والشيخوخة حيث يكون

المرء فى مأمن منها فلذا ينبغي ان لا تفتر همته عن مجاهدتها ويجدر به الا يحاول اضعافها فى وقت ما بل عليه الاستعانة بجميع الوسائل النافعة لنزع سلاح هذا العدو ويجب اجتناب كل ما يهيج الجسم والعقل ويجب صرف الوقت فى العمل*

******

هذه احدى طرق المجاهدة وهناك طريقة أخرى وهي التزوج فى حالة العجز عن مقاومة الشهوة فاذا تزوجت فاختر امرأة ترتضيها وقل لنفسك اذا كان لابدلك من السقوط فاسقط مع هذه المرأة فان رزقت منها أولاداً فعلمهم وعاونها على الاتصاف بفضيلة العفة مغتنما فرصة الشباب فانها خير الفرص . هذه خير الطرق على ما أعلم *وفضلا عن ذلك اذا أردت اتباع الطريقتين للوصول الى غايتك وجب عليك الاعتصام بحبل الله وتذكر انه هو الذى خلقك واليه تعود وان الغاية من الحياة هو القيام بارادته تعالى وانك كلما ذكرته أعانك وشد ازرك ثم تشجع ولا تجبن ولا تقل انى هالك بعد ذلك لا محالة بل ان سقطت

فاذأب على الجهاد والمقاومة بقدر الطاقة *

******

طالما فكرت فى الوقوع فى الحب فلم أجد له محلاً أو معنى مع ان محله ومعناه واضحان جدا ومحدودان . ان الشبان الذين لا يستطيعون التمسك بالعفة التامة يجدر أن يكون حبهم قبل الزواج اذ الشاب من سن السادسة عشرة الى العشرين فصاعدا يقاسى أشد آلام المقاومة فى هذه السنين الحرجة . هذا هو محل الحب أما بعد الزواج فلا محل له وهو مذموم ممقوت*

******

ربما استفسرت عن الوسائل التى تعين على مغالبة الشهوة فأقول أقلها العمل والصوم واعظمها الفقر . الخلو من المال وقبح الهندام فمن كانت هذه حاله لا تفتتن المرأة به الا ان خير الوسائل عندى الاستمرار الدائم على قمع الشهوة ومغالبتها *

******

انى أعلم ان العلاقات الجنسية فى الزواج ليست

مخالفة للآداب لكن يجدر بى انعام الفكر قبل الخوض
فى هذا الموضوع اذ قد يوجد بعض الحق فى الرأى
القائل باثم هذه العلاقات حتى علاقة الزوج بامرأته
لمجرد التلذذ بالشهوة *

اظن ان خطيئة قطع الشهوة كخطيئة الاتصال
الطبيعى لمجرد اللذة كما انى أرى ان الشبع وكثرة الاكل
أوشدة الجوع أو السم خطيئة أيضا . أما الطعام الذى
يراد به حفظ جسم الانسان لخدمة الاخوان فهو واجب
وكذلك الاجتماع الجنسى الذى يحفظ النوع الانسانى

الخصيان محقون فيما يقولون من ان العلاقات
الجنسية بين الرجل وزوجه مخالفة للآداب اذا لم يكن
أساسها المحبة الروحية بل اللذة الشهوية فقط ولذا
هى ليست فى أدوارها الطبيعية الصحيحة وان هذا فسق
الا أنهم مخطئون فى قولهم أن العلاقات الجنسية بقصد
النسل مع توفر المحبة الروحية خطيئة والحال انها ليست
كذلك بل هى ارادة المولى عز شأنه

انى أرى ان قطع الشهوة أشبه شىء برجل

انهمك فى اللذات ولنفرض انه كان يسكر من الخمور
التى كان يستخرجها من قمحه ثم بدا له خطيئة هذا العمل
واثمه فحرق القمح تخلصا من هذا الاثم بدلا من استعماله
لتغذية نفسه وغيره وتغذية الحيوانات فالنتيجة ان اثمه
لا يزال باقيا وان جيرانه يثابرون على استخراج الخمور
أما هو فلم يعد فى مكنته اطعام أسرته أو نفسه أو غيره

ان المسيح لم يمدح الاطفال عبثاً حيث قال ان
لهم ملكوت السموات وان ما خفى عن العقلاء
مكشوف عنهم ونحن نعلم ذلك فلولا الاولاد والنسل
لما بقى ما نأمله من ملكوت الله على الارض فآمالنا
فيهم فقط *

قد تلوثنا وصار من الصعب تطهير نفوسنا لكن
يوجد فى كل جيل وفى كل أسرة نفوس طاهرة نقية
وقد تبقى كذلك على حالها . ان النهر عكر قذر الا
ان كثيرا من الجداول التى تصب فيه نقية فالامل فى
تطهير الماء لا يزال موجودا *

****

الغريزة الشهوية تدأب على توفية القانون حقه لضمان النسل والدليل على ذلك التجارب الفردية فكلما اقترب الانسان من توفية القانون حرضته الشهوة والعكس بالعكس واذا كان الناس يميلون الى العلاقات الجنسية فما ذلك الا لتتمكن الذرية المقبلة من بلوغ الكمال الذى لم تبلغه الذرية الحاضرة فما أبدع الحكمة الالهية *

الانسان مقدر للكمال وآية الكمال العفة فى العمل والنفس أعنى التحرر التام من الشهوة الجنسية فاذا بلغ الناس درجة الكمال وأصبحوا أعفاء انقطع الجنس البشرى وزال الغرض من حياته اذا يصير الانسان كالملائكة الذين لا يتزوجون كما هو مذكور فى الاناجيل لكن ما دام الناس لا يبلغون درجة الكمال فانهم يتناسلون ويعمل النسل باوامر الله تعالى ويدنو نحو الكمال *

* * * * * * *

يجب على كل فرد بالغ راغب فى المعيشة الراضية

ان يتزوج لكن يجب ان لا يتزوج بداعى الحب بل بداعى المصلحة على ان يفهم من هذين اللفظين خلاف المعنى المفهوم منهما أعنى يجب ان لا يتزوج للحب الشهوانى بل للمصلحة لا من حيث كيفية المعيشة ومكانها (فاننا جميعا ندبر حالتنا المعاشية) بل من حيث سعادة المعيشة فى المستقبل مع ذلك الشريك الذى سيشاطرك الحياة

* * * * * * *

ليس فى الانجيل تعاليم بشأن الزواج بل فيه ما ينافيه ويعارض الانهماك فى اللذة والشهوة وفيه حض على طلاق الذين تزوجوا حديثا . أما فيما يختص بقانون الزواج نفسه فليس فيه اشارة اليه وان كانت الكنيسة تثبته اللهم الا اعجوبة قانا المزعومة وهى التى تقرر الزواج كما تقرر زيارة (زكا العشار) جمع الضرائب *

* * * * * * *

نعم اننى أرى ان الزواج قانون غير مسيحى فالمسيح لم يتزوج أصلا كذلك لم يتزوج تلاميذه والمسيح لم يسن قانونا للزواج لكنه خاطب بعض الذين تزوجوا

والذين لم يتزوجوا فنهي المتزوجين عن طلاق زوجاتهم كما كانوا يطلقون فى شريعة موسى (متى اصحاح ٥ آية ٣٢) وحض غير المتزوجين على عدم الزواج ان استطاعوا (متى اصحاح ٩ آية ١٠ — ١٢) وقال لهما جميعا ان الخطيئة الكبرى هى النظر الى المرأة كأنها موضع للذة (متى اصحاح ٥ آية ٢٨) (ولا حاجة الى القول بان هذا يسرى على المرأة كما يسرى على الرجل) فيترتب على ذلك كله بطبيعة الحال النتائج الادبية العلمية الآتية:

ان لا نعتقد كما يعتقد بعضهم الآن بان كل انسان سواء كان ذكراً أو أنثى يجب عليه ان يتزوج بل نعتقد على العكس ان الاجدر بكل انسان سواء كان ذكراً أو أنثى ان يحافظ على طهارته لئلا يعوقه عائق من ان يهب جميع قواه لعبادة الله *

يجب ان لا نعتبر ان عثرة اى انسان سواء كان رجلا أو امرأة (الناتجة عن العلاقة الجسديه) يمكن اقالتها بايجاد روابط محبة جديدة (بشكل زواج) كما

هو سائد الآن أو ان هذه العلاقة هى ارضاء لحاجات الانسان مغتفر بل يجب اعتبار الارتباطات الجسدية الاولى زواجا غير قابل للانفصال (متى اصحاح ١٩ : ٤ — ٦) هذا ما فرضته على الزوجين شريعة الخلاص من الخطيئة *

لا يصح اعتبار الزواج كما هو معتبر الآن اجازة التمتع بالشهوة الجسمانية بل يجب اعتباره خطيئة تحتاج الى تكفير *

ان التكفير عن الخطيئة يشمل الذين يتحررون من الشهوة والذين يتعاونون فى ذلك لهذا الغرض وللتمكن من ايجاد علاقات متبادلة لا بصفة عشاق بل كاخوة واخوات ويتعاونون أيضاً فى العناية بتربية الاولاد الذين سيكونون فى المستقبل خداماً لله حيث كانوا نتيجة للزواج *

الفرق بين هذا الرأى فى الزواج وما هو حاصل الآن عظيم جداً * ان الناس سيستمرون على الزواج وسيواظب الآباء على اعداد أولادهم للزواج غير ان

هناك تفاوتا بيناً فيما اذا اعتبر الزواج اجازة للتمتع بالشهوة الجسمية واعظم سعادة فى الدنيا تبيحها الشريعة أو اذا اعتبر خطيئة *

ان الذى يتبع التعاليم المسيحية لا يتزوج الا اذا شعر بعدم قدرته على البقاء عزباً فاذا تزوج لم ينهمك فى الشهوة بل يبذل مافى وسعه لكبح جماحها (الرجل والمرأة فى ذلك على السواء) *

أما الآباء الذين يعنون بتربية أولادهم تربية دينية فلا يرون ان الضرورة تقضى عليهم بزواج أولادهم جميعاً الا اذا وجدوا أنهم لا يستطيعون المحافظة على طهارتهم وهم فى حالة العزوبة واما المتزوجون فانهم لا يرغبون فى كثرة النسل - كما هو الحال الآن - بل يفرغون جهد استطاعتهم لان يعيشوا عيشة طاهرة ويسرون من قلة النسل كى يتمكنوا بذلك من ان يهبوا كل قواهم لتعليم أبنائهم وابناء غيرهم اذا استطاعوا رغبة منهم فى خدمة الله بتعليم من سيكونون خدامه فى المستقبل *

والفرق بين هذا وذاك هو كالفرق بين أولئك الذين لا يأكلون الا لأنهم لا يستطيعون البقاء بلا غذاء ولذا لا ينفقون غير جزء يسير من أوقاتهم فى إعداده وتناوله والذين لاهم لهم فى الدنيا سوى العمل على زيادة شهوة الطعام وكثرة الاكل كالرومانيين الذين كانوا يتناولون مقيئاً بعد كل طبق استعداداً لأكل غيره (١) *

****

لم يوجد زواج « مسيحى » ولا يمكن ان يوجد كما انه ليس هناك ملكية مسيحية غير انه توجد علاقة مسيحية للزواج وعلاقة للملكية *

علاقة الملكية بالرجل المسيحي هو اننى وان كنت أعتبر ان قميصى ملكا لى بيد أنى أرى ضرورة التخلى عنه اذا احتاج اليه شخص آخر وهذا هو الحال فيما يختص بالزواج فان علاقة المسيحى هى من هذا

(١) هذا يشابه ما يفعله بعضهم الآن من منع الحمل بوسائل صناعية

النوع لان ارتباطه زواج شرعى لا انفصام له . وفى هذه الحالة الزوجية يبذل جهده هو وزوجته فى أمرين (أولا) القيام بتربية أولادهما خير قيام خوفاً من الله تعالى (وثانياً) تحرير انفسهما من الشهوة بقدر الطاقة وايجاد محبة روحية بينهما بدلا من علاقات المحبة الطبيعية *

اذا فهم الانسان تمام الفهم ان الجماع سقطة أدبية وخطيئة وان ارتباط الانسان بامرأة ليس (كما يظن الآن) أمراً يمكن اصلاحه بالزواج بل هو ارتباط غير منفصم وهو بمثابة خلاص من الخطيئة اتضح له ان لا سبيل الى ارتفاع شأن طهارة النوع الانسانى الا بهذه الوسيلة *

انى لا أقصد بما قدمت عن الطريقة التى يجب ان يتبعها الازواج فى معيشتهم ان أقول اننى عشت عيشة بريئة وانما مالاحظته من معيشتى المنحرفة علمتنى ما يجب ان يسلكه الانسان فى حياته *

انى لا أتنازل عن رأيى بل أبغى أن أقرر كل ما قلته غير أن ذلك يفتقر الى ايضاح لاننا لا نتبع ما يجب

علينا فى معيشتنا (بناء على ضمائرنا النيرة وتعاليم المسيح) فتدهشنا حقيقة الامر فى هذه المسألة (وقد علمتنى التجارب ذلك) كما يدهش تاجر مثرار ثوذكسى المذهب اذا قيل له انه لا يجب على الانسان ان يدخر مالا لاسرته ولا أن يشيد نواقيس للكنيسة (١) بل يجب عليه ان ينفق كل ما يملك للخلاص من الخطيئة واليك كل افكارى فيما يختص بهذا الموضوع :

ان عاطفة الحب التى هى أقوى عاطفة لدى الانسان توجد بين ذكر وانثى لم يرتبطا ببعضهما وهذه العاطفة تؤدى الى الزواج والزواج يؤدى الى النسل فيبدأ زمن الحمل ومن ثم تفتر حدة الجاذبية التناسلية بين الزوج وزوجته وهذا مشاهد جداً ويعوق الوقائع كما هو الحاصل بين الحيوانات مالم يعتبر الناس ان مثل هذا الوقاع لذة مشروعة . ان هذا الفتور يحل محله

---

(١) ملحوظة — جرت العادة عند التجار الاغنياء فى روسيا ان يقدموا نواقيس للكنائس فى أحيائهم اعتقاداً منهم انهم بذلك يتقربون الى الله تعالى *

العناية بنمو الطفل ورضاعته ويستمر الحال كذلك حتى الفطام واذا كانت الحياة الزوجية هنية (وهذا هو الفرق بين الانسان والحيوانات) تعود الجاذبية الجنسية بين الزوجين بعد الفطام. ومهما كنا لانراعى ذلك فى حياتنا الزوجية فان هذا هو الواجب بلاشك أولاً لان العلاقات الجنسية عند استحالة الحمل (أى عند ما تكون المرأة حبلى) ليست لها معنى معقول فما هى الا لذة شهوانية مخجلة كما يقر بذلك كل ذى ضمير طاهر ـ ان هذا العمل من أخس الرذائل الجنسية المخالفة للطبيعة والذى يألفه ويواظب عليه يصبح أقل تمييزا من الحيوان الاعجم لانه يسخر عقله للتعدى على القوانين السديدة المعقولة. ثانيا لاننا نعلم ونعترف ان الجماع ينهك القوى ويضعف الهمة الروحية وهي أعظم ما يحتاج اليه الانسان فى كده وعمله *

ينصح المدافعون عن العادات الحالية «بالاعتدال» غير أنه لا وجود لاعتدال حقيقى ما دام الناس يعتدون على القوانين التى اساسها العقل *

نعم ان الضرر الذى يصيب الانسان من جراء الفسق (والجماع فى حالة عدم الزواج فسق) قد لا يكون عظيما مع ملاحظة الاعتدال (ما أقبح التفوه بذلك فى هذا الموضوع !) اذا لم يعرف الرجل غير امرأة واحدة لكن اعتدال الزوج فسق فظيع عندما تكون الزوجة حاملا أو مرضعا وأظن ان تأخر النساء ومزاجهن العصبى ناشئان عن ذلك فيجب أن يتحررن من هذا لخدمة الله لا الشيطان وتلك أمنية بعيدة لكنها عظيمة وليس هناك ما يمنع الانسان من بذل الجهد فى سبيل تحقيقها . انى أرى ان الزواج يجب ان يكون بهذه الصفة :

يرتبط الرجل بالمرأة بعامل الحب فاذا ما حملت المرأة وولدت طفلا اجتنب الزوجان كل ما من شأنه اعاقة نمو الطفل وتغذيته وابتعدا عن الشهوات الجسمية وعاشا معيشة الأخ مع أخته (غير أن المتبع الا ن هو ان الزوج الذى قد فسدت اخلاقه من قبل الزواج يحمل زوجته على عاداته ويعديها بالانهماك فى الشهوة

ويحملها مالا طاقة لها به اذ تكون فى آن واحد محظية وأمًا منهوكة القوى وامرأة مريضة وسريعة التأثر وضعيفة الاعصاب ثم أن الزوج يحبها كما يحب الرجل محظيته ويتجاهل كونها أماً ويبغضها لسرعة تأثرها وتهيجها مع انه هو الذى سبب لها ذلك وانى أرى ان هذا هو مفتاح جميع الآلام التى تشكو منها أغلبية العائلات) وعلى هذا التصور معيشة الزوج والزوجة كأخ وأخت فتلد آمنة مطمئنة وتغذى طفلها وتهذبه بلا انزعاج ثم لا يسمح الزوجان لانفسهما بالعودة الى المحبة الا فى أوقات الفراغ وهي لا تدوم غير عدة اسابيع وبعدئذ يعودان الى الهدنة مرة أخرى *

ويلوح لى أن الوقوع فى الحب انما يكون عند ما يبلغ ضغط البخار مبلغا ينذر الآلة البخارية بالانفجار فى حالة عطل صمامها . ان الصمام لا يفتح الا بضغط قوى . أما فيما عدا ذلك فهو مغلق غلقا محكما والواجب يقضى أن يكون غرضنا هو المحافظة على بقائه محكم الغلق بقدر الامكان وان نحتمل من الاثقال

ما نستطيع احتماله لئلا يفتح وانى أفهم الكلمات الآتية بهذا المعنى « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم » (متى اصحاح ١٩ : ١٢) أعنى ليبذل كل جهده لئلا يتزوج فان تزوج فليعش مع زوجته كما يعيش مع اخته . ان البخار سيجتمع وسترفع الصمامات لكن يجب علينا ان لا نفتحها بأنفسنا كما هو الحال اذا اعتبرنا الجماع لذة مشروعة مع انه غير جائز الا اذا لم نستطع ضبط الصمام *

« لكن كيف يستطيع الانسان ان يعرف عدم قدرته على ضبط الصمام * ؟ »

ما أكثر الاسئلة التى من هذا القبيل وكم يظهر لنا انها أسئلة عويصة لا تحل ، لكنها بسيطة جدا اذا حلها الانسان لنفسه وبنفسه ولم يحلها بعض الناس لبعضهم لان المرء لا يعرف عن سواه الا شيئا يسيراً

ان الرجل المسن لا ينفك عن مصاحبة امرأة بغى مصاحبة ممقوتة أما الشاب فأقل منه مصاحبة لها المسن يداعب زوجته مداعبة شهوية لكنه اقل مداعبة

لها من مداعبة الشاب للبغى والشاب وان كان يسلك مع زوجته سلوكا شهويا غير أن سلوكه هذا مع كونه غير مرضى فهو أقل مقتاً وقبحاً ومثل هذا التدرج موجود عند الآخرين وكلنا يعلم ذلك جيداً ولاسيما الاطفال والشبان الطاهرين *

أما فيما يختص بالانسان نفسه فان هناك اعتباراً آخر وهو ان كل رجل وأمرأة بتول يعلم ان الطهارة يجب تقديرها صيانة لها وحرصا على فقدها بتأثير ظرف من الظروف وان صوت الضمير يعترف دائما بان اتباع الشهوات أمر قبيح مذموم

ان الوقوع فى شراك الحب يعد فى هذه الدنيا أمراً مستحسنا جدا كما قد يستحسن فتح صمامات الالة البخارية بقصد خروج البخار لكن هذا لا يعد حسناً عند الله تعالى الا اذا كان القصد منه أن يعيش الانسان عيشة راضية وان يستخدم مواهبه للمولى عز شأنه أعنى أن يحب الناس ومن بينهم زوجته التى هى أقربهم اليه ليعاونها على فهم الحقيقة لئلا تتخذ مواهبها آلة

لشهوتها والغرض من ذلك هو الانتفاع من البخار واتخاذ جميع الوسائل لحبسه *

«الا ان النوع الانسانى سينقطع بهذه الطريقة»

وانا نجيب على هذا الاعتراض (أولا) أن الناس مهما حاولوا اجتناب العلاقات الجنسية فان الصمامات ستكون موجودة عند الضرورة وستولد الاطفال ومع ذلك لماذا نكذب ؟ هل نحن بدفاعنا عن العلاقات الجنسية نهتم حقيقة ببقاء النوع الانسانى ؟ *

اننا نفكر فى لذاتنا فيجب ان نصرح بذلك . هل سينقطع النوع الانسانى وهل سينعدم الحيوان والانسان ؟ ما أفظع ذلك ؟ ان الحيوانات التى كانت موجودة على ظهر البسيطة قبل الطوفان قد انعدمت وكذا سينعدم الانسان بالتأكيد (اذا اعتقدنا بالابدية والزمان والمكان) *

ليختف الانسان من الدنيا . وسأحزن على زوال هذا الحيوان ذى الرجلين أقل من حزنى على الحيوانات التى نصفها سمك ونصفها تمساح الخ طالما كان للحب وجود

الحب الطبيعى ضرورى لغرض واحد فقط وهو عدم توقف امكان ترقى الانسان الى هـذه الكائنات العالية *

طالع هذه النبذ التى كتبتها واستخلص منها ما أبغي قوله وماقدقلته ولم أقله. ان هذه الافكار ليست عرضيـة لكنها نمت فى احساسى وحياتى وسأعود ان شاء الله تعالى فأوضحها وأكشف اللثام عنها *

* * * * * * *

الحيوانات لا تبيح لنفسها الجماع الا للحمل أما الانسان الجاهل ـ وكلنا جهال ـ فيفعـل ذلك دائما بل انه قد ابتكر نظرية تقول بضرورة الجماع ثم هو بمقتضى هذه النظرية يضعف المرأة باغوائها اثناء الحمل والرضاع ويتخذها محظية له *

اننا قد أضعفنا طبيعة المرأة العقلية بهذا العمل ثم ترانا نشكو من جهلها وعـدم تعقلها ونبحث عن تعليمـها ورفع شأنها بالكتب والجامعات . نعم ان الانسان لم يبلغ الى الآن فى كل ما هو حيـوانى ـ

مستوى الحيوان بالمجهود العلمى وسيتحقق ذلك من تلقاء نفسه عند ماتبدأ حياة الفهم والعرفان ومع ذلك فان مجهوده العقلى غير موجه الا الى حياته الحيوانية المنحرفة *

* * * * * * *

ان مسألة العلاقات الجنسية بين الرجل وزوجته والى أى حد هى مباحة من أهم الامور المسيحية العملية كالملكية وانى لدائم الاشتغال بها وفى الانجيل حل لهذه المسأله بيد اننا فى حياتنا لا نتبع المسيح ولذلك أصبحنا غير قادرين على تطبيق تعاليمه بل أصبحنا لا نستطيع فهمها *

(متى اصحاح ١٩ : ١١ و ١٢) « فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم. لانه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون امهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات. من استطاع ان يقبل فليقبل »

ما السبب فى كون هـذه الآية التى كثيراً ما

فسرت خطأ لاتشير الا الى سؤال الانسان عما يجب ان يفعله ازاء الغريزة الشهوية ؟ وماذا يجب ان يشتهيه وماذا يجب ان تكون أمنيته ؟ فيجيب ينبغي أن أكون خصياً لاجل ملكوت السموات فمن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ أسمى المراتب ومن لم يبلغها وجب ان يسعى اليها *

والذى أراه انه يجب على الرجل والمرأة ان يعيشا معيشة العزوبة لكن اذا بذل الانسان جهده ـ كما هو الحال عندنا ـ فى سبيل العلاقات الجنسية حتى بواسطة الزواج فلابد من سقوطه فى الفسق والفجور

ان الانسان اذا قصد من وراء كده وسعيه أن يعيش لا أن يملأ معدته كان طلبه للغذاء بقدر مايقيم صلبه أما اذا أعد لنفسه أغذية لذيذة قبل الاكل فلابد من وقوعه فى الاثم *

* * * * * * *

لقد فكرت كثيراً ولا أزال أفكر فى الحياة الزوجية كما هو شأنى في كل موضوع خطير

وقد وصلنى منذ يومين كتاب من أمريكا ألفته امرأة محترفة بمهنة الطب اسمها « أليس ستوكهولم » وعنوانه Tokology . كتاب لكل امرأة . انه كتاب عظيم النفع من الوجهة الصحية وأهم مافيه انه قد تناول فى أحد فصوله بحث الموضوع الذى كنا نتبادل بشأنه المراسلات وقد توصلت المؤلفة الى حله حلا مطابقاً لرأينا بالطبع وان الانسان ليسر اذا كان فى ظلام ثم رأى نوراً على بعد ولقد يعترينى الحزن كلما تذكرت اننى عشت طول عمرى كالوحش وأصبحت الآن غير قادر على العودة الى اصلاح شأنى *

هذا محزن اذ قد يعترض علىّ بقولهم « كل هذا حسن جداً ولك ان تقول ذلك فانك شيخ فان وقد عشت بخلاف ما تصفه لنا . أما نحن فسنقول مثلك متى بلغنا سنك » وان فى ذلك أساس الخطيئة اذ يشعر الانسان انه آلة حقيرة فاسدة لا تصلح لتنفيذ ارادة الله . الا ان لنا عزاء فى ان بعض الناس سيتبعون الطريق السوى

ان الآلام والفواجع الناشئة عن مخالطة الرجال والنساء سببها عدم تفاهم الجنسين فالرجال قلما يفهمون أهمية الاطفال بالنسبة للنساء وقلما يدركون المكان الذى يشغلونه فى حياتهن وكذا النساء لا يفهمن أهمية الشرف والواجب الاجتماعى والواجب الدينى لدى الرجال *

* * * * * * *

ان اعفاء الزوج نفسه من تربية الاطفال ووضعهم فى الفراش وغسلهم وغسل ملابسهم واعداد الطعام لهم ولغيرهم وخياطة ملابسهم وما شاكل ذلك ـ أمر مخالف للدين المسيحى مناقض للشفقة والعدل *

المرأة فى الواقع لها أعظم قسط فى العمل من حيث انها تلد الاطفال وترضعهم فمن الطبيعي اذاً ان يؤدى الرجل اعمالا أخرى منزلية ضرورية بقدر مايستطيع من غير ان يلحق عمله الخاص أى ضرر وان الانسان ليستطيع ذلك اذا لم نكن متمسكين بتلك العادة الوحشية القاسية التى استحكمت فى هيئتنا

الاجتماعية الا وهى القاء حمل جميع الاعمال الثقيلة على عاتق الضعفاء الخاضعين *

قد رسخت هذه العادة فى نفوسنا حتى انه بالرغم من اعتراف الرجل بمساواة المرأة وبالرغم من أننا نجد أشد الرجال حرية وتهذيباً ولطفا يدافع بكل قواه عن حق المرأة فى أن تكون معلمة أو كاهنة ويركض مبادراً الى التقاط منديل سقط على الارض من يد سيدة وان أدى ذلك الى المخاطرة بنفسه وهلم جرا فهو لايستطيع ان يفهم ضرورة اشتراكه معها فى غسل ملابس طفله القذرة أو رفع جواربه عند ماتكون زوجته مريضة أو متعبة أو عندما تبغي المطالعة أو التفكر قليلا بعد ذلك الزمن الطويل الذى مضته فى حمل الطفل وارضاعه *

ان الرأى العام فاسد جداً من هذه الوجهة حتى انه يعتبر هذه الاعمال مضحكة فلابد لتأديتها من الاتصاف بصفات الرجولية *

* * * * * * *

ان تحرير المرأة تحريراً فعلياً ينحصر فى انه لا يجوز لنا ان نعتبر أى عمل من أعمال المرأة خاصا بها ويعار علينا مزاولته وأنه يجب علينا مساعدتها بكل قوانا ولا سيما فى الاعمال التى نستطيع أداءها لانها أضعف من الرجل جسما وكذا يجب ان نعدمدارس لتعليم البنات ليست أحط من مدارس البنين بل ارقى منها مع مراعاة انهن سيصبحن أمهات المستقبل فلا يكون لديهن متسع من الوقت وعلى ذلك لابد من تقوية جسمها وعقلها بقدر استعدادها وأظن ان كل امرىء يقر ذلك العمل الانسانى . ان الرجل يخدم النوع الانسانى خدمات جسمية وعقلية وأدبية من جميع الوجوه عدا الولادة والرضاعة . أما المرأة فمع استطاعتها أداء جميع هذه الخدمات معدة بحسب استعداد جسمها الى ذلك العمل الخارج عن منطقة أعمال الرجال *

تنقسم خدمة النوع الانسانى الى قسمين . الاول ـ تنمية سعادته . والثانى ـ بقاؤه . أما فيما يتعلق بالقسم الاول وهو تنمية سعادة النوع الانسانى فان الرجال

خاصة هم الذين يقومون بهذا الواجب لعدم امكانهم القيام بالواجب الثانى الذى لا يمكن أن يؤديه غير النساء وان من الخطأ بل من الاثم ان ننسى هذه الميزة لهن ونمحوها كما يحاول ذلك بعضهم *

هذه الميزة ينشأ عنها واجبات الجنسين الطبيعية تلك الواجبات التى لم يكن للرجال فضل ابتكارها وينشأ عنها كذلك تقدير الفضيلة والرذيلة فى المرأة والرجل وقد وجد هذا التقدير في كل الازمان وهو موجود الآن وسيوجد فى المستقبل مادام على ظهر الارض ناس يعقلون *

الرجل يؤدى أعمالا متفاوتة لكن مجهوداته جميعها سواء كانت جسمية (كزرع القمح أو صنع المدافع) أو عقلية (كتحسين حالة الناس أو عد المال) أو دينية (كالسعى فى الاتحاد أو النشيد فى الكنائس) لا تكون نافعة ومثمرة الا اذا قامت على أساس الصدق والحق بحسب مايرى *

وعمل المرأة من حيث الولادة والرضاعة والتربية

يكون نافعا للنوع الانسانى اذا هى لم تلد الاطفال لمجرد لذتها بل ليكونوا فى المستقبل خدام الانسانية متى تربوا تربية صحيحة بحسب اعتقادها أعنى متى ربتهم تربية تجعلهم أهلا لان يأخذوا من الناس القليل ويعطوهم الكثير بقدر الطاقة *

المرأة الكاملة بحسب تصورى هى التى تدرك معنى الحياة وتخضع لغرائزها النسائية الراسخة فيها فتلد وتربى وتهذب أكبر عدد ممكن من الاطفال الذين يستطيعون خدمة النوع الانسانى بحسب ادراكها لمعنى الحياة والنساء لا يدركن ذلك فى الجامعات بل يدركنه بفتح عيونهن وآذانهن وفطنتهن . أما النساء اللاتى ليس لديهن أولاد واللاتى لم يتزوجن والارامل فانهن يحسن صنعا اذا شاركن الرجل فى عمله فاذا أدت كل امرأة الواجب عليها نحو أولادها فلتعاون زوجها فى عمله ان استطاعت ولاشك ان هذه المعونة ثمينة جداً

* * * * * * *

انكم متأثرون بعادات خرافية مضرة حتى لقد

أصبح الوقوع فى الحب لديكم كالحب وحسبتم انه شعور حسن جدا والحال انه شعور ضار جدا وعواقبه على الدوام مؤلمة وقد ينهمك الانسان فيه غير معترف بأى قانون دينى أو أدبى الا أن الاعتراف باباحة الوقوع فى الحب لا يتفق مع الاعتراف بالحب اذا اعتبرناه قانونا للحياة. الحب لا يكون حباً الا اذا كان انكاراً للذات وبلا أمل فى نيل الجزاء ومثل هذا الحب قد تجده فى زوجتك فتسعد سعادة حقيقية *

أما شدة تعلقك بشخص آخر فلاينجم عنها غير انحطاط آدابك وتألمك من العواقب الوخيمة *

* * * * * * *

امتاز الانسان بموهبتى العقل والنطق لا للتفكير فيما يبرر شهواته البهيمية بل لمكافحتها وتنمية قواه الفكرية والاذعان لمطالبها وقد اثبت العقل للناس منذ زمن طويل وجوب تعديل العلاقات الجنسية التى نتيجتها النسل حتى لا تكون مصدراً لاشد المصائب والفواجع *

ان أسهل وأوضح تعريف لواجب الانسان نحو هذه العلاقات هو انه يجب على كل رجل وامرأة اشتركا فى عمل نتيجة النسل ان يعتبرا أنفسهما متحدين الى الابد وان لا يرتبطا بغيرهما أصلا . وهذا يسمي زواجاً كل ذلك تجنباً للوقوع في أعظم صنوف المصائب وحتى يكون فى الامكان تربية الاولاد *

****

الحياة الانسانية عبارة عن مجهودات متواصلة للتحرر من الشهوات الجسمية وعلى هذه المجهودات تتوقف السعادة وكما ان بذل الجهد مستطاع دائما كذلك انتصار الروح على الجسم فان أخفق انسان ولم يتغلب على جسمه فيكون ذلك ناتجا عن عدم اعتقاده ولكى يعتقد يجب عليه ان يعرف أن معنى الحياة متوقف على المجهودات التى لابد من بذلها *

****

يجب على كل من لم يسقط ان يفرغ وسعه لئلا يسقط اذ مكافحة الساقط للشهوة أصعب بكثير من

مكافحه من لم يسقط . المجاهدة فى سبيل العفة ضرورية دائما وفى جميع الاحوال (سواء في ذلك المتزوج وغير المتزوج) وقد يساورك الريب في ضرورة المجاهدة لكنى أعرف سبب ارتيابك وهو ان الذين يلتفون حولك يؤكدون لك عدم ضرورتها ومخالفتها للطبيعة *

﴿ تم الكتاب ﴾

اعتنينا بتصحيح الكتاب بقدر الطاقة ومع هذا وقعت بعض أغلاط مطبعية يسهل تداركها

فهرست الكتاب

صفحة

ترجمة حياة المؤلف (الكونت ليون تلستوى) ٤

الارض والعمل

١ مثل للملكية الارض الخاصة ٢٤
٢ تقسيم العمل ٢٥
٣ الى العمال ٣٣
٤ الوسيلة الوحيدة ٧٥
٥ الرق فى عصرنا ٩٧

الحكومة

١ الى المصلحين الاجتماعيين ١٨٥
٢ الوطنية والحكومة ٢١٥
٣ الاشتراكية الحكومية والمسيحية ٢٥١
٤ الفوضى ٢٦٨
٥ ثلاث طرق للاصلاح ٢٧٥

الدين

صفحة

١ نبذ فى الدين ٢٧٧
٢ مطالب المحبة ٢٨٣
٣ العقل والمحبة ٢٩٤
٤ خوارق العادات ٢٩٦

الحرب

١ اسباب الحرب الترنسفالية ٢٩٩
٢ حربان ٣٠٣
٣ يجب هدم قرطجنة ٣١٣
٤ نبذ فى الحرب ٣٢٦

العلاقات الجنسية

نبذ من خطابات تولستوى ومذكراته اليومية ٣٣٣

كتابخانه مجلس شورای اسلامی